عِلْمُ لغة النص

نحو آفاق جديدة

نقلها إلى العربية

دكتور/ سعيد حسن بحيري
كلية الألسن - جامعة عين شمس

الناشر
مكتبة زهراء الشرق
١١٦ شارع محمد فريد - القاهرة
تليفاكس: ٠٠٢٠٢/٢٣٩١٣٣٥٤



نقلها إلى العربية
دكتور / سعيد حسن بحيري
كلية الألسن - جامعة عين شمس

الناشر
مكتبة زهراء الشرق
١١٦ شارع محمد فريد - القاهرة
تليفاكس: ٢٣٩١٣٣٥٤ (٠٠٢٠٢)

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب المصرية
إدارة الشئون الفنية

علم لغة النص : نحو آفاق جديدة.
نقلها إلى العربية سعيد
حسن بحيري. - القاهرة
: مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٧
٢٦٥ ص ؛ ٢٤ سم
تدمك : X ٣٢١ ٣١٤ ٩٧٧
١ - المقالات - مجموعات
أ - العنوان
٨٠٨,٨٤

اســـم الكتـــاب : علم لغة النص : نحو آفاق جديدة
نقلها إلى العربيـــة : الدكتور / سعيد حسن بحيري
رقـــم الطبعـــة : الأولى
الـــــسنة : ٢٠٠٧
رقـــم الإيـــداع : ٢٤٨٠٣
التـــرقيم الـــدولي : I.S.B.N
977-314-321-X
اســـم الناشـــر : مكتبة زهراء الشرق
العنـــــوان : ١١٦ شارع محمد فريد
البلـــــــد : جمهورية مصر العربية
المحافظـــــة : القاهرة
التليفـــــون : ٠٠٢٠٢٢٣٩١٣٣٥٤
فـــــاكس : ٠٠٢٠٢٢٣٩١٣٨٥٩
المحمـــــول : ٠٠٢٠١٢٣١٧٧٥١٠

فهرس المحتوى

تمهيد

لعل القارئ الكريم يتساءل هنا لماذا قمت باختيار بعض مقالات بعينها ونقلتها إلى العربية ، وأرجأت ترجمة مؤلفات كاملة كما فعلت من قبل .

لا ريب فى أن الإجابة عن هذا السؤال تفسر هذا الاختيار . فلقد قدمت للقارئ الكريم من قبل مجموعة من المقالات المختارة التى تشتمل على مجموعة من الأفكار المهمة التى قُدِّمت فى صور مطولة أحيانا ومركزة أحياناً أخرى ، ويصعب على القارئ الوصول إليها ، لأنها إما أنها مبثوثة داخل أعمال جماعية ليست فى متناول أغلب من يُعنَى بهذا الاتجاه البحثى ، وإما أنها صدرت فى أعمال حديثة ليست متوفرة بين يدى القراء إلى الآن . وتتسم المجموعة المقدمة هنا بأنها أكثر تركيزاً ، وأظن أنه ليس لدى القارئ معرفة بأسماء أغلب مؤلفها ، كما أنها تجمع بين توجهات مختلفة فى مرحلة من أهم مراحل تأسيس هذا الفرع اللغوى ، أعنى علم النص بوجه عام ، وبحوث حديثة ترجع إلى مرحلة المراجعة والنقد ، إذ إنها تطرح تساؤلات مهمة للغاية ، منها : علم لغة النص إلى أين ؟ ماذا قَدَّم ، وما الذى يجب أن يُعْنَى به مستقبلاً ؟ ما المسارات التى تختص بها علم النص فى الوقت الحاضر ؟ وما المهام والخطط التى يجب عليه أن ينفذها ؟ إلى آخر تلك التساؤلات التى ترسم صورة واضحة المعالم لهذا العلم .

وقد اختيرت هذه المجموعة المترجمة هنا – وكما أشرت آنفاً – من دراسات جماعية ، اهتممت فيها بالمتن أساساً ، ولم أورد من التعليقات إلا ما هو ضرورى لفهم مصطلح أو عبارة أو فكرة أستشعر فيها صعوبة على القارئ .

وقد حرصت على أن يتضمن هذا الكتاب عدداً أكبر من المقالات المختارة حتى تزداد الفائدة . وقد سار عرض هذه المقالات وفق ترتيب مقصود ، إذ قدمت المقالات الأحدث حتى يدرك القارئ المدى الذى وصلت إليه بحوث علم لغة النص بعد أكثر من نصف قرن من العمل الجاد فى اتجاهات مختلفة فى بلدان مختلفة ، وإن كان محورها هنا ألمانيا سواء أكانت ألمانيا الموحدة حالياً أو ألمانيا الغربية أو الشرقية سابقاً . وهى تجمع بين التأصيل النظرى ، ومناقشة الأفكار قديمها وحديثها ، واقتراح نماذج تحليلية والدرس التطبيقى على لغات مختلفة .

لقد أردت فى البداية الاكتفاء ببعض المقالات المكملة للمجموعة الأولى . ولكن بعد أن فرغت منها وجدت أنه ربما كان من الأفضل إيضاح جوانب أخرى ، بدت لى أكثر أهمية فى الوقت الراهن . ومن ثم كان اختيار الجزء الأول من هذه المجموعة من كتاب (مستقبل علم لغة النص) ، وهو عبارة عن مقالات عنى بالإشراف عليها وإصدارها كل من جيرد انتوس ، وهايكه تيتس ، وقد نشر فى سلسلة علم اللغة الجرمانى (١٨٨) ، توبنجن ١٩٩٧ م . وقد اخترت منه ست مقالات ، هى المدخل : علم لغة النص ، إلى أين ؟ لجيرد انتوس وهايكه تيتس (من هالّه) ، وعلم لغة النص : نحو آفاق جديدة لروبرت دى بوجراند (من فيينا)، وهى من أهم مقالات الكتاب الذى حمل العنوان ذاته لهذه المقالة ، والنص المنظور لڤولفديترش هارتونج (من برلين) ، والنصوص أشكال تكوين المعرفة لجيرد أنتوس (من هالّه) ، والتناص لانجليكا لينكه وماركوس نوسباومر (من زيورخ) . وأخيراً مستقبل علم لغة النص لهايكه تيتس (من هالّه) . ويضم الجزء الثانى منها ثلاث مقالات من كتاب (مشكلات نحو النص) ، الجزء الأول ، المنشور فى برلين ١٩٧٦ ، بإشراف من فرانتيشك دانش وديتر فيهفجر ، وهما نحو تعريف للنص لزدنيك هلافسا (من براغ) ، وحول البنية الدلالية والموضوعية لأداة الاتصال لفرانتيشك دانش (من براغ) ومن النص إلى الموضوع لارهارد اجريكولا (من برلين) . ويضم الجزء الثالث منها ثلاث مقالات من كتاب (مشكلات نحو النص) ، المنشور فى برلين ١٩٧٧ م بإشراف كل من دانش وفيهفجر أيضاً، وهى نمط النص نمط تواصل لماكس بفوتسه ودُجمار بلاى (من درسون) ، وحول بعض مسائل أساسية فى نظرية النص لكاريل هاوزنبلاس (من براغ) ، وحول وضع مستوى النص لفرانتشيك دانش (من براغ) . وتعد هذه المقالات من هذين الجزءين تكملة لمجموعة المقالات التى ترجمتها فى كتاب آخر سابق . ويضم الجزء الرابع والأخير منها خمس مقالات من كتاب (علم لغة النص) الذى حرره ڤولفانج درسلر ، ونشر فى درامشتات ١٩٧٨م ، وهى علم لغة النص مهمة لغوية لبيتر هارتمان ، وهو من كبار مؤسسى هذا الاتجاه . وحول التحليل اللغوى لبنية النص لفرانتيشك دانش ، وقد حظى بمساحة كبيرة فى هذا الكتاب إذ ترجم له ثلاث مقالات . والإحالة النصية (الإحالة المتقاطعة) لبوهوميل پاليك وهو

تشيكى أيضاً ، وأخيراً مقال تطبيقية على علم اللغة اليابانية ، وهى قيود نصية للنحو لجون ف . هندس ، ومقالة تطبيقية على اللغة الإنجليزية ، وهى علاقات سياقية بين الجمل فى الإنجليزية لجرهارد نيكل .

وهكذا تجمع هذه المقالات بين اتجاهات مختلفة ، وربما يتاح للقارئ العربى للمرة الأولى أن يتعرف أعمال مجموعة من أعلام مدرسة براغ بخلاف ياكوبسون وتروبتسكوى المشهورين ، وهم فرانتيشك دانش ، وكاريل هاوزنبلاس وبوهوميل پاليك وزدنيك هلافسا . وهذا يؤكد من وجهة نظرى أن أعمال هذه المدرسة تحتاج إلى إعادة قراءة . وربما كانت اللغة عائقاً أساسياً دون انتشار أفكار هذه المدرسة الوظيفية . ويرجع الفضل إلى بعض علماء ألمانيا الشرقية سابقاً فى التعريف بأهم نتاجاتها وتعريف عالم الغرب بها ، ولا يختلف الأمر كثيراً بالنسبة لجهود علماء الروس . فقد وقفت اللغة الروسية عائقاً دون انتشار أفكار علماء كبار مثل شوميان وأباييف وليونتيف وزندر وابرزيان وتشلوفسكى واخمينوفا وغيرهم . ولولا ترجمة أعمال النقاد الروس إلى الفرنسية أو الإنجليزية لما عُرفت أعمال باختين وبروب ومكاروفسكى وغيرهم .

ويلاحظ هنا بشكل عام إلى جانب صعوبة بعض التصورات المطروحة ، وكثرة المصطلحات وخصوصية مضامينها على نحو لافت للنظر ، وبخاصة المصطلحات المنطقية والفلسفية والرياضية ، كثرة الرموز المنطقية والرياضية . بيد أن هذا النهج راسخ فى الدراسات اللغوية الحديثة ، فكثيراً ما يستعان بالمفاهيم والمصطلحات والرموز من العلوم المختلفة . وقد قمت بتفسير كل ذلك حتى لا تمثل صعوبة لدى القارئ تحول دون متابعة القراءة وفهم المضمون .

ويلاحظ هنا أيضاً الاختلاف فى الصياغة ودرجة الوضوح فى هذه المقالات. وربما تتحكم فى ذلك عوامل عدة بعضها يرجع إلى المؤلف ذاته ، وبعضها يرجع إلى طبيعة الموضوع المطروح . ولذا كانت الموضوعات التى تستند إلى مرجعية فلسفية ، تتطلب مجهودا أكثر لتذليلها والتغلب على مشكلات الصياغة والاصطلاح ، فى حين أنه كانت الموضوعات التى تنتهج نهجاً لغوياً بحتاً وإن اعتمدت أحيانا على الأشكال والرموز أكثر سهولة وإفادة ، لأنها تعكس وجهة نظر الكاتب بوضوح .

وبعد ... فهاأناذا أفى بما وعدت تنفيذاً للخطة المرسومة لنقـل الأفكـار الجوهرية فى الاتجاه النصى من الكتب الأصول حتى يمكن تمثلها تمثلاً سـليماً ، وتوظيفها توظيفاً دقيقاً وواعياً . وبرغم كل الصعوبات فإنى أزداد كل يوم يقينـاً بأن لغتنا قادرة على حمل هذا العلم الحديث إن بذل أبناؤها الجهد اللازم لأداء هذا الدور . وأخيراً يسعدنى ويثلج صـدرى دائمـا أن أتلقـى مـن القـراء الكـرام استدراكاتهم وملحوظاتهم القيمة ، حتى تتحقق الفائدة المرجوة بإذن الله .

" ربنا لا تؤخذنا إن نسينا أو أخطأنا ..."

إنك وحدك ولى التوفيق والهادى إلى سواء السبيل ...

سعيد حسن بحيرى

القاهرة فى ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٨ م

جيرد أنتوس / هايكه تيتس (هالّه)

مدخل : علم لغة النص ، إلى أين ؟ (*)

علم لغة النص ، إلى أين ؟ بهذا السؤال المفعم بالتلميحات ينهى المؤلفان فولفجانج هاينه مان وديتر فيهفجر فى كتابهما « علم لغة النص » الذى ارتُقِىَ به فى تلك الأثناء إلى مستوى الكتاب المرجعى الفصل التمهيدى حول : ما المقصود بعلم لغة النص ، وما أهدافه ؟ (**)

وربما يعد السؤال : علم لغة النص ، إلى أين ؟ فى الوقت الحاضر أكثر أهمية من عشر سنوات مضيت ، حين توفر الكتاب الذى صدر سنة ١٩٩١ م فى مسودة ، ولكن لم يكن فى الإمكان ظهوره لأسباب خاصة بجمهورية ألمانيا الديمقراطية . ولايعنى علم لغة النص ، إلى أين ؟ بالنظر إلى القرن الذى أوشك أن ينتهى – وليس : ماذا يبقى من علم لغة النص ؟ إنه السؤال الذى سيطرح بشكل أكثر شيوعاً بالتأكيد فى السنوات القادمة فى سياق صور استعادة الماضى الممكنة ، بل يتعلق الأمر – وهذا يكمن خلف عنوان الكتاب – بسؤالين لم يُعَرب عنهما : ما مستقبل علم لغة النص ؟ وربما يقترن به أيضاً السؤال : هل ما يزال ثمة مستقبل لعلم لغة النص – بالنظر إلى دينامية البحث فى محيط منافس ؟

وحتى يمكن أن نجيب عن هذا السؤال يجب ابتداءً أن يُحدد ما يأتى :

منذ حوالى ٢٥ سنة صار علم لغة النص فرعاً أساسياً من الفروع العلمية . وفى أثناء هذا الوقت استأنف وواصل فى شكل جديد صور إرث قديمة (مثل : نظرية الأجناس ، والبلاغة ،والأسلوبية ،والحجاج ،والسرد) وتحول من علم

(*) عنوان هذه المقالة هو : Gerd Antos / Heike Tietz (Halle), Einleitung : Quo vadis, Textlinguistik (من X : VII) من كتاب: Die Zukunft der Textlinguistik, Traditionen, Transformationen, Trends, von Gerd Antos/ Heike Tietz (Hgg.) Max Niemeyer Verlag, Tübingen 1997. (مستقبل علم النص)

(**) نقلت هذا الكتاب إلى اللغة العربية ، ونشر فى مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ٢٠٠٤م، ويشغل هذا الفصل الأول المشار إليه حوالى ٩٠ صفحة (من ١:٩١) ، والملخص المذكور تحت عنوان هذه المقالة من ٩١ :٨٩ .

موجه فى البداية توجيهاً نحوياً ، ثم براجماتياً (برينكر ١٩٨٥) . إلى علم موجه بقوة توجهاً على أساس لغوى معرفى . واليوم يطرح السؤال الآتى : كيف يستجيب علم لغة النص لاتجاهات جديدة ، أى كيف اتخذ موقفاً من بحث إنتاج النص وبحث تلقيه (انتوس / كرينجس ١٩٨٩ ، وكرينجس / أنتوس ١٩٩٢ ، وفان دايك / كينتش١٩٨٢ ، وريكهايت / شترونر ١٩٩٣) وبخاصة من الوسائل الجديدة (مثل: النص المتشعب / الجامع / الالكترونى / الترابطى) : ما نتائج ذلك بالنسبة لتحديد مجال الموضوع ؟

ما التطورات المنهجية اللاحقة التى يجب أن تُسجَّل ؟ ما الطرائق والمحاور الرئيسية التى تغلب على علم لغة النص فى الوقت الحاضر (انظر مثلاً نوسباومر ١٩٩١، وبورتمان ١٩٩١) ؟ و: كيف يمكن أن يتغلب فى المستقبل على اتجاهات جديدة أو أن يتشكل مع اتجاهات جديدة ؟

لننظر فى هذه الأسئلة حول مستقبل علم لغة النص على نحو أكثر دقة : هل لم يؤد علم لغة النص الذى ارْتُقِىَ به إلى « علم النص » (فان دايك ١٩٨٠) فى العقود الثلاثة الأخيرة فى علم اللغة إلا دورَ زائر أم غَيَّر جلده – على نحو مشابه لعلم العلامات – إلى « علم مدمج » ؟ هل بقى برغم هذا الزمن الطويل آخر الأمر ظاهرة موضة (تقليعة) فقط ؟ أم أنه يدخل فى المحيط المؤسس لعلم اللغة ، لعله يصير لب أو محور فروع لغوية ؟ وإذا كان ذلك كذلك فما النبوءات حول مستقبله التى يمكن أن توضع ؟ أم أن هذه الأسئلة لا تطرح إلا لأن علم لغة النص / قد دخل فى مرحلة تداخل لا رجعة فيها ، بحيث تبدو الأسئلة عنه غير مناسبة ، مثل الأسئلة عن مشروعية وجود الفونولوجيا أو علم الدلالة أو البحث النحوى مثلاً .

على كل حال : استقرت النماذج المحتذاة فى التفكير للتخصيص الجديد فى حد ذاتها ، وصارت راسخة بلا خلاف . فقد كُتِبَت المؤلفات المداخل والعامة المميزة لفروع علمية (يُذكر بعضها فقط : جوليش / رايبله ١٩٧٧ ، وفان دايك ١٩٨٠ ، وبرينكر١٩٨٨ ، وبوجراند / درسلر١٩٨١ ، وسوينسكى١٩٨٣ ، وفاتر١٩٩٢) .

فقد صار علم لغة النص فى غنى عن الشكوى من استجابة غائبة فى المؤسسات التعليمية الأكاديمية . ويسرى هذا على القبول داخل القائمة المدمجة

لعلم اللغة : فقد أدمجت المؤلفات المداخل علم لغة النص فى علم اللغة إلــى حــد بعيد بوصفه علماً فرعياً (لينكه / نوسباومر / بورتمان ١٩٩١) . وأخيراً يمكن أن يُعزى إلى علم لغة النص شرف تلقى علوم متداخلة أيضاً . وربما يصح أيضاً بشكل متفائل أن علم لغة النص يُورَد فى مجموعة من « مراجع مختصرة فى علم اللغة وعلم الاتصال » ، تمثل وضع علم اللغة المكتوب بالألمانية على الأقل فــى العقد المنصرم على نحو ربما لا يمثله مرجع آخر .

بيد أنه من جهة أخرى لا يمكن ألا يُلاحظ أيضاً أن : علم لغة النص استطاع أن يتحرر إلى حد بعيد – بحمد الله – من دوره المسند إليه فى تلك الأثناء « كعلم لغة – بديل » (فى مقابل النحو تقريباً) ، ولكن من الصعوبة بمكان تقدير إلــى أى مدى تحرر من الصورة التى رُبطت بذلك . وبرغم الإرساء الدولى مــا يــزال علم لغة النص يبدو فى الغالب فرعاً أوربياً لعلم اللغة . وقد أفاد الاتساع المتداخل ليشمل « علم النص » ، وإن كان بوسم لغوى ، فى إبراز معالمه الخاصة إلى حد ما فقط .

وكما تبين منذ الثمانينيات على أقصى تقدير ، فَقَدَ علم لغة النص بظهــور تحليل الحديث أو المجادثة إن صح التعبير ابناً توهمت شرعيةً نسبةٍ . وأثرى دمج البلاغة ، ونظرية الحجاج والأسلوبية فى علم لغة الــنص مــن جُهــة جوانــب براجماتية محورية ، بل صقل معالم مميزة أيضاً . ولا يمكن أن يُعَوَّض تماماً هذا الفصل للفرع العلمى بتلقى علم لغة النص – فى بحث لغات متخصصة أو فى علم اللغة التعاقبى ، حتى الجزء المحورى من علم لغة النص – وهو إشكالية الأشكال والنماذج النصية (كلماير ١٩٨٦) – يبدو أنه بالأحرى لا يتقــدم فــى الوقــت الحاضر .

وظفر علم لغة النص بتأثير العلوم المعرفية ، ونماذجها باتــصال بأحــدث أوجه التطور ، ومن ثم الفعلية منها (بوجراند / درسلر١٩٨٢) . وفى الوقــت نفسه يهدد هنا التآكل البالغ الشدة على نحو محتمل الموضــوع المــستقل : لأن النص بوصفه نتاجاً يُحَلَّل فى إطار العلوم المعرفية بشكل منظم من أجل عمليــات وقضايا إدراكية. وحَوَّلت طرائق تلقى النص وإنتاجه بوجه عــام الاهتمــام مــن التحقق اللغوى إلى عمليات واستراتيجيات إدراكية ، ومن ثم مــن الإنتــاج إلــى

العملية على نحو أشد . ومن البديهى أن هذه المقابلة لم تكن لمدة طويلة واضحة وجلية مثلما تظهر الآن : لأن كثيراً مما سرد هنا بشكل متوازن يبين فى الحقيقة ملامح مزدوجة القيمة .

ولإيضاح ذلك ببعض الامثلة : هل يعد بحث الكتابة – الممثل فى هذا الكتاب بقوة أيضاً – (أنتوس / بوجنر١٩٩٥ ، باورمان / ڤاينجارتن١٩٩٥) شكلاً من علم لغة النص أو ربما منافساً له ؟ ما علاقة علم لغة النص بمجالات التطبيق مثل بحث اللغات المتخصصة أو (علم) الترجمة ؟ ما نتائج الوسائل بالنسبة للمفهوم الشائع للنص (يقصد المرء ظاهرة النص الجامع / الالكترونى / الترابطى / المتشعب) ؟ أو : ما تأثير نتائج من مجالات المنهجية الاثنية (العرقية) وعلم الدلالة وعلم العلامات أو علم نفس الإدراك (مثل بحث التلقى) ؟

هذه هى بعض الأسئلة والمشكلة الفعلية – كما تبدو لنا – بقدر ما تكون الآن الإجابة عن الأسئلة أو حتى حل المشكلات مستحقة ، بل إن صياغة الأسئلة والمشكلات وتحديدها من الأهمية بمكان أيضاً . وقد جعل هذا الكتاب من هذا مهمته قبل أى شئ . ويتبين فى ذلك فحوى – ربما مفاجئة – كثير من الإسهامات فى السؤال عن مستقبل علم لغة النص : وبالنظر إلى علم لغة النص ، وإلى الطرائق المستخدمة المذكورة على حد سواء لم تُحَدَّد أية مطالب ، ولم تُعزَ أية تحفظات ، ولم تُجَر أية تحديدات فاصلة أيضاً . بل يبدو علم لغة النص كأنه نقطة تلاقى الحركة ، حيث تتجمع طرق كثيرة ، بل تتخذها منطلقاً لها فى اتجاهات مختلفة . ولو صحت صورة علم لغة النص على أنه محطة انطلاق ومرور كثير من أوجه التطور (الحديثة أيضاً) فإنه قد لايجاب فى الحقيقة عن السؤال عن مستقبل علم لغة النص ، بل يُرسَم الاتجاه لإجابة صحيحة بشكل متفائل .

إن هدف هذا الكتاب أن يقابل الاتجاهات المحافظة التى رُصدت أحياناً فى السنوات الأخيرة فى علم لغة النص بتصور ليس تبريرياً – مُحَدَّداً ، بل يتناول بوعى أوجه تطور حديثة توسع علم لغة النص إلى مجالات تطبيق معروفة ، وتحاول بالإضافة إلى ذلك أن تعين تأكيدات أخرى فى النظرية والتطبيق .

ومن ثم تتناول الإسهامات فى عدد كبير منها بشكل صريح أو ضمنى طرائق أحدث أو منظورات مُوضّحة ، يمكن أن تُكسَب علم لغة نصى بشكل مستمر فـى التطور حوافز جديدة .

ويمكن فى إطار هذا الهدف أن تُقَسم الإسهامات المقدمة بوجه عام إلى سبع نقاط رئيسية فعلية هى :

١- مفهوم النص ووظائف علم لغة النص : محاولات تحديد (هارتونج ، أنتوس ، بوجراند ، بوشل ، تيتس) .
٢-العلاقة بين النص والنص – البينى (فيكس ، ولينكه / نوسباومر) .
٣-العلاقة بين علم لغة النص وبحث الكتابة (بورتمان / تسليكاس / وبوجنر) .
٤-استنتاجات من وسطية النص (زاور ، وياكوبس) .
٥-علم لغة النص والترجمة / النقل (ويكتروفيتش / زمودسكى) .
٦-علم لغة النص فى بعده التاريخى (منجل) .
٧-علم لغة النص والتعليم (هورتونج) .

لقد طرحت الإسهامات المدرجة فى هذا الكتاب فى حلقة نقـاش دوليـة أقيمت لتكريم فولفجانج هاينه مان لبلوغه سن السبعين من ٨ إلى ١٠ مارس ١٩٩٦ فى هاله / ساله[1] . وإلى جانب البحوث أسـهم الـضيوف الآتـى أسماؤهم بشكل جوهرى فى نجاح المؤتمر : كلاوس برينكر ، وكارل ديتر – بونتينج ، وكونرد ايليش ، وفولفجانج هاينه مان ، وهورست زيتا، وبرنـارد سوينكى وآخرون .

المراجـع

Autos, Gerd/Krings, Hans P. (Hgg.) (1989): Textproduktion. Ein interdisziplinärer Forschungsüberblick. - Tübingen: Niemeyer.

Autos, Gerd/Pogner, Karl Heinz (1995): Schreiben. Studienbibliographien Sprachwissenschaft 14. - Heidelberg: Julius Gross.

(١) نريد أن نشكر فى هذا الموضع هيئة DFG وجامعة مارتن لوتر – هاله – فيتنبرج لدعمهما المادى.

Antos, Gerd/Brinker, Klaus/Heinemann, Wolfgang/Sager, Sven (Hrsg.) (in Vorbereitung): Text-und Gesprächslinguistik. Ein internationales Handbuch zeitgenössischer Forschung. (Handbücher zur Sprach- und Kommunikationswissenschaft). - Berlin: de Gruyter.

Baurmann, Jürgen/Weingarten, Rüdiger (Hrsg.) (1995): Schreiben. Prozesse, Prozeduren, Produkte. - Opladen: Westdeutscher Verlag.

Beaugrande, Robert-Alain de/Dressler, Wolfgang (1981): Einführung in die Textlinguistik. - Tübingen: Niemeyer.

Gülich, Elisabeth/Raible, Wolfgang (1977): Linguistische Textmodelle. Grundlagen und Möglichkeiten. - München: Fink (UTB 130).

Heinemann, Wolfgang/Viehweger, Dieter (1991): Textlinguistik. Eine Einführung. - Tübingen: Niemeyer.

Kallmeyer, Werner (Hrsg.) (1986) : Kommunikationstypologie. Handlungsmuster, Textsorten, Situationstypen. (Jahrbuch 1985 des IdS, Sprache der Gegenwart 67). - Düsseldorf: Schwann.

Krings, Hans P./Antos Gerd (Hrsg.) (1992): Textproduktion. Neue Wege der Forschung. - Trier: Fokus.

Linke, Angelika/Nussbaumer. Markus/Portmann, Paul R. (1991): Studienbuch Linguistik. - Tübingen: Niemeyer.

Nussbaumer, Markus (1991): Was Texte sind und wie sie sein sollen. Ansätze zu einer sprachwissenschaftlichen Begründung eines Kriterienrasters zur Beurteilung von schriftlichen Schülertexten. - Tübingen: Niemeyer (RGL 119).

Portmann, Paul R. (1991): Schreiben und Lernen. Grundlagen der fremdsprachlichen Schreibdidaktik. - Tübingen: Niemeyer.

Rickheit, Gert/Strohner Hans (1993): Grundlagen der kognitiven Sprachverarbeitung. - Tübingen: Franke (UTB 1735).

Sowinski, Bernhard (1983): Textlinguistik. Eine Einführung. - Stuttgart: Urban.

Vater, Heinz (1992): Einführung in die Textlinguistik. Struktur, Thema und Referenz in Texten. -München: Fink.

روبرت دى بوجراند (ڤيينا)

علم لغة النص : نحوَ آفاق جديدة ؟ (*)

فى بعض الجوانب ليست آرائى حول تطور علم لغة النص شائعة إلى حد بعيد ، ولاتختلف عن وجهات نظر ڤولفجانج هاينه مان، (١) كما نجدها فى كتابه المشترك مع ديترفيهفجر الذى توفى من مدة قصيرة جداً سنة ١٩٩١ . ولكن اشتراكى فى علم لغة النص قد حدث من خلال منظور مغاير تماماً ، لم يُوجَّه أساساً إلى علم اللغة ، بل إلى الترجمة ، والنقد ، وجماليات التلقى (انظر بوجراند ١٩٧٨) ، وظهر لى فى ذلك أن علم لغة النص أكثر جدوى بكثير من علم اللغة النظامى الشكلى فى صياغات مختلفة ، على نحو ما يقابلنا مثلاً فى نموذج – المستويات للترجمة الهش لكاتفورد (١٩٦٥) .

وتبدو المقابلة بين علم لغة النص وعلم لغة الجملة التى أدرجت منذ الستينيات والسبعينيات حتى الثمانينيات (انظر ستوفى ١٩٧٩) ، غير مرضية من منظور تاريخى . بل إنى أرى أن علم لغة النص نشأ أصلاً لمعالجة مشكلات محددة معالجة أفضل ، وقعت فيما يسمى علم لغة الجملة ، وقد فسِّر فيما بعد فقط بأنه برنامج مضاد مقصود. ولذلك أطرحُ كخلفية مناسبة تُقدَّر بناءً عليها القيمة الموقعية مقابلتين أساسيتين أخريين .

وتعد المقابلة الأولى معروفة تماماً : بين علم اللغة الوصفى وعلم اللغة التوليدى . وقد كان علم اللغة النصى المبكر ممثلاً فى كلا المعسكرين ، ففى علم اللغة الوصفى أُدخِل النص بوصفه « الوحدة التالية الأعلى برتبة فوق الجملة » ،

(*) نشأ هذا الإسهام أول الأمر فى صورة شريط ڤيديو لمؤتمر لم يكن فى الإمكان عرضه لأنه اختفى فى البريد السريع على نحو لاتفسير له ، بيد أن نسخة من شريط الفيديو ما تزال يمكن الحصول عليها لدى المؤلف. وأشكر اندريه هايلدبورج أصدق الشكر لأنها أنجزت من المدرج الصوتى نسخة مكتوبة استخدمت أساساً لهذه الصياغة النهائية ، وكذلك أ.د/ بربارة زايد لهوفر لتعليقاتها واقتراحاتها الدقيقة.

(١) عنوان هذه المقالة هو : Robert de Beaugrande (Wien) : Textlinguistik : Zu neuen Ufern ? من ص ١:١١ من الكتاب السابق .

وفى علم اللغة التوليدى كان النص « تتابعاً محكم الصياغة من جمل جيدة السبك ».بيد أن لهذين الاتجاهين حتى الآن علاقة يسيرة ، وذلك لأسبابهما الخاصة : ففى علم لغة الوصفى عُرِّفت الجملة على سبيل المثال من بلومفيلد (١٩٣٣) بوضوح بأنها« أكبر وحدة لغوية » وفى علم اللغة التوليدى صُيِّرت الجمل حقيقة مقررة . ولايجيز التعريف الموجود هناك للغة ما بأنها « كم لانهائى من الجمل » (تشومسكى ١٩٥٧) إلا أن تتراءى على غير مثمر معالجة وحدات أكبر . أما المقابلة التى أكدها أساساً تأكيداً يسيراً فتختص بمعالجة مواد لغوية . فقد صاغ المراحل المبكرة لعلم اللغة بشكل حاسم مايسمى بحث المجال fieldwork الذى قدم فى رأيى النتائج الأهم والأبقى لعلم اللغة الحديث بأكمله. بيد أن اللغوى فى هذا العمل فى وضع صعب ، بله استعلامى ، تُجابه فيها اللغة فى الواقع العملى مجابهة تامة . ومن الممكن أن يرد أن اللغويين أنفسهم الذين دافعوا عن نظرية مجردة وشكلية للغة ، مثل بلومفيلد ثانيةً (١٩٣٣) ، رأوا الاكتفاء فى بحث المجال بالحفاظ على علاقة جدلية بين النظرية والتطبيق . وفضلاً عن ذلك أُجبر اللغوى (باحث المجال) ، دائماً على اختبار فروضه بأن يهبط من النظرية "البحتة" وأن يشارك فى الواقع الاتصالى فى المجتمع . فإذا كانت فروضه خاطئة فإنه سرعان ما يواجه حيرة أو عدم فهم أو عدم صفاء .وهكذا فقد اختبرت نتائج بحث المجال كثيراً ، قبل أن تبلغ إلى أوساط أوسع . وليس للمنهج الآخر اسم رسمى ، وأقترح أن يطلق عليه علم اللغة الخاص بالعمل المنزلى homework وهو إلى حد ما« Heimwerklinguistik » وكما يشى الاسم يعمل اللغويون فى المنزل (أوفى المكتب) فى انفصال حاسم للغاية منهم أنفسهم عن الواقع اللغوى . حينئذ سرعان ما ينشأ خطر الاستهانة بالواقع الاتصالى أو عدم الالتفات إليه مطلقاً ، وبخاصة حين يتخذ اللغويون دور « المتكلم المثالى صاحب اللغة » أو المتكلم – السامع أيضاً بمفهوم تشومسكى (١٩٦٥) . هنا يصير ، كما نشهد ذلك غالباً فى علم اللغة الشكلى، بناء النظرية سريع التضخم ، وتُفترض بشكل غير نقدى فروض بحتة دون اختبار كاف فى الواقع .

وربما كان علم اللغة هذا ، من الناحية التاريخية فصلاً مبدئياً للنظرية عن التطبيق (بوجراند ١٩٩٦ أ ، فى نشرة أ) . وقدم النموذج لذلك علم اللغة الدو

سوسيرى من خلال جنوحه إلى فصل اللغة عن الكلام بعضهما عن بعض فصلاً صارماً لوصف اللغة بوصفها نظاماً تزامنياً مجرداً ، خارج الزمن والتاريخ (بوجراند ، فى نشرة أ) .

وقد أثارت هذه الهوة الأساسية الحادثة عن ذلك بين النظرية والتطبيق فى العقود اللاحقة مشكلات عسيرة كثيرة . وقد افترضت فقط إمكانية وصف هذه اللغة المجردة حقيقةً . ولم تنشأ آنذاك أدلة مقنعة على أن هذا النظام يوجد فى شكل يمكن اختباره تجريبياً على نحو ما . ولذلك طرح علم اللغة الدوسوسيرى بشكل إجبارى لتكوين / لبناء « اللغة » ذاتها ، وذلك من خلال تضخيم نظرى محض .

وقد أسفرت عن مفهوم اللغة بوصفها نظاماً من وحدات صُنِّفت من خلال مقابلات بعضها إلى بعض فى النظام بدقة بأن يفترق بعضها عن بعض ، نجاحات طيبة إلى حد ما . هناك تسنى لعلم اللغة اختراق كبير باكتشاف نظام مجرد ، يقابل فيه بشكل مقنع ويمكن إثباته بين الوحدات الكلامية النظرية « الفونيمات » والوحدات الفعلية للأصوات اللغوية . وبذلك سُوِّيت بشكل مرضٍ بادئ الأمر العلاقة بين النظرية والتطبيق .

بيد أن الفونيمات كانت وحدات لغوية غير نمطية باعتبار أنها كان يجب النص عليها بسهولة غير عادية فى النظرية والتطبيق ، إذ حددت بناءً على جهاز الكلام المشترك وأوجه الحدوث النطقية . / أما فى المورفولوجيا فكان النجاح حقيقةً أكثر تواضعاً . فقد قابلت الوحدة النظرية « المورفيم » عدداً كبيراً من الوحدات الفعلية ، على سبيل المثال : السابقة ، واللاحقة ، والنهاية ، وجذر الكلمة.

وتعد المورفيمات بمعنى أصغر وحدات اللغة الحاملة للمعنى ، على النقيض تماماً من الفونيمات ، كثيرة للغاية . وهكذا تم حل وسط بأنه لايجب أن تستوعب المورفولوجيا الثروة اللغوية كلها ، وأُوصِلت الوحدات النظرية (المورفميات) إلى أقسام أو فصائل محدودة وصغيرة على الأقل . واستمرت الثروة اللغوية إجمالاً فى الزيادة فيما أطلق عليه علم المعاجم ، مجال اللغة ، الذى يُمَثَّل بصورة

ضئيلة إلى حدٍ ما فى برامج لغوية كثيرة (انظر بولينجر ١٩٧٠) لأنه يمكن أن يعالج على الأقل بالمناهج الشائعة لعلم اللغة .

وعلى النقيض من ذلك كان الوضع مع النحو مختلفاً اختلافاً جذرياً لأنه هناك لم يدرك بوضوح ما الوحدات النظرية التى ينبغى أن تُسند إليها الأدوار الرئيسية ، وأظهرت الوحدات العملية اختلافاً مربكاً . وهكذا فقد عولجت ببساطة وحدات مثل المركب، والجملة الفرعية والجملة الرئيسية والجملة تارة على أنها وحدات نظرية ، وتارة على أنها وحدات فعلية (عملية) وهو ما يمكن أن يؤدى إلى أوجه اضطراب خطيرة .

وإذا كان ممكناً أساساً فى الفونولوجيا والمورفولوجيا إكمال التحليل بعزل أصغر وحدات يستلزمها النظام ، فإن ذلك لم يكن فى النحو مفهوماً بأية حال ، أى كيف ينبغى أن يجرى التحليل ، ومتى يجب أن يعد منتهياً .

وتعقدت العلاقة بين وحدات نظرية ووحدات فعلية فى أغلب الأحوال من خلال أن النحو يمكنه أن يحدد من خلال ملاحظة المواد ذاتها النماذج بوجه خاص- كيف تنتظم الوحدات المختلفة فى سلسلة أفقية ، ولكن ليس من الممكن أن يلاحظ تحفيز هذا الانتظام ، ومبادئ هذه الأفقية . وهكذا لم يكن مفاجئاً أن علم اللغة قد عثر على الحل بافتراض مجال للأبنية التحتية (underlying structures) ، التى يمكن أن تفسر تحفيز هذا الانتظام الأفقى بدقة ، وينبغى أن تجعل التميز ممكناً . وفى تلك المرحلة كان ما يزال من غير الواضح أن أنظمة شكلية كثيرة إلى حد ما يمكن أن تُطَرح ، تستوعب بعض أوجه الانتظام الأفقية ، ولكن لا يستطيع نظام شكلى واحد أن يستوعب كل أوجه الانتظام الأفقية « جيدة السبك » وأن يستوعب هذه الأوجه فقط. وفضلاً عن ذلك قد تهدد الأمل بأنه يمكن أن يُقَدم كم ضخم من « المعايير والسمات» الشكلية المحضة ، وذلك حسب أى وحدات نظرية وفعلية قد افترضت ، وكيف تنتظم علاقاتها بعضها تحت بعض .

وسوف تتذكرون هنا المقابلة الأخرى المشهور: وهى بين بنية السطح وبنية العمق . وبقدر ما أرى لم يستهدف أى توحيد حول ذلك ، وهو كيف ينبغى أن تبدو بنية العمق حقيقةً ، وكيف تربط ببنية العمق على نحو مفهوم أو منطقى ما .

وكانت الفونولوجيا والمورفولوجيا قد حملت في وقت مبكر علم اللغة علـــى أن ينظر إلى اللغة على أنها نظام مُحَدَّد . ومنذ ذلك الوقت كان علم اللغة الحديث يبحث دائما عن قيود (contraints) ، تُحَدِّد بشكل مناسب مثل هذا النظام . هـذه ينبغي - بدورها حسب نموذج الفونولوجيا والمورفولوجيا - أن تكون فضلاً عن ذلك " لغوية محضة " ففي الفونولوجيا قُدِّمت بوضوح القيود من خـلال القـدرة التمييزية (الفارقة) للفونيمات وتحديدها النطقي . وفي المورفولوجيا اســتوعبت مجموعات من المورفميات الممكن تقييدها على أحسن وجه فهمـاً لا مثيـل لـه أيضاً، والمجموعات المنفتحة الكبرى مثل أصول المفردات من الأسماء والأفعـال التي تستمر الإشارة إليها في علم المعاجم . ولكن في النحو صار البحث الـدؤوب عن قيود (لغوية محضة) الطامة الفادحة. ولذلك يظهر هناك الخلاف حول طبيعـة القيود ومقدرتها غيرَ نهائي أساساً . وتضع النظريات اللغوية المختلفـة أجهـزة ضخمة من قيود مفترضة في العالم ، في حين تُهمل القيـود الفعليـة للتواصـل الواقعي بافتراض (ربما كان صحيحاً) أنها ليست كلها بأية حال (لغوية محضة) . ومن ثم فهي ليست كلها (نحوية محضة) أيضاً ، على الأقل ليست على نحو مـا فُهِم مصطلح (نحوى) بشكل رسمي اللغة الشكلي . وفي هذا الجانب كانت المطالبُ بنظرية للنحو ببساطة يتعذر تحقيقها ، لأن هذا النحو على حدة لا يمكن أن يقوم : فالقيود التي تعد ضرورية لتفسير بناء الجملة ، لا يمكن أن يوفرها النحو بوصفه مستوى شكلياً مستقلاً . ويجب أن ننظر إلى النحو على أنه تفاعل مستويات عدة، كما هي الحال في علم اللغة الوظيفي وبخاصة في مدرسة براغ (بوجراند ١٩٩٤، في نشرة ب).

وبحث علم اللغة الشكلي عن مخرج آخر ، بأن توجه إلى علم الدلالة ، الذى كان حتى آنذاك أقرب ما يكون مستقراً في الفلـسفة ، وزَوَّده بمكـون رسـمي . وعلى نحو تهكمي أنجزت هذه الخطوة مع تحفظ غير منتج : فعلم الدلالة ينبغـي أن يحافظ على نحو متمم على (الشكلية) الحالية للنحو . وإذا كان المرء قد قـرر منذ القدم أن المعنى والشكل يتقابلان بشكل قُطري ، فصحَّ إذن أن يعالج المعنـى بوصفه شكلاً . ويمكن أن تفسر هذه المهمة المتناقضة ، لماذا استُبعد علم الدلالة في (نظرية المعيار) إلى حد بعيد من دراسة الانتظام ، وزُجَّ به في دور (تفسيرى)

سلبى ، بوصفه عملية شكلية تنجز فى جمل منتظمة من قبل ووفق قواعد وسمات شكلية .

وبعد ذلك بقليل داهم البراجماتية (مع تغييرات ضرورية) مصير مشابه بأن أبقى أيضاً على تأثيرها فى علم اللغة الرسمى مع تحفظ " الشكلية " . وهكذا نشأ معرض آخر لقواعد شكلية ينبغى أن يصاحب " التفسير البراجماتى " . وفضلاً عن ذلك أدخلت الأفعال الكلامية بوصفها وحدات مثالية ، ظلت علاقتها بالوحدات الفعلية للتواصل غير موضحة (شيجلوف ١٩٩٢) .

وجاء انفتاح علم اللغة على الدلالة والبراجماتية فى الوقت ذاته تقريباً الذى جاءت فيه الحركات الأولى فى اتجاه " علم لغة النص " ، وأظن (لم أكن موجوداً فى أثناء ذلك ، ومن ثم لم أكن فرداً من المقاومة فى الساعة الأولى) أن المرء هناك أيضاً تطلع أساساً إلى اكتشاف " قيود" أخرى داخل متواليات جملية . وافترض فى هذه المرحلة ببساطة أن علم لغة النص – ويسوى ببساطة غالبا بنحو النص – عليه أن ينتصف لنفسه من خلال إثبات قيود شكلية توجد داخل متواليات جملية فقط ، وليس داخل جملة مفردة . وينبغى أن يقوم بهذه المهمة الهشة على لغة النص مع تحفظ الشكلية ذاته مثلما فى علم الدلالة والبراجماتية ، ولكن أبقيت لذلك القيود الجوهرية حقاً للنصية بالمعنى الأوسع على الهامش .

ونادراً ما كان فى إمكان أغلب اللغويين الأوائل أن يعرفوا إلى أى مدى يمكن أن يغير الاشتغال بالنصوص الطبيعة النظرية والفعلية لعلم اللغة . وقد فهمها بيتر هارتمان خير فهم . ولم يكن ذلك مصادفة أن هارتمان لم يكن " لغوياً" بالمعنى الضيق، بل عالم لسانيات صاحب ثقافة واسعة بشكل ملحوظ ، كان قد بدأها فى جامعة – هومبولت (اسم مغزى بالنسبة له) فى برلين . وهكذا لم يُحِط فى نظراته الأساسية بالتيارات الشديدة الاختلاف لعلم اللغة فحسب ، بل الفلسفة اللغوية فى العصور القديمة ، والوسطى ، والعصر الحديث أيضاً ، وكذلك علم العلامات المبكر والسيميوطيقا فى جوهره وعلم الشعر . وفى دراسته حول النحو والمعنى (١٩٦٤) الذى قد يتوقع أغلب اللغويين من عنوانه شيئاً ضيقا أساساً ، مجموعة مؤتلفة من الرياضيات والهندسة والموسيقى والرسم .

وربما لا ينبغى علىَّ هنا أن أذكر أن الإشكالية الأعمق لعلم اللغة لـم تـصر مفهومة إلا من خلال هارتمان ، وذلك من الكتابين " نظرية النحو " (١٩٦٣أ) ، " ونظرية علم اللغة" (١٩٦٣ ب) ، بل أعده أيضاً أستاذى الحقيقى ، برغم أنى لـم أكن معروفاً له إلا من خلال اتصالات شخصية .

ولذلك لا يجوز كذلك أن تكون مصادفة أن الخطوات الواسعة الأولـى فـى (علم لغة النص) الذى يعتد به فى المحيط اللغوى الألمانى كانت فى الغالب رسائل للدكتوراه، نشأت بإشراف هارتمان . وأتذكر على سبيل المثال أعمـال كـل مـن رونالد هارفج (١٩٦٨) ، وسيجفريد . ى . شميت (١٩٦٨) ، وفالتر أ . كـوخ (١٩٧١) ، وجوتس رينولد (١٩٧١) .

على أية حال لم يكن هارتمان فى رأيى قد تهيأ لتطوير علم لغـة للـنص ، يواصل علم اللغة الحالى بوجه خاص أو ينبغى أن يمده بـبعض القيـود داخـل متواليات جملية ، بل إن الأمر بالنسبة له يتعلق ببحث النص بوصفه وحدة نظرية وفعلية بحثاً سيميوطيقياً ، وفلسفياً ، وفينومينولوجياً، بل ولغويا أيضاً . وألـف كذلك بناءً مركباً للنظرية ، يمكن أن تدرج فيه جوانب مختلفة للنصوص ، لـيس لها إلى الآن فى علم اللغة الوصفى ولا فى علم التوليدى مقامٌ صحيح .

إجمالاً لعلى أرجح التأثيرات التى غطت مساحة فيما بعد لعلم لغة النص إلى أنْ وفر أقساماً مغايرة تماماً من القيود ، وقدم بذلك فرصة سانحة لأن تحل محل الهوة بين النظرية والتطبيق التى كانت قد وصلت إلى قمتهـا فـى علـم اللغـة التوليدى الموصوف بالعمل المنزلى ، جدلية حقيقية بين نظام مفتـرض ونظـام فعلى، على نحو ما وجدتها أولاً لدى هارتمان (١٩٦٣ أ) (ملخـص بالإنجليزيـة لدى بوجراند ١٩٩١) .

هذه الخطوة أعادت طرح كثير من المشكلات الأساسية التى كان علم اللغـة المبكر من خلال بنائه الضخم للنظريات قد أهملها أو حاد عنها . لقد حرر علم لغة النص علم الدلالة والبراجماتية من قميص الإلزام الشكلى – التفسيرى ، وتهيأ لأن يتلقى نتائج اتجاهات بحثية شديدة الاختلاف ، مثل المنظور الوظيفى للجملة فـى مدرسة براغ (لدى دانش ، وفيبراس مثلاً) ، ونظريـة الفعـل الروسـية (لـدى ليونتتيف ولوريا مثلاً) ونظرية النظام الإنجليزية (لدى هاليداى / حسن مـثلاً) ،

وعلم النفس المعرفى (لدى كينتش وروملهات مثلاً) ، والذكاء الاصطناعى (لدى شانك وودز مثلاً).وحاولت مع درسلر أن أحيط بهذا الموقف المترامى الأطراف – باعتبارنا أول من فعل ذلك حسبما أرى – فى المدخل المشترك (١٩٨١) الذى ظهر مع مضى السنين بالإنجليزية والألمانية واليابانية والإيطالية والعربية (*) والكورية والسلوفانية والبلغارية والأسبانية (على هذا التوالى) .

وثمة عرض مشابه يقابلنا مرة أخرى فى مدخل (إلى علم لغة النص) لهاينه مان وفيهفجر (١٩٩١) ، ولكن مع استنتاجات مغايرة إلى حد ما . ويشير المؤلفان بحق إلى " عجز خطير فى النظرية " فى علم لغة النص ، وإلى الحاجة إلى (تأسيس لهذا الفرع) (ص ٢٧٥ : ١٩٩١) . وقد قدمت الآن أساساً محتملاً (بوجراند ١٩٩٦ أ) ، ولكنه ليس مثل ما بدا أنه جال بذهن المؤلفين . فإنى أعد قبل أى شئ الرأى الذى وفقاً له يكون النحو مستقلاً نسبياً عن الأنظمة المعرفية الأخرى قريب المنال وقابلاً للنمذجة ، أعده بقية غير منتجة للتفكير الشكلى الذى كان قد أسرع بعلم اللغة الحديث نحو بحث غير موفق – وهو حكم إجمالى – عن قيود لغوية محضة وشكلية ، يجب أن يبتدعها اللغويون أنفسهم بشكل جزافى نظريا. وكذلك عُزف إلى حد بعيد عن المحاولات لإنشاء نحو شكلى للنص ، ويتذكر المرء مثلاً المشروع البحثى الطموح فى جامعة كونستانس فى بداية السبعينيات الذى خرج على نحو غير مرض إلى حد أنه قد أُحجِم كلية عن تقرير نهائى .

ويصح فى رأيى على الأرجح أن ينشأ النحو على أساس ثلاثى لغوى ، ومعرفى ، واجتماعى ، وأن يحدد من خلال بحوث تجريبية على مادة لغوية ضخمة للغاية (مدونة)، مثل مادة " بنك الإنجليزية " فى جامعة برمينجهام ، على أى نحو ينبغى أن يكون جيلنا القادم من النظريات من الناحية الشكلية أو الوظيفية (بوجراند ١٩٩٤ ، و١٩٩٦ أ ، و ١٩٩٦ ب) ، حيث قد يكون حلنا ، وظيفياً

(*) يقصد العمل الذى قام به كل من د . إلهام أبو غزالة وعلى خليل ،حمد الذى نشر بعنوان " مدخل إلى علم لغة النص " ، وهو فى الحقيقة ليس ترجمة بل يجمع بين التلخيص للفصول ودراسة تطبيقية على نصوص عربية . ومن ثم فالكتاب ما يزال لم يترجم كاملاً ترجمة دقيقة . (المترجم) .

بقدر الإمكان ، وشكلياً بقدر الضرورة . وقد قدمت مثل ذلك النحو وفق النمـوذج الوظيفى لهاليداى فى مجلدى الجديد حول " "الأسس " أيضا (بوجراند ١٩٩٦ أ) .

وإذا أعدنا النظر فى تطور علم اللغة الحديث فإن من المفهوم تماماً أنه يريد أن يكون علماً ، ينبغى ألا يبحث إلا اللغة فى ذاتها . وفى السنوات الأولى خُـشِى بحق من أن تحتويه العلوم المجاورة ، مثل علم الاجتمـاع أو علـم الـنفس أو الانثروبولوجيا أو الفلسفة أو النقد ، وأن يفسر القبـول المـتحمس لـه ، بـل والمصدق بسهولة لثنائيات دى سوسير بكل بساطة برغبة اللغويين فى ادعاء علم مستقل . بيد أن ذلك فى رأيى قد بيَّن فى أثناء ذلك بوضوح أن علم للغة . يراد له أن يظل داخل اللغة فقط ، . ولا يقرر إلا قيوداً " لغوية محضة " ، يتعرض فيمـا يتعلق بأهدافه الحقيقية من الوصف والتفسير إن آجلا أو عاجلاً لعلاقـة متبادلـة بين المكسب والخسارة : فكلما ازداد فصل علم اللغة للغة عن المعرفـة بالعـالم للغويين والمجتمع الذى يحيون فيه ، فإنه تتحقق بذلك على الأقل خطوات مهمة ووثيقة الصلة فى الوصف والتفسير – فى وصـف وقـائع " لغويـة محـضة " وتفسيرها .

أريد أن أوضح هذه الحجة بمساعدة السؤال الآتى : ما وحدة النص ، وأين يُصنَّف بالنظر إلى الوحدات اللغوية الأخرى . وفى فترة علم لغة الـنص المبكـر أحدث علم اللغة الوصفى مشكلات صغرى بأن أدخل النص (كما قيـل) ببـساطة بوصفه " وحدة ذات رتبة أعلى " تالية ، ذلك مثلاً حين افترضه كـلاوس هِجـر وحدة رابعة فى طبعة جديدة لكتابه: فقد صار من المونيم ، والكلمـة ، والجملـة (١٩٧١) بعد ذلك المونيم ،والكلمة، والجملة ، والنص (١٩٧٦) . ولكنى أذهـب مرارا إلى الرأى القائل إن هذا البناء للنظرية الذى يريد أن يجعل اللغة تُدرك على أنها سلسلة من المستويات أو من المستويات اللغوية كان ويكون أكثر إشكالية ، حيث لم يُعتَرف به بوجه عام إلى الآن (بوجراند ١٩٩٤) .

وتُعَالج المستويات مستقلة بعضها عن بعض على الأقل . وفى منتصف هذا القرن طالب بعض اللغويين الأمريكيين بفصل مطلق للمستويات ، واستبعاد المعنى أيضاً . ولكن ظل المطلبان لم يُوفَّ بهما ، واعتاد كثير من اللغويين على اتخـاذ

ناقل عقلى بين المستويات ، وذلك حين يبدلون التفكير من الفونوجيا إلى النحو ، وبذلك يتجنبون السؤال المحرج حول كيف تتعاون هذه المستويات كلها بعضها مع بعض فى إنتاج نصوص صحيحة وتلقيها .

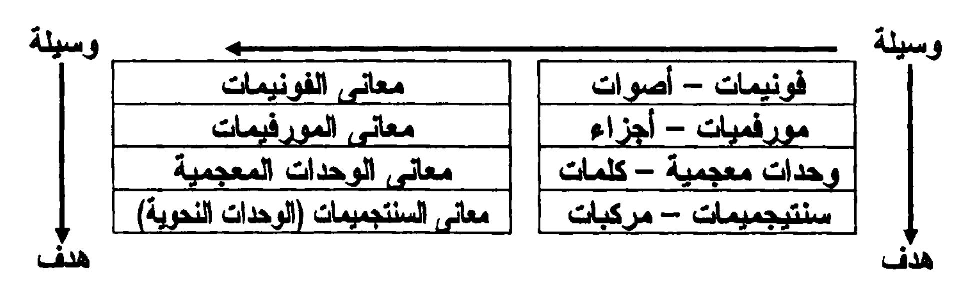
وفى النموذج الشكلى منذ بلومفيلد (١٩٣٣) الذى يُوضح فى الشكل ١ نُظِّمت الوحدات النظرية بعضها تحت بعض فى علاقة الجزء - بالكل . ومن ثم فالفونيمات - حسب بلومفيلد (١٩٣٣) أجزاء المورفيمات - والمورفيمات أجزاء الوحدات المعجمية ، والوحدات المعجمية أجزاء السنتجميمات (الوحدات النحوية).

أجزاء	فونيمات - أصوات
↓	مورفيمات - أجزاء الكلمة
↓	وحدات معجمية - كلمات
كل	سنتيجميمات - مركبات

شكل (١)

وفضلا عن ذلك لهذه الوحدات النظرية علاقة مفهومة نسبياً بالوحدات الفعلية التى أوردت على الجانب الأيسر : فونيم <=> صوت ، ومورفيم <=>جزء من كلمة ، ووحدة معجمية <=> كلمة ، وسنتجميم <=> مركب.

ويبدو السؤال عن تعاون المستويات بسيطاً : حين يبحث عن الكل ، ويُختار، ويعالج فإن الأجزاء تُدرك معه بطريقة آلية . ولكن ذلك لا يمكن عملياً أن يجرى على الإطلاق، من حيث إن الوحدات تُحَدَّد وفق معايير شديدة التباين .



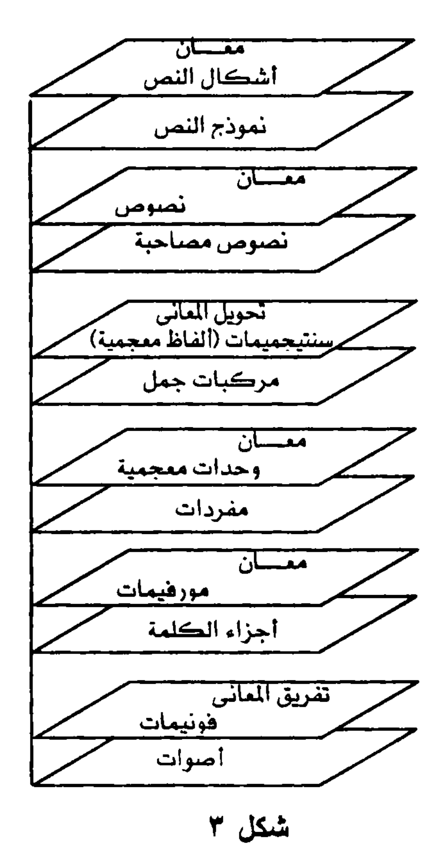
شكل ٢

وفى تأطير وظيفى لمخطط بلومفيلد ، كما يُبين فى الشكل ٢ ، لم تعد العلاقة الفاصلة جزءاً بـــ كل ، بل وسيلة بـــ هدف . والوحدات على المستويات ، التى لا تعد فيها عادة أصغر بشكل إجبارى هى الوسائل ، والوحدات على المـــستويات ، التى لا تعد فيها عادة أكبر بشكل إجبارى هى الهدف . فإذا ما قدمت الفونيمـــات الوسائل تكون لدينا مورفيمات ، وإذا ما قدمت المورفيمات الوسائل تكون لـــدينا وحدات معجمية ، وإذا ما قدمت الوحـــدات المعجميـــة الوســـائل تكـــون لـــدينا السنتجميمات (الوحدات النحوية) .

ويمكن هنا أن يدرج المعنى بشكل صريح أيضاً : فكل الصيغ هى فى الوقت نفسه وسائل المعانى المعينة . وتعد المعانى على الجانب الأيسر الهدف ، والصيغ على الجانب الأيمن الوسائل . وهكذا فالفونيمات وســـائل لمعـــانى الفونيمـــات . والمورفيمات وسائل لمعانى المورفيمات والوحدات المعجميـــة وســـائل لمعـــانى الوحدات المعجمية ، وأخيراً السنتجميمات وسائل لمعانى السنتجميمات (الوحدات النحوية) وعلى الجانب الأيسر لدينا مرة أخرى علاقة الوسيلة الهدف واخـــتلاف معنى الفونيمات وسيلة (ضمن أخريات) للهدف ، وهـــو أن يكـــون للمورفيمـــات معان، ومعانى المورفيمات وسيلة (ضمن أخريـــات) للهـــدف ، وهـــو أن تكـــون للوحدات المعجمية معانى وهكذا دواليك .

وفى الشكل ٣ تُقَدم بشكل عملى المعالجات المختلفة للمعانى . فالفونـسيمات لها وظيفة فى النظام ، أن تفرق بين المعانى بواسطة الأصوات ، والمورفيمـــات لها وظيفة إخضاع المعانى للنحوية بواسطة أجزاء الكلمات ، والوحدات المعجمية لها وظيفة تحويل المعانى إلى ألفاظ معجمية بواسطة الكلمات،والسنتجميمات لهـــا وظيفة تحويل المعانى إلى الأفقية بواسطة المركبات والجمل ، والنـــصوص لهـــا وظيفة دمج المعانى بواسطة نصوص مصاحبة ، وأخيرا أشكال النـــصوص لهـــا وظيفة قولبة المعانى بواسطة نماذج النص . وفى هذا المخطط لم تعد لنا أساســـاً علاقة بالوحدات الشكلية ، بل بأوجه صيغية المعالجة الوظيفية التى تـــسير عبـــر تدرج ارتقائى بين معان أوفر ومعان أثرى (كما يبين الـــشكل أيـــضاً) . وهكـــذا يمكننا الآن أن ندرج النص وأشكال النص أيضاً التى لم تكن لها وحدات تأسيسية فى مخطط المستويات العرفى . ويعكس المخطط النتائج الجديدة فـــى مثـــل هـــذه

المجالات ، مثل علم النفس المعرفى ، ونظرية التعقيد والذكاء الاصطناعى ، التى تبين أن المعانى تنتج فى الحال ، وتعرف " تنظمياً - ذاتياً " ولا تستدعى ببساطة، مثل مداخل من معجم ، وبالنسبة للتفصيلات والتعليلات يجب أن أحيل من جديـد على كتابى الذى أوشك أن يصدر .



شكل ٣

وفى الواقع أوصلنى هذا البحث عن " الأسس " إلى استنتاج آخر ، يرفـضه هاينه مان وفيهفجر (ص ١٧ : ١٩٩١) صراحة بالتقرير الآتى :

" .... لا يمكن أن يفهم علم لغة النص على أنه علم شامل (فوقى) ، وربما أيضا ليس علم النص ، بل يجب أن يقتصر علم لغة النص على بحث أبنية النص وصياغاته ، وذلك من خلال تضمنها فى سياقات اتصالية ، وسياقات اجتماعية - منطقية عامة ، وسياقات نفسية " .

إنى على العكس من ذلك على اقتناع بأن المصطلح الخصب الآن لا يجب أن يكون علم لغة النص ، بل علم النص . فهناك كثير جدا من الأسئلة الشديدة الأهمية– المتعلقة أيضا بأبنية النص وصياغاته – ليست (لغوية) فقط ، بالمعنى الذى فسر به هذا المصطلح بوجه عام . وينبغى على باحثين ذوى ثقافة فى علم اللغة النصى أن يتفاهموا أساساً فى المستقبل بالأحرى على أنهم خبراء فى النصوص ومتعاونون فى "علم عابر " Transdisziplin واسع ، حيث تُبَحث هذه الأسئلة ويجاب عنها على أبعاد عدة ، وحيث لا يُحَدَّد تقسيم العمل من البداية بتصورات وتحديدات عرفية لما هو لغوى . وينبغى بدلاً من ذلك أن يكون من الآن فصاعداً الأمر الحاسم تجريبياً إلى أى مدى ينبغى أن يعد سؤال معين أو ظاهرة لغوياً أو معرفياً أو اجتماعياً فى تقسيمات (نِسَب) مناسبة موضوعياً .

ويجب فى علم النص هذا إظهار ثلاثة عوامل دائما فى الوصف والتفسير ، أى نظرة لغوية ، ونظرة اجتماعية ، ولن تُرادف هذه النظرات ضرورةً النظرة الأساسية لكل من علم اللغة وعلم النفس وعلم الاجتماع ، بل تمر بتطور – مصاحب أيضاً ، فى حين أن علم النص استمر فى التطور ، وبخاصة من خلال جدلية متجددة بين النظرية والتطبيق . وهكذا لم ينشأ " تداخل اختصاصات " فحسب، متكون من علوم مختلفة " بل نفاذ أو تحاول بين الاختصاصات " Transdisziplinarität ، يجب أن يتصور أساسا من البداية بنظرة مدمجة من علوم مختلفة .

وفى نوفمبر سنة ١٩٩٤ م عُقِد أول مؤتمر عالمى للتحاول أو الانتقال بين الاختصاصات (العلوم البينية) فى البرتغال ، باشتراك كثير من العلماء والفنانين ، ولقد تأثرت تأثيراً عميقاً باستعداد الناس للاندماج فى مشروع بينى بصدق ، حيث ترجع العلوم والفنون أيضاً إلى التزاماتها وإمكاناتها الاجتماعية فى زمن عسير .

وتعيد فى هذه الآمال إلى عنوانى باقتباس من فاوست ، فالاعتبارات التى عرضت هنا تجيز افتراض أن علم لغة النص يتحرك سواء أكان ذلك مقبولاً أو مرفوضاً إلى آفاق جديدة ، حيث سنسلك أراضى ليس لدينا لها بعد خرائط أدق . ومن الأفضل لنا فى ذلك أن نتذكر أصلنا المائز أيضاً . ونشكر رواد عظام مثل هاينه مان .

المراجــع

Beaugrande, Robert de (1978): Factors in a Theory of Poetic Translating. - Assen: van Gorcum, and Amsterdam: Rodopi.
- (1991): Linguistic Theory. The Discourse of Fundamental Works. - London: Longman.
- (1994): Function and form in language theory and research. The tide is turning. - In: Functions of Language 1/2, 163-200.
- (1996a): New Foundations for a Science of Text and Discourse. - Norwood: Ablex.
- (1996b): The ‚pragmatics‹ of doing language science. The .warrant' for large-corpus linguistics. - In: Journal of Pragmatics 25, 503-535.
- (im Erscheinen a): Theory and practice in applied linguistics. Disconnection, conflict, or dialectic? - In: Applied Linguistics.
- (im Erscheinen b): On history and historicity in modern linguistics. Formalism versus functionalism revisited. - In: Functions of Language.

Beaugrande, Robert de/Dressler, Wolfgang (1981): Einführung in die Textlinguistik. – Tübingen : Niemeyer.

Bloomfield, Leonard (1933): Language. - NY: Holt.

Bolinger, Dwight (1970): Getting the words in. - In: American Speech 45, 78-84.

Carter, Ronald (ed.) (1990): Knowledge about Language and the Curriculum. The Linc Reader. London: Hoffer and Sloughton.

Catford, John C. (1965): A Linguistic Theory of Translation. - Oxford: Oxford University Press.

Chomsky, Noam (1957): Syntactic Structures. - The Hague: Mouton.
- (1965): Aspects of the Theory of Syntax. Cambridge, MA: MIT Press.

Hartmann, Peter (1963a): Theorie der Grammatik. - The Hague: Mouton.
- (1963b): Theorie der Sprachwissenschaft. - Assen: van Gorcum.
- (1964): Syntax und Bedeutung. - Assen: van Gorcum.

Harweg, Roland (1968a): Pronomina und Textkonstitution. - München: Fink.

Heger, Klaus (1971): Monem , Wort und Satz. - Tübingen: Niemeyer.
- (1976): Monem, Wort, Satz und Text. - Tübingen: Niemeyer.

Heinemann, Wolfgang/Viehweger, Dieter (1991): Textlinguistik. Eine Einführung. - Tübingen: Niemeyer.

Koch, Walter (1971): Taxologie des Englischen. - München: Fink.

Petöfi, Janos S. (Hg.) (1979): Text vs. Sentence. Basic Questions of Text Linguistics. - Hamburg:Buske.

Schegloff, Emmanuel (1992): To Searle on conversation. A note in return. - In: Parrett, Her-mann/Verschueren, Jef (eds.): On Searle on Conversation (Amsterdam: Benjamms) l 13-128.

Schmidt, Siegfried J. (1968): Bedeutung und Begriff. - Braunschweig: Vieweg.

Wienold, Götz (1972): Formulierungstheorie. - Frankfurt: Athenäum.

النص والمنظور (*)
عناصر فهم بنائى للنص

لا أستطيع هنا أن أقدِم على نظرة عامة حول ما أنجزه علم لغة النص فى العقود الماضية، ولا أستطيع أن أبيح لنفسى أن أتنبأ عن مستقبله ، ولا أن أطالب بما يجب أن ينجز . فهذا ربما يتجاوز كفاءتى ، لأنه برغم أنى قد كتبت على مر السنين قليلا فى موضوع " النص " ، فإنى لم أطلق على نفسى على الإطلاق عالم لغة نصى أو شعرت أنى واحد منهم . وصدر اهتمامى بالنص ، بل وينبثق منظورات تعد من جانب أخص ، ولكنها من جانب آخر أعم أيضاً . (ما أقصده بمنظورات سيصير أوضح بعض الشئ فى أثناء تفصيلاتى للكلام) .

وفى الواقع أستطيع أن أنطلق من أن منظوراً خاصاً بتحليل المحادثة ، يقع أقرب إلىَّ بعض الشئ يمكن أن يتلاقى مع منظور لغوى نصى فى الانتباه الأخص إلى : وهو كيف يكتسب نص ما معنى وبما يمتلكه . وإنى لأريد بتفصيلاتى للكلام أن أحث على إعادة التفكير بوجه خاص . ومن البديهى أيضاً أن الكلام فى ذلك سيكون عما مضى ، عن أعراف (موروثات) ونماذج تفكير ، بل وبصورة أكبر عن مسائل ما تزال إلى الآن قليلاً ما شغلت اللُّب ، وتُعبر من هذا الجانب عن أمنية أيضاً فى مستقبل علم لغة النص. وحتى حين أسأل معقباً فإنى لا أريد أن أمارس نقداً أساسياً لما أكتب إلى الآن، ولا أن أمنع تخطيطاً مضاداً . بل على العكس من ذلك ، إنى أقصد أن بعض الأفكار يمكن أن تتجاور، وتنسجم بعضها مع بعض ، ويكمل بعضها بعضاً . وثمة خطأ وخيم العواقب غالباً ، حين يظن اللغويون والناس بوجه عام باستمرار فى آراءهم أنها هى الممكنة وحدها ، وهى المتميزة على الأقل .

(*) عنوان هذه المقالة هو : Wolfdietrich Hartung (Berlin) Text und Perspektive Elemente einer konstruktivistischen Textauffassung من ١٣ : ٢٥ من الكتاب السابق ذكره .

لم تستقر مسائل فهم بنائى للنص منذ ما يزيد على عشر سنوات . وكـون هذا يدخل بعضُه ضمن نشرياتى الذى لم يلتفت إليه حقيقةً ، [1] يرجـع بالتأكيـد أيضاً – إلى جانب عدم استطاعـة المؤلف أن يعبر بشكل أوضح وأكثر جاذبيـة – إلى أنه يجب أن تُقَدَّم شروط خاصة ، قبل إمكان أن تُدرك وتُتلقى أفكـار ، قبـل إمكان أن يتفكر فيها . أو بصورة أخص : يجب أن تكون المنظورات التـي لـدى الناس عن محيطهم ، وعن محيطهم العقلى بحيث يمكـن أن تُعـرف ، وتُلاحـظ جوانب معينة فى هذا المحيط . وقد أعادتنى حقيقة أنى شُغلت فى زمن جد قريب بمشكلات الشكل المنظورى الوسيط معرفياً والمؤسّس اجتماعياً ، إلى أفكار يبـدو أنى اهتممت بها حقيقة فى زمن بعيد فيما مضى . ولكنى هنا لا أريد أن أتحـدث عن نفسى ، بل عن معايشة أحتاجها بوصفها مشاركة فى المشكلة .

فقبل بضع أسابيع حضرت محاضرة عن موضوع خاص بتاريخ الأدب . وقد أكد مدير الجلسة بعد أن أنتهى المحاضر من أقواله أن المحاضرة كانـت متعـة عقلية. وطابق هذا التقدير الإيجابى انطباعى بدقة . فقد كنت قـد شـعرت بـأن المحاضرة كانت كذلك . ويمكن أن يقال إن مدير الجلـسة وأنـا تحـصلت لـدينا المنظورات ذاتها أو على الأقل منظورات مشابهة للغاية فـى نقطـة مـا حـول المحاضرة التى سُمعت . لقد وصل كلانا إلى توقعات / منظورات محـددة للغايـة حول الجلسة ، قِسنا بها المحاضرة ، فقد أرشدتنا إلى الاستماع بانتباه خاص إلى بضع أشياء ، وربما أيضاً إلى تغافل أشياء أخرى . ورأينا هذه التوقعات على أية حال متحققة ، وساعدتنا منظورتنـا علـى متعـة مـا، ولا أدرى هـل شـاركنا المشاركون فى الجلسة الانطباع بأن المحاضرة كانت متعة عقليـة أم لا . الأمـر المحتمل لا . ولكنى متأكد للغاية : لو أُلقِيَت المحاضرة هى ذاتها " بصوت مرتفع" أمام جمهور مختلف تماماً ، لأدرك شيئاً آخر أيضاً ، وربما قُدِّمت أحكام تـصفها بأنها مزخرفة الألفاظ ، وأنها تلف حول مسائل أهم أو أنها تخترق الرءوس ومـا أشبه . وقد كان مرد مثل هذه الأحكام منظورات أخرى ، ولكنها ربمـا لـم تكـن

---

(١) انظر مثلا هارتونج (١٩٨٥) ، و (١٩٨٨) وبخاصة (١٩٩١) ، وفى ذلك جزء لـى عـن الاتصال والنص لمشيائيل فاخه عن " محاور منهجية " .

"خاطئة " أو "غير مبررة " ، وربما كان النص ذاته مختلفاً تماماً بالنسبة لهؤلاء الناطقين بالأحكام . ولحسن الحظ اتُخذت مع أشـكال تنظـيم محـددة للتعـايش الاجتماعى أحكام مُسبقة دائما حول أية مجموعات ، وأية تقـسيمات للجماعـات تتلاقى مع أية نصوص ، وأية أنواع من النصوص تقبلها منفردة تبعاً لذلك بوجه عام بوصفها وثيقة الصلة . ولذلك لا يجب أن تختلف المنظورات دائما بشكل حاد كما يمكن فى هذا المثال . ولكن عادة ما تختلف بداهة على الأقل فى نقاط محددة.

ومن البديهى أنه لا يُوجَّه من المنظورات تلقى نص ما فقط . فـإن منـتج النص أيضاً، ومن ثم مؤرخ الأدب فى تلك الجلسة ، كان له منظور محـدد إلـى موضوعه ، وإلى سبب عرضه ، وهكذا إلى خصوصيات موقف الاتصال الفعلى ، فمن المؤكد أن منظوره يختلف اختلافا كبيراً عن منظور المميز كمتلقٍ ، وربمـا إلى مجال معين يجعل انطباعى الإيجابى ممكناً . ولكن حتى هذا لا يشترط توافقـاً فى المنظورات ضرورةً ، إذ يمكن أن يكون لرد الفعل الموافـق إيجابياً أسـباب مستقلة تماماً . وعلى العكس من ذلك لو كانت لدىَّ معارف متخصصة أكثر متعلقة بتاريخ الأدب أو لو ظننت على الأقل أنهم يمتلكونها ، فمن المحتمل أن تكون قـد أدت فى منظورى للموضوع دوراً أكبر . على أية حال ربما غيَّر هـذا انطبـاعى العام ، على الأقل يمكن أن تتغير أوجه التأكيد . وربما يتميز كل منظور ، يـصل إلى تقدير " متعة عقلية " ، بغياب احتراف محدد ، وهو ما يمكن أن تسببه أشياء أخرى أيضاً ، تعده سهلاً من الناحية السطحية . ومن ثم فالأمر ليس أن الموقف أجبرنى،ومنظورات أخرىَ أيضاً إلى حد ما أو أننا يجب أن نرجـع إلـى بعـض منظورات قليلة جاهزة . بل إننا نستطيع – من البديهى فى محيط معين فقط– أن نختارها بحرية ، فهى تبنى وفق رغباتنا ، وتتغير مرة أخـرى أيـضاً . ولكـن يمكننى كذلك أن أظل متمسكاً برأيى ومنحازاً مع منظور مـألوف " مجـرب " أو مفضل فى يسر، وهو ما يمكن على سبيل المثال أن يحول بينى وبـين حـضور محاضرات خاصة بتاريخ الآدب بعامة ، وقبولها بوصفها نصوصاً وثيقة الـصلة بالنسبة لى .

أما المشكلة التى أرمى إليها فهى ما يأتى : نحن لا نستطيع أن نفعل شـيئاً دون أن نجعل المنظورات توجهنا ، فنحن نشغل فى العالم أماكن معينة ، مواقف ،

و" نرى " انطلاقا منها العالم ، عالمنا ، عالم محيطنا ، ولا يكـون عالمنـا فقـط بمعنى أننا نمتلك شيئاً ، فبفهم محدد للغاية نحن نوجد هذا العالم أيضاً . ويمكـن أن توجه الأماكن التى نشغلها فى ذلك بوجودنا فى مكان وزمان ما ، أو بالوجود فى التواصل أو التفاعل . المتعلق إذن بأفراد آخرين فى محيطنا . هذه تحديـدات المكان التى تفهم عادة بوصفها إشارة . غير أن هذه الأمـاكن يمكـن أن تُوجَّـه بالأبنية العقلية حول عالمنا أيضاً ، بتلك الامتدادات المميزة لحيز حياتنـا ، التـى تجعل التفاعل الإيصالى ممكناً ، والتى تُبنَى فيها وتُكتشَـف ، وتُقَـرب فيمـا بـين الأفراد، ومن ثم تصير وقائع متجاوزة للأفراد .

وتحدد الأماكن التى تُشغَل فى هذا " المجـالِ المعرفـى " (انظـر ماتورنـا Maturna)، أيضاً المنظورات. فالأفراد يشهدون موقفا اتـصاليا مـن منظـور تبعيتهم لجماعة اجتماعية ما، إحساسهم الملزم تجاه دور أو وظيفة متحققة فـى الحال ، نسبتهم لوجود ما متميز فى الجماعة أو يمكن أن يُمَيز بشكل خاص فيما يتعلق بمشاركين آخرين . ولما كان لا يشغل شخصان أماكن متطابقة فى العـوالم المختلفة، فإنهما ، بمجرد أن يتفاعلا ، يُجابهان ضرورةً باختلافات فى المنظورات التى يكون من المرغوب أحياناً أن يتغاضى عنها غالباً، ولكن من غير المرغـوب أحياناً أيضاً، ويجب أن تُهذَّب طبقاً لذلك – هذا هو المعنـى بالـشكل المنظـورى الأساسى وغير الممكن إلغاؤه لحركتنا فى العالم . فكل مـا (يمكـن أن) ندركـه ونقوله نعيه على هذا النحو .

وحين يُعنى اللغويون بالنص تُوجههم نماذج تفكير معينـة ؛ مخططـات تصور عامة معينة فيما يتعلق بالظاهرة ، النص والمجـالات المتاخمـة . تلـك الصياغات المسبقة ومسالك التفكير استعمال مألوف لمعرفة موروثة أو رد فعـل ضرورى على ما سبق الاهتداء إليه : ويمكن أن يُتفكر فيما هو جديد أيضاً علـى الأقل فى أجزاء كبيرة منه بمفاهيم قديمة . وبهذه الطريقـة تُـشكل المنظـورات الوجهة النظامية إلى وضع البحث . وينبغى أن تُختبر بعض نقـاط المنظـورات السائدة .

- توجد بلاشك منظورات متباينة بصورة متجاورة – من جهة مدى صلاحيتها وإمكان إكمالها ، حين ننطلق من اتجاه منظورى أساسى ، ولا يمكن إلغاؤه . وأعنى بوجه خاص النقاط الآتية :

- ينظر إلى النصِ عادةً في الأكثر على أنه نتيجة نشاط لغوى منتج ، وفى الأقل على أنه منطلق لتلقٍ نشط بصورة مناظرة فى الأساس ، و " منتجٍ " على وجه الخصوص أيضاً . وفى علم الأدب يكون هذا إلى حد ما على نحو آخر (انظر بحث التلقى الموجود هنا) ، غير أنه فى علم اللغة يسود منذ زمن قديم تصور أن إنتاج المنطوق هو الجزء الأهم أو " الحقيقى " من الاستعمال اللغوى . ومن ثم يبدو التلقى على أية حال نوعاً من عكس الإنتاج .

- يدعم نموذج التفكير هذا الرأى القائل إن إنشاء نص ما ، أى الكلام أو الكتابة، يكمن أساساً فى أن معلومات تتضمن داخل حامل معين للمعلومات ، أى علامات لغوية فى نظام معين . ومن ثم ينظر إلى وظيفة المتلقى على أنها إعادة " فض " كثير من المعلومات المغلقة قدر الإمكان .

- يكمن خلف هذا التصور – الوعاء للنص –الرأى الأعم القائل إن العلامات اللغوية ترمز إلى موضوعات (أشياء) ، واقع متصور بشكل مستقل عن الإنسان أو على الأقل مضامين الوعى أو المفاهيم التى تنقل مثل هذه الموضوعات " الواقعية " بشكل واضح بدرجة أقل أو أكثر ، وعلى أية حال " بشكل موضوعى " آخر الأمر ، بحيث تكون العملية اللغوية فى الأساس العثور على اللفظ الصحيح لمضمون مكتسب من خلال نشاط الانعكاس أو على المضمون " الصحيح " للفظ المعطى . فيقر بذلك بالتنازل عن حق معنى منقول أو سياقى أو شارح يعد إلى حد ما فى المرتبة الثانية وعلى أية حال يصعب إدراكه .

- إذا وُجدت علاقة واضحة كهذه بين العلامات (أو مواد العلامات) والمعانى فإنه يجب – وهذا نموذج تفكير آخر ، حاصل بشكل منطقى – أن يكون كم المعلومة المكتسبة على نحو ما محدداً بورود العلامة (مادة العلامة) . أو بعبارة أخرى : لم يعد الأمر يقعُ فى المعانى حين ترد العلامات . أو بشكل

أكثر حدة : لم يعد موضوع علم اللغة أكثر من المعلومة المرتبطة بالعلامات الواردة ، وما هو أبعد من ذلك ليس مهماً من الناحية اللغوية .

أحاول أن أنوه إلى الموضع الذى حصرت فيه صلاحية هذا النموذج السائر للتفكير (انظر حول ذلك أيضاً النقدَ الذى أوجزه كيك ص ٣٥٥ وما بعدها : ١٩٩٢ إلى تحويل من نماذج من تقنية الأخبار فى العلوم الاجتماعية والإنسانية). وإذا تصورنا عملية التواصل عملية معقدة وكلية فإن ظاهرة النص (أو المنطوق) مرحلة مهمة معينة فيها . وتعد هذه المرحلة مهمة بوجه خاص من خلال أن فيها يظهر بناء مادى ، ومع ذلك يظل هذا مرحلة فى حدث بالغ التعقيد.[1] فقبل أن يصير النص واقعة يمكن إدراكها فى محيطنا الحسى ، يجب أن تجرى عمليات نفسية مختلفة ، لا توصف بالتخطيط أو التشفير أو حتى اختيار من مجموع من عناصر معرفية إلا وصفاً تقريبياً للغاية . وفى هذه العمليات تُكَوَّن بصفة خاصة أبنية فكرية، وتُعلَّق بمعارف سابقة أو موروثة صارت عرفية مع محيط خاص . ومن هذه الناحية أخلق لنفسى موضوع اتصال على ما نحو ما يناسب احتياجاتى ورغباتى أو ما قبلته على أنه احتياجاتى ورغباتى . ويمكننا أن نعبر عن ذلك مرة أخرى أيضاً على نحو آخر : يُوجَّه المتكلم عند إنشاء نص بمنظور .

ومن جهة المتلقى لا تُعلِّم ظاهرة النص إلا البدايةَ . وتنبعث أيضاً عمليات نفسية تعد أكثر من تعيين وفك شفرة علامات لغوية موجودة . وفى بحث الفهم أُكِّد منذ زمن غير يسير أن عملية الفهم تضم جوانب تركيبية ، وأنها لا توجهها مواد فحسب ، بل يُوجِّهها تصور أيضاً (انظر مثلا هورمان ١٩٧٧ أو ريكهايت ١٩٩٥). وفى علم اللغة صنفت القدرة الإنسانية على البناء ربما بسرعة كبيرة إلى حد ما تحت تصور المكونات المعرفية . وبذلك قُبِل فعلاً نموذج تفكير مألوف، ولكن اختزلت أيضاً الذاتية التى صارت نشطة فى فروق معرفية وأوجه نقص معرفية . ويمكن أن يتضاد مع هذا تصور أنه يمكن أن يُوجَّه أفراد بمنظورات عند تلقى النص أيضاً .

---

(١) هذه الرؤية وضحت لى أولاً لدى كوتوف / كورباكوف (١٩٨٣) ، وربما وجدت بالتأكيد أيضاً بشكل ملحوظ دوافع أخرى

إن النص على أية حال أكثر من " وعاء للمعلومات " . ففيما يتعلق بمنتج النص يُقدِّم عملياته الداخلية . وهذه لا يجب على المنتج أن يكون واعياً بها ، ولكنها يمكن فى الغالب أن تُدرَك . ومن الممكن بلاشك أن يُوجَّه جزء منها بالإرادة . وهكذا يتعلق بالمقاصد أيضاً ما " يرد داخل النص " . ومع ذلك فليس منتج النص حراً . فهو مقيد بقيود وحدود منظورية وما إليها : فأنا لا أستطيع أن أقول " كل شئ " ، بل ما هو لدىَّ ، ما يقع فى " مجالى المعرفى " فقط باستمرار ، أى ما هو جزء من عالمى .

إن النص بالنسبة للمتلقى هو بوجه خاص تحفيز لخلق بناء فكرى خاص يعزو للنص معنىً فى موقف فعلى ، يجعله إذن مهماً للمتلقى . يحفزه على هذا النشاط وجوده فى الموقف . ويجرى هذا العزو للمعنى أحياناً بوعى وبقصد . ولكنه ملتزم فى ذلك أو يلتزم من البداية بمنظور إلى الموقف . وفى حال ملائمة يسعى بقدر الإمكان ، أن يخبر منظور منتج النص . أو بعبارة أخرى : لا يحفز النص المدرك حسياً ببساطة فقط تكوين صورة عن عمليات وأحوال داخلية لمنتج النص أو إعادة بناء مضامين وعيه ، كما يقصد بإيجاز عادة ، بل إن المتلقى ملتزم بأن يسند مثل هذه الأوجه لإعادة البناء إلى الشروط التفاعلية التى أنجز النص ، أى التمثيل الخاص ، فى إطارها . ويعنى هذا أن النص لا ينقل معلومات عن عالم خارجى مستقل ، وليس أيضاً عن عوالم داخلية للمنتج فحسب، بل إنه نتاج لاكتشاف الطريق فى العالم موجَّه بمنظور ، ويُستخدم وسيلةً لتوجيه اكتشاف مشترك للطريق لعدة أفراد . ويقدم للمتلقى مساعدة طارئة (ويريد بداهة أن يؤثر فيه ويوجه أيضاً) ، ولكن يجب على المتلقى أن يصير هو نفسه فاعلاً .

ويفرق ز . ى . شميت (مثلاً سنة ١٩٩٢) بين وسائل الاتصال ، التى يعد النص منها – وربما وجب أن تتبعها أيضاً دعائم أو عناصر النص – والموصل الذى يلحقه المتلقى بنص بوصفه بناءً إدراكياً ، ويختلف تبعاً لذلك بتلك الموصلات التى يلحقه متلقون آخرون بالنص نفسه . وهكذا ربما يبدو مثل هذا المفهوم للموصل فى البداية غير مميز،ومن ثم ليس سهل الاستعمال . إنه يُنبهنا إلى مشكلة أساسية : إلى توزع مضمون النص فى الطريق من المنتج إلى المتلقى أو على نحو أحد : مضمون النص شئ مفهوم ، وليس قيمة ثابتة مقدمة لمرة

وفقط ، ربما لا تكون إلا نوعاً من نقل حقيقة مقدمة " بشكل موضوعى " . فالنص نفسه يفهمه متلقون مختلفون فهماً متبايناً . ويمكن أن يُحلل النص نفسه لدى متلق واحد هو نفسه أيضاً تحليلاً متبايناً غاية التباين، حين يُقرأ أو يُسمع فى أوقات مختلفة ، وبشكل انتقائى لعدة مرات ، أى بمنظورات متباينة ، وتُقدّم فقط من المنتج أوجه أهمية تركيبية للمضمون ، مثل الموضوع أو الفكرة الأساسية أو المعلومة الأساسية (انظر هارتونج ١٩٨٨) . وسواء أكانت مقبولة كلياً أو جزئياً أو بوجه عام فهذا أمر لا علاقة للمتلقى أساساً ، برغم أن الأعراف يمكن أن تدفعه إلى قبول ما ، لا يلغيه إلا المساومة أو الرفض التام ، بل يجب ألا يكون مضمون النص بالنسبة للمنتج نفسه شيئاً ثابتاً ، إذ يمكن أن يتغير منظوره فى أثناء الإنتاج ، فيرى موضوعه على نحو آخر أو حين يستند إلى نتاجات أصلية بل إلى أوجه تذكر بها ، تُنتقض بداهة من جهة المنظور أيضاً .

ومن البديهى ألا يستبعد توزع مضمون النص أن يحمل ، بل يجب أن يحمل مجموعة أعراف سارية على نحو مجاوز للأفراد . ففى كل جماعة لغوية أو اتصالية توجد أوجه إلحاق عرفية بين (مادة) العلامات والمعانى أو المضامين ، أى كل خواص وسيلة اتصال ، توصف فى كتب النحو والمعاجم التى تتحصل فى التشكل الاجتماعى، وتيسر على أية حال أساساً من التصورات الإحالية . ويُضاف إلى ذلك ، فى مستوى أعلى إلى حد ما ، أعراف حول كيفية تولد نصوص مختلفة، فيمَ تستخدم ، ما مغزاها الممكن فى جماعة ما ... الخ . ويستخدم منتج النص هذه الأعراف ، ويستطيع متلقى النص بادئ ذى بدء أن يفترضها . وتوجد من هذه الناحية مُعينات للفهم وفيرة . فالمتلقى لا يشكل أداة تواصله لنفسه فقط . وفى الواقع يبدو الأمر بالنسبة لى خلافياً، فهل ما يزال من الممكن أن يستعمل بناء مثل بناء " المعنى الحرفى " للنص . ويمكن أن يُفقَد فرض يعد مفيداً للبنات نص ما .

من المؤكد أيضاً لمنطوقات / نصوص موجزة وبالغة العرفية ، معناها مع طول متزايد وتعقد النصوص ، مع تقسيم لمضامين النص يصير دائماً أكثر وضوحاً ، وزيادة عدد القراءات الممكنة . وبذلك ينمو أيضاً تفرد النصوص . وتُعد منطوقات النصوص على أية حال بقدر أكبر من منطوقات جملية شيئاً جديداً،

لم يُنطبق من قبل. ويصير فصلها عن سياقها أكثر صعوبة . وبتعبير أوضح : تعد منظورات المتلقين والمنتجين المراحل التى تربط المكونات المتجزاة فـى عمليـة الاتصال المعقدة بعضها ببعض باستمرار، ولكن لا ينبغـى أن نتـصور أن هـذه العينات من الخصوصية التى يُوعز بها نص ما إلى المتلقى بأبنية خاصة ، نقيصة ضرورةً ، بل يتيح التفسير الحر نسبياً قدراً كبيراً من المرونة المعرفية ، وحيـز الفعل فى التفاعل . إن للقيود المشار إليها فى صلاحية نماذج تفكير سائرة نتائج بالنسبة لتصوراتنا عما يمكن أن نعهد إلى النصوص وأن نتوقع منها . فهى تُحَدد فى خاتمة الأمر منظورنا إلى النص أيضاً .

ومن الممكن أن يُتصور أن أية أداة اتصال يمكن أن تُعَزى إلى أى نـص كان ، ويمكن أن تُعَزى إلى نص معين أدوات اتصال كثيرة بشكل غير محدد أيضاً. ولكن المفيد للملحِق فقط هو أداة الاتصال التى يُحافظ عليها فى التفاعـل الـذى يحتويه. ويشترط هذا الأمر اتفاقاً أو إجماعاً محدداً بـين المتفـاعلين ، ورؤيـة متقاربة فى نقاط معينة على الأقل أيضاً حول الموضوعات المتواصلة . ويـسرى هذا أيضاً على حال خلاف – إلا أن المشاركين لا يعرفون مطلقاً فيمـا يختلفـون وهو ما يحدث بداهة أيضاً . ولكن من يقرر هل يُوجَد مثل هذا الاتفاق ومنذ متى ؟ وتُوجِد بلاشك التبعية إلى الجماعة اللغوية أو الاتصالية ذاتهـا شـروطاً محـددة مقبولة لا محالة . وبذلك يُوجَد على أية حال أساس لأوجه إنشاء إحالية . غير أن هذا ما يزال بالنسبة لمستوى النص لم يأت بالكثير، كما قيل . ولأن قرارات بعيدة المدى حول ما يقصد حقيقية وما إذا كان قد فهم شئ " فهماً صحيحاً " لا يمكن أن تستند إلى معايير صالحة " موضوعية " أو للجماعة اللغوية بأكملهـا أو لأجـزاء أكبر منها . أما ما إذا كان شئ ما قد فهم "فهماً صحيحاً "، فلا يمكـن أن يقـرره آخر الأمر إلا منتج النص، أى المُوَجِّه " بمفهوم ماتورنا Maturna . وفى الواقع الاتصالى اليومى يمكن أن يكون القرار غير إشكالى أو يُترك للمداولة أو للحجـة الأفضل . ولكن توجد حالات غير قليلة يجعل فيها منتج النص. بمقتـضى القـوة الاجتماعية التى يتمتع بها ، قراءته ملزمة . ويصدق هذا بوجـه خـاص علـى جماعات نظمت بشكل متدرج ، ويكون غير نادر فى اتصال يجمع جماعات أكبـر ومجتمعات بأكملها .

ويشهد متلقى النص أو " المُوَجَّه إليه " أداة اتصال الملحقة بأنها مناسبة أو غير مناسبة للتفاعل . فإذا أراد أن يقبل من الموجه بوصفه فاهماً ، بوصفه أحدهم ، تمسك بميزة أنه لا يفهم شيئاً إلا حين يفهمه على النحو الواجب فهمه . فإذا لم يتمسك بالميزة فيجب أن يبدأ بتوضيح أداة اتصاله أو بكشف الميزة كشفاً نقدياً أيضاً. وإذا ما أنعمنا الفكر فى هذا الموقف حتى النهاية ، يتضح أن الفهم ليس إنجازاً إدراكياً محدداً ، بل يتعلق بتوكيد عبر منتج النص (أو المراحل التى تمثله فى جماعة ما ، التى يكَلَّف بها ...الخ) . وبهذا المعنى يمكن أن يكون هذا سواء أيضا (بدرجة أكثر أو أقل) ، وهو كيف ينشأ الفهم . المهم فقط هو هل يُوجَّه نص " مفهوم " فى التفاعل وكيف (انظر حول ذلك بتفصيل أكثر روش ١٩٩٢) . ومن البديهى أنه لدينا دائما إمكانية أن نسم فهماً مبتسراً لهذا بأنه لم يعد فهماً . ولكن بغض النظر عن أن ثمة أفكاراً نظرية تُوعز بوجه عام بالقراءة المشار إليها هنا ، فإنها تمس كثيراً من معارفنا فى التواصل .

ومن البديهى أن يخضع الموجَّه اتصالياً لضرورات اجتماعية ومادية . فهو حريص على مراعاة جدوى التفاعل أو نجاحه . ولكنه فى هذا الإطار حر : تُترك للموجَّه إليه الوجهة التى يوجه إليها مجاله المعرفى من خلال تأثير داخلى مستقل فى حاله الخاصة . يحدث اختياره فى الواقع من خلال " الرسالة " التى تعد مع ذلك توجيها متولداً كهذا مستقلاً عما تُقَدِّم هذه الرسالة للموجَّه (ماتورنا ص ٥٧ : ١٩٨٢) . ويطابق هذا معرفتنا بأنه لا يؤثر فينا غالباً بأية حال عند فهمنا ما يقول الآخر . إننا لنا قراءتنا . وبديهى أن يصدق العكس أيضاً : فأنا أستطيع أن أقول شيئاً ، يبعد كثيراً عما أقصد أو يحركنى "حقاً" (انظر حول ذلك أيضا كوك ص ٣٦٩ : ١٩٩٢) . ولكن كما قيل المعيار هو إمكان الاستخدام فى التفاعل ، وقد يُتَقدم بهذا التوجيه الحر فى حالات محددة للغاية فقط . ومع ذلك توجد إمكانية أساسية . فإننا نستطيع ألا نلتزم بنص ، وهو أمر غير نادر دون شك . وذلك بأن نرفض كل التداعيات التى يمكن أن يثيرها ، بل أن نوجهها إلى اتجاهات مغايرة تماماً أيضاً . إلى أى مدى يكون ذلك ممكناً لنا ، يتعلق بداهة أيضاً بالقدر الذى يلزمنا به نص ما بوصفنا متلقين . غير أننا لا يجب حتما أن نجعل نصاً ما الأساسَ لبناء نظامنا المعرفى المظهر أو تشكيله ، إلى حد أننا نبذل الجهد بقدر

المستطاع لإعادة البناء بمكونات معرفية منظمة وربما نود أن لا ندرك من خلال النص إلا توكيداً أو نجد فيه العزاء أو نعيد تعرفنا بأنفسنا الخ . وهكذا فسوف تُحدِّد منظوراتنا الاستقبالية اتجاهات التداعيات المثارة ومحيطها ، وتُحدِّد ماذا " يعنى " لنا نص ما ، وما مغزاه بالنسبة لنا ، وهل له معنىً أصلاً ؟

أود أن أجمل مرة أخرى لب المسألة : تعمل الوجهة المنظورية Perspektivität بوصفها معطىً لا يمكن إلغاؤه على أن يكون للمُقَدَّم فى النص تفصيل فردى ، شخصى محدد . ويسرى الشئ ذاته على الأبنية الفكرية الناشئة فى أثناء التلقى ، المُوَصِّلات . ويتصاعد عددها بلا حدود – بشكل مستقل عن نوع النص وعدد المتلقين وأوجه التلقى المتكررة . وحتى يُكفل يقين معين للتبادل المُوجَّه بشكل متعاقب المفروض أنه موجود فعلاً فى التفاعل الفعلى يصير من الضرورى مراعاة فروق منظورية بين المتواصلين بقدر المستطاع. ولذلك توجد فى التفاعل الفعلى إمكانات مختلفة . ويكمن أبسطها فى الإشارة إلى المنظور المفترض ذاته . ونلمس منظورات مخمنة لدى مشاركين آخرين . ومن ثم جعل منظورية فارقة على نحو ما متاحةً بشكل ما وراء تواصلى. وكلما كان السياق التفاعلى غير محكم – وهذه هى الحال فى النصوص المكتوبة بوجه خاص – صارت معالجة المنظورية معالجة تفاعلية أصعب بالنسبة للمشاركين فى تواصل .

بيد أن النصوص المكتوبة أيضاً تترك مساحة كبيرة بصورة متباينة للتفسير. وينبغى أن تتلقى النصوص الأدبية بصورة جد غير متغيرة . فهى تحيا على نحو محدد على أوجه تكيُّف مع عوالم شخصية للغاية للمتلقين . ويمكن أن تقيد نصوص إرشادية (مثل إرشادات الاستعمال) عدد قراءات ممكنة من خلال صور النقل أو أوصاف مفصلة للموضوع . وبرغم ذلك تظل غير واضحة غالباً ، ومن ثم تجيز قراءات كثيرة أيضاً . وتتطلب نصوص القانون تفسيرات ملزمة تماماً يمكن أن تلحق فى حالة الضرورة بشروح أو أحكام يتأسى بها . ويسرى ما يشبه ذلك على نصوص مؤسسية كثيرة ونصوص دينية أيضاً . ويوجد هنا شئ أشبه بقراءة صحيحة ، مقدسة . ولم تعد أية قراءة أخرى تناسب النص . ولكن هذا لا يعنى أننا لا نستطيع أن نقرأه " على نحو آخر " أيضاً . فإنى أستطيع أن أقرأ كل نص على نحو ما يروق لى ، بشرط أن أفهمه على الأقل على المستوى

الذى يجيز لى قراءة له . وسواء أدى الوظيفة أو صدق على فئة من شروط الإطار التفاعلية التى أنتج ابتداء من أجلها ، فتلك مسألة أخرى. وفى الواقع إنى لست مقيداً فى عزوى للمعنى ، ولكنه يمكن أن يصير فى إطار أحوال معينة غريباً جداً .

ويُنتج كثير من النصوص من البداية لوسط مجهول من المتلقين ، ويمكن أن يوجد هذا أيضاً مستقلاً زمنياً بعض عن بعض إلى حد بعيد للغاية ، يشمل فى إطار أحوال معينة أجيالاً كثيرة. وكلما كان وسط المتلقين أكثر انفصالاً ، كان الأكثر وجوبً أن يُوجِد الملتقى المفرد أو مجموعة محددة مميزة من المتلقين علاقةً جديدة بالنص، موقف تفاعل يصير مناسباً دائماً أو من جديد، فيه يصير عزو المعنى ممكناً. ولكن ماذا نصنع مع نصوص ، لم تخاطبنا مطلقاً ، ترجع إلى زمن آخر أو ثقافة أخرى أو مجتمع آخر؟ ما منظوراتنا الممكنة نحوها ؟ أى منها مفيد أصلاً ؟ إلى أى مدى يمكننا أن ننظر إلى نصوص " من الخارج " ونفهمها أيضاً ؟ اليوميات ، طالما لم تُكتَب من البداية لآخرين، يجب أن تبقينا قاصرين عند نقطة معينة. ومع ذلك فإنها يمكن أن تضيف لنا معنىً (آخر) ، معنى لنا، فهى تقرأ بوصفها وثائق لحقبه زمنية أو محاور للأوجه الخاصة لوجودنا ، غير أننا ما نزال لا نفهم كاتب اليوميات إلا إلى حد ما. نحن نستخدم نصه فقط. فثمة نصوص من ألمانيا الديمقراطية فقدت أجزاء من المحيط الذى أثرت فيه. وحين نقرأها اليوم من جديد، فإننا نفعل ذلك " بعيون أخرى "، أى بمنظورات أخرى، يمكن أن تكون جائزة، على أية حال تكون مفهومة مرة أخرى أيضاً. ولكنها منظوراتنا الحالية. هل ما يزال لنا علاقة فى ذلك بنصوص ألمانيا الديمقراطية؟ بديهى أنه تظل باستمرار نصوص أنتجها أفراد معينون فى وقت معين. من هذه الناحية تظل هذه النصوص مرتبطة بألمانيا الديمقراطية. ولكن ليست النصوص شيئاً (يذكر) دون متلقين، وهى أما فى إطار هذا المثال فى أحسن الأحوال ذكريات، ولكن لم تعد لها منظورات، كانت أو يمكن أن تكون لدى ملتقى هذه النصوص .

ويمكن أن تقدم النصوص إشارات إلى ثقافة أو مجتمع، وحتى تفعل ذلك، يجب أن نسعى إلى إعادة بناء المنظورات كانت لأولئك الناس، الذين كانوا مرتبطين بالنصوص فى تفاعل " حقيقى "، أو على الأقل أن نضعها فى الحساب

بوصفها تصويبات ممكنة لمنظورات الخاصة. وإلا لا نفهم إلا بداهة، وفـــى هـــذه اللحظة فقط. أو ليس المنظور التاريخى شيئاً آخر غير نظرتنا إلى الماضى ؟ ربما لا أريد أن أتابع هذا الإيجاز .

وحتى عند الترجمة ، على كل حال عند الترجمة الجيدة ينشأ نص جديد . فلا تحل ببساطة تعبيرات لغة لأخرى محل تعبيرات لغة مفردة فحسب، بـل ينـشأ بناء لواقع بالنظر إلى وسط جديد مختلف من المتلقين. ولكن لا يجب أن تكون إلا حين يُقبَلَ بناء الواقع. أعنى أن مارتن لوتر فى " رسالته عن الترجمة " قد وصف هذا الموقف وصفاً واضحاً للغاية :

... أن أنقل العهد الجديد إلى الألمانية / بأقصى ما أتيتُ من طاقـــة وأنقـــى سريرة / لم أجبر بذلك أحداً / أن يقرأه بل أطلقت العنان/ وفعلت وحـدى خدمـــةً/ للذين/ لا يستطيعون أن يصنعوا ذلك على نحو أفضل/ وليس محرماً على أحد أن يدعه/ لا أرجو من أحد ذلك ولا آبه له/ هذا عهدي (الجديد) وترجمتي/ وينبغى أن تبقى ترجمتى وأن تكون ...

(ص٩ وما بعدها : ١٩٥١، أوجه الإبراز منى)

ومنذ وقت مبكر جداً أيضاً اشتغل العلم بالعلاقة بين المنظـــور والـــنص. فليس من الممكن للأسف فى هذا الموضوع تمحيص التاريخ الذى استخدم أحياناً فى توجه مفهومى آخر أيضاً. ويلزم أن يكفى بضع إشارات. ففى النقـــد الأدبـــى يوجد إرث طويل من الاشتغال بوجهة المنظور (انظر الإجمـــال لـــدى شتنتـــسل ١٩٩١) ، ولكن السؤال المحورى هنا هو كيف يستطيع القاص/ المؤلف أن يوجه القارئ عند إدراك الواقع المَحكِى ، ولا يتوجه أيضاً اهتمام الناقد الأدبى إلى توجيه إدراك القارئ لتصورات عالم تخيلى ضرورة إلى الظواهر اللغوية ذاتها على نحو اهتمام محلل الحديث بدراسة فروق المنظورات فى عالم واقعى. ومع ذلك فممـــا يؤسف له أن الأعمال الأدبية لم تلق فى علم اللغة إلا اعتباراً ضئيلاً للغاية. وينشأ مدخل خاص إلى إشكاليتنا عبر بحث – الجنس الأدبى أيضاً ،حين يُنطلق من أن الأجناس الأدبية ليست خواصاً تركيبة للنصوص ، بل هياكل موجهة وإجـــراءات وتوقعات تفسيرية ، يستخدمها المتواصل لإنتاج أشكال الخطاب وتلقيها (بريجـــز/ باومـان ١٩٩٢) . وينشأ مدخل خاص عن بحوث فى التناص أيضا .

وثمة اهتمام لغوى بالوجهة المنظورية قد تطور فـى العـصر الحـديث مرتبطاً بوجه خاص ببحوث تحليل الحديث (انظر مثلاً كلماير ١٩٩٦) . وخرجت من علم النفس أيضاً إسهامات مهمة عن جراومان بصفة خاصة (مـثلاً ١٩٩٠). وشُرِحت أفكار مثيرة فى محيط الاتجـاه التركيبـى الراديكـالى (ز. ى. شـميث ١٩٩٢، روش ١٩٩٢) .

وفى علم لغة النفس السوفيتى المبكر بحث عـن مـدخل إلـى الوجهـة المنظورية عبر مفهوم المعنى الذاتى أو الشخصى. وفى الواقع ليس المعنى الذاتى هو المنظور ، بل المنظور هو الإطار الذى يزودنا به المعنى الذاتى (أنظـر مـثلاً ليونتيف ص١٤٤ وما بعدها : ١٩٧٩، وليونتليف ١٩٨٢، ولوريا ص٢٦٩ وما بعدها :١٩٨٢) . وقد عُنِىَ تاراسوف بمشكلة أنه حين ينطلق المرء من مفهـوم ثنائى للعلامة فإنه مجبر على التفريق بين نصوص منتج واحد ونصوص متلقـين كثيرين بشكل لا نهائى (تاراسوف/ سوسنوفا ١٩٨٥) . وعنى آخرون (كوتوف/ كورباكوف ١٩٨٣ أو جنيكن ١٩٨٢) بنماذج شمولية للنص.ومـع ذلـك كانـت المنظورات السائدة فى علم اللغة آنذاك إلى النص أكثر قالبيـة ، موجهـة إلـى مكونات المعرفة أو إلى بنية النص. وتوجد بناء على ذلك على أية حال "مواقف" معينة أو " أحوال عقلية " خاصة ، لم تقدم إلا مؤشرات مهمة بقـدر مـا توجـد مؤشرات لغوية لها.

لا أريد أن يُفهَم أن تحليل الحديث أو بحوث الوجهة المنظوريـة تـشغل مكاناً محورياً فى علم لغة النص. ولكن ربما توجد بضع نقاط قد يكـون الإكمـال ممكناً. فالأسئلة التي يمكن أن تقيم جسراً – يتعلق الأمر فى ذلك بوجه عام بالبحث عن نهج بناء المعنى – هى : على أى نحوٍ بأية طريقة ، وبأى نهج يجعل منـتج النص لنص ما معنى ؟ كيف يعبر عن هذا الاكتساب للمعنىَ ؟ كيف يُلحق المتلقون بنصٍ ما معنىً ؟ ما أوجه الفروق التي تنتج عندئذٍ؟ ما الدور الذى يُؤديه الـدرس التواصلى للوجهة المنظورية؟

ومن البديهى أن الإجابة عن هذه الأسئلة ليست ممكنة إلا تطبيقياً. فثمة طرق مختلفة ممكنة فى ذلك. ولا أستطيع أيضاً أن أواصل تفصيل هذه النقطة هنا، غير

أنى أريد أن أذكر فى الختام بعض مداخل لغوية على الأقل (بتفصيل أكثر إلى حد ما لدى هارتونج ١٩٩٦ وفى عمل مستقل) :

- لقد ذكرت الأشكال الأبسط لإيضاح الوجهة المنظورية الإعلان عن وجود منظورات والتماسه .
- ثمة مجال آخر هو التعيين الواصف للمنظورات عن طريق المشاركين. ففى الغالب لا يعبر المشاركون إلا عن أن لهم أو للشريك منظوراً أو منظوراً آخر، ويشتركون أيضاً فى : بمَ يتميز هذا المنظور؟ وفى ذلك يستخدمون تقسيمات مقولبة معينة (أنا بوصفى لغوياً ، غير خبير ، غير مشترك... الخ) يستندون معها إلى صور للوجود فى أنظمة اجتماعية مختلفة . هذه التقسيمات تقوم بوظيفة إشارات مدرجة فى النصوص إلى خلفيات مرجوة فى ذاتها للفهم أو لدى آخرين خلفيات متفق عليها أو مفترضة . ولا يهدف تحليل هذه التعيينات إلى تنميط النص، بل إلى طرقٍ لبناء المعنى أو معالجته .
- إعطاء المنظورات اصطلاحاً هو إيضاح مباشر إلى حد ما . ولكن من الممكن أيضاً أن يشرح المتكلم / الكاتب / القاص الموقفَ الخاص الذى يوجد فيه على نحو مختلف من خلال العرض . وهكذا أيضاً يمكن أن توجد خلفيات خاصة لفهم نص ما.
- المنظورات مرشحات ندرك من خلالها العالم من حولنا، ومواقف أساسية نهتدى بها عند معالجة أوجه الإدراك . هذه المواقف الأساسية تنتظم حول صيغ قولبية (متكررة) معينة، وأوجه اقتناع ومعتقدات وعناصر معرفية، يمكن أن نجدها غالباً فى النصوص، وتشكل الحجاج، ويتبناها باستمرار المشاركون . وبهذه الطريقة يمكن أن يُكتشف البعد المنظورى للبنية الموضوعية (الثيمية) للنصوص .

ومرادى ما يأتى : حين لا يكون النص إلا مرحلة خاصة فى عملية اتصال معقدة، فإنه يكون مرتبطاً على نحو ضيق للغاية بالبشر الذين ينتجونه ويتلقونه . ويمكننا أن نرخى هذا الربط من أجل الإجراء الأفضل لتحليلات مفردة ، ولكن لا ينبغى أن يغيب عن النظر. ويمكن أن يكون البحث عن الوجهة المنظورية ومحيطها فى ذلك توجيهاً لنا. أما الخوف الذى يُعبَّر عنه أحياناً ، بأن مراعاة

المتلقى هذه وحدها يبطل مفهوم النص، فأعده لا أساس له . إذ يظل النص (فـــى جوهر الأمر) بوصفه بناءً مادياً دون تغيير. وتشكل الأمثلة حول التغير المـــستمر لمرتكزاته النموذجية ، بل واستجابة المشاركين لهذه التغيرات ، ومنهـــا دراســـة الوجهة المنظورية ، وكذلك توجيه هذه التغيرات وتقييدها من خـــلال الأعـــراف (اللغوية) السارية فى مجتمع ما - تشكل مجالات مختلفة للموضوع ، يعدها كل واحد مهمة بشكل غير عادى ، ولكنها يمكن أن تتعلق بعـــضها بـــبعض أيـــضاً. وفضلاً عن ذلك لا يكفل انطلاق من إنتاج النص إلا يقيناً أكبر فيما يبـــدو. ويُعـــد طريق المقاصد إلى ما قيل أخيراً أيضاً أىَّ شئ آخر غير مختصر و غير مستقيم، بغض النظر تماماً عن أن الأداة المفهومية للإنجاز بالنسبة لإعادة بنـــاء خلفيـــة مقبولة بشكل كاف للإنتاج ما تزال تقريبية إلى حد بعيد للغاية. ولـــذلك لا أظـــن أيضاً أنه من المجدى أن نضغط تنوع العلاقات و إمكانيـــات التفـــسير الآن فـــى مفهوم موحد للنص . توجد حقاً منظورات مختلفة إلى النص ، ولأن الأمر كـــذلك يجب أن نقبل أيضاً أن منظورى ليس هو المنظور الوحيد .

المراجـــع

Briggs. Charles L./Bauman, Richard (1992): Genre. Intertexruality, and Social Power. - In: Journal of Linguistic Anthropology 2 (2), 131-172.

Graumann, Carl F. (1990): Perspectival structure and dynamics in dialogues. - In: Markovà. I./Foppa. K. (eds.): The Dynamics of Dialogue (New York et al.: Harvester Wheatsheaf) 105-126.

Hartung, Wolfdietrich (1985): Sprachliche Kommunikation und Linguistik. Offene Fragen einer kommunikationsorientierten Linguistik. - In: Zeitschrift für Phonetik, Sprachwissenschaft und Kommunikationsforschung, Bd. 38, H. l, 3-24.

- (1988): Zum Zusammenhang von Textkonstitution, Organisationsprinzipien und Textrezeption. - In: Hämisch. H./Michel. Georg (Heg.): Funktional-kommunikative Aspekte des Sprachsystems und des Textes (= Potsdamer Forschungen, Reihe A, H. 89) 72-87.
- (Hg.) (l991): Kommunication und Wissen - Berlin: Akademie.
- (1996). Perspektivität im Gespräch. - In: Sitzungsberichte der Leibniz-Sozietät, Bd. 10, H. 1/2, 99-128.
- (erscheint): Perspektiven-Divergenzen als Verständigungsproblem.

Hörmann, Hans (^{2}1977): Psychologie der Sprache. - Berlin. Heidelberg, New York: Springer.

Kallmeyer, Werner (Hg.) (1996): Gesprächsrhetorik. Rhetorische Verfahren im Gesprächsprozeß. - Tübingen: Narr.

Köck. Wolfram (^{5}1992) : Kognition - Semantik - Kommunikation. - In: Schmidt. Siegfried J. (Hg.): Der Diskurs des Radikalen Konstruktivismus (Frankfurt/M.: Suhrkamp) 340-373

Kotov, Renat G./Kurbakov, K.I. (Hgg.) (1983): Lingvističeskie voprosy algoritmičeskoj obrnbotki soobsčfenija. - Moskva.

Leontjew, Aleksej N (1979): Tätigkeit, Bewußtsein. Persönlichkeit. - Berlin: Volk und Wissen.

Leont'ev. Aleksej A. (1982): Psychologie des sprachlichen Verkehrs. - Weinheim und Basel : Beltz.

Lurja. Alexander (1982): Sprache und Bewußtsein. - Berlin: Volk und Wissen.

Luther. Martin (1951): Sendbrief vom Dolmetschen. Hg. von Karl Bischoff. - Halle: Niemeyer.

Maturana. Humberto R. (1982): Erkennen: Die Organisation und Verkörperung von Wirklichkeit. - Braunschweig. Wiesbaden: Vieweg.

Rickheit. Gert (1995): Verstehen und Verständlichkeit von Sprache. - In: Spillner. Bernd (Hg.I.Sprache. Verstehen und Verständlichkeit (= *forum* Angewandte Linguistik. Bd. 28) (Frankfurt/M. et al.: Lang) 15-30.

Rusch. Gebhard ("1992): Auffassen, Begreifen und Verstehen. Neue Überlegungen zu einer konstruktivistischen Theorie des Verstehens. - In: Schmidt. Siegfried J. (Hg.): Kognition und Gesellschaft (Frankfurt/M.; Suhrkamp) 214-256.

Schmidt. Siegfried J. (^{5}1992): Der Radikale Konstruktivismus: Ein neues Paradigma im interdisziplinären Diskurs. - In: Schmidt, Siegfried J. (Hg.): Der Diskurs des Radikalen Konstruktivismus (Trankfurt/M.: Suhrkamp) 1 1-88.

Stanzel. Franz K. (^{5}1991): Theorie des Erzählens. - Göttingen: Vandenhoeck & Ruprecht.

Tarasov. Jevgenij F./Sosnova, M.L. (1985): O formach suščesrvovanija teksta. - In: Ufimceva N.V. (Hg.): Rečevoe obščenie: celi. motivy. sredstva (Moskva) 33-44.

Žinkin. Nikolai I. (1982): Reč'kak provo'dnik informacii. - Moskva: Nauka.

جيرد انتوس (هالّه)

النصوص أشكال تكوين للمعرفة (*)

أفكار أساسية حول تأسيس نظرى تحولى لعلم لغة النص (1)

طرح المشكلة

التجريب أساس لكل علم ، والقدرة على التمييز حِلْيَته ، غير أن التنظير مشروعيته . وحين لا يتضح ما الذى ينبغى ويمكن أن يوضحه علمٌ ما فإن هذا العلم يصير هامشياً فى اتحاد لعلوم متنافسة أو يندمج فيها على المدى البعيد . ويبدو أن هذا يسرى أيضا على علوم – مثل علم لغة النص – يمكن أن تعلل تعليلاً جيداً انطلاقا من سمو موضوعه ووثاقة صلته العملية والتعليمية بالمثال أيضاً . ولكن هل يكفى هذا بالنظر إلى علم اللغة الذى يُفْهَم منذ دى سوسير بصفة خاصة على أنه علم نظرى ، وأعطى الأولويةَ لذلك إلى حد بعيد لبحث النحو على سبيل المثال، لأن الفروض النظرية الأشد تفصيلاً (تشعباً) مرتبطة ؟ ولذلك يسرى على علم لغة النص أيضاً : أن التنظير يعد آخر الأمر المفتاح الأساسى (وإن لم يكن الوحيد) الخاص بنظرية المعرفة للتجريب والدقة الوصفية .

بيد أن السؤال : ماذا ينبغى وماذا يمكن أن يوضحه علم لغة النص ؟ قاسٍ لأسباب أخرى أيضاً : فمفهوم النص الذى لم يوجد أى اتفاق نظرى على الإطلاق، غير أن ثمة اتفاقاً فيما يخص البحث البراجماتى إلى حد بعيد (انظر فاتر ١٩٩١)، يبدو أنه لم يُحَل فى أثناء ذلك سواء من الناحية النظرية أو العملية البحتة (انظر لينكه / نوسباومر فى هذا العمل) : ومما يذكر هنا التحرير الناتج عن مناقشة

(*) عنوان المقالة هو : Gerd Antos (Halle), Text als Konstitutionformen von Wissen.
من ص ٤٣ : ٦٣ من الكتاب السابق ذكره Die Zukunft der TL.

(١) أشكر كلا من انجيلكا لينكه وهلموت فايلكه ورانيهارد فيلر ويورج فاجنر للتعليقات النقدية.

الشفوية – والكتابية (**) للمفهوم الشفوى للخطاب ، أو تطور النصوص الجامعة (الالكترونية) ، والمفهوم الإجرائى للنص فى بحث الكتابة ، أو التصور الإداركى للنص فى الدماغ (نوسباومر ١٩٩١) أو المفهوم البراق للتناص (انظر لينكه / نوسباومر فى هذا العمل) – قد سكتت تماماً عن مفهوم النص الخاص بإعادة البناء .

وقد طُرِح أيضاً السؤال : ماذا ينبغى ، وماذا يمكن أن يوضحه علم لغة النص حقيقةً ؟ بالنظر إلى مناهج وعلوم متنافسة ؛ هى نظرية الحجاج ، والسردية ، والبلاغة ، والأسلوبية، وبحث الكتابة . ويتعلق السؤال إلى أى مدى يمكن أن تطالب هذه المناهج بعلم لغة نصى مدمج فى المطالبة والتطبيق تعلقاً حاسماً بالسؤال : هل يُمكن أن يُطرَح ويُجاب عن السؤال عن دعوى الإيضاح وكيف؟ وتذكر مرة أخرى فى نقاط بعض الإجابات التى تواكب تاريخ هذا العلم ، أجل ، فكثيراً ما صِيغت نظرياً ، وهى :

١- النص جملة مركبة (تأسيس نحوى لعلم لغة النص)
٢- النص أوجه امتداد (مركزة الموضوعات) للأبنية الكبرى (تأسيس دلالى)
٣- النص علامة مركبة (تأسيس سيميوطيقى)
٤- النص فعل كلامى مركب (تأسيس براجماتى)
٥- النص كأنه خطاب " جامد " (تأسيس براجماتى للخطاب)
٦- النص أوجه تفعيل لعمليات وإجراءات إداركية (تأسيس إدراكى)
٧- النص وسيلة مميزة لإتاحة رواية اتصالية – لغوية (تحديدا لدى ايليش ١٩٩٤)[٢]

(**) من أكثر المصطلحات دورانا ، بل ولها دور أساسى فى تشكيل مضمون هذه المقالة المصطلحات الآتية : (Entropie عامل رياضى ، مقياس للطاقة غير المستفادة فى نظام حرارى)، (Wissensformen أشكال المعرفة) Wissensevolution , (تحول أو ارتقاء المعرفة) Organisotionsforlmen (أشكال التنظيم), Konstitutionsformen (أشكال التكوين), Wissenwelt (en), (عوالم المعرفة) Architektur (فن أو أسلوب بناء), Gute Gestalt (شكل جديد), Architektonik , (هندسة البناء), Schriftlichkeit, (الكتابية), Evolutionstheorie (نظرية التحول والارتقاء).

(٢) " المهم للنص فى إطار هذا المفهوم هو تغيير بنية الوسائل اللغوية التى تتحقق بوجه خاص فى تكوين أشكال جديدة . ولها وظيفة عمل إرث (تقليد) من خلال تنشيط قدرات خاصة للذاكرة وضمان التغلب على إهمال الفعل الكلامى المباشر ، والمنعقد موقفيا ، عبر إعادة تعيين بسيطة " (ايليش ص ١٨ : ١٩٩٤) .

وليس هذا المكان مكان إلقاء الضوء على هذه المحاولات (التى يمكن أن تتضاعف للتأسيس) ولا التعليق عليها إطلاقاً . ولذلك ربما كانت هذه مخاطرة كبيرة ، لأن أوجه التأسيس هذه تبرز جوانب مهمة فى أعمال لغوية نصية .

ويتعلق منهج إيضاح آخر هنا ، جديد إلى حد ما " بالحل " المذكور لمفهوم النص الذى ينبغى أن تُحَدَّد فيما يأتى إمكانية له .

٢ـ فرضيات

ينبغى أن يُحاول فيما يأتى جعل دور النصوص فى سياق التطور الثقافى للمعرفة منطق تأسيس " نظرى تحوُلى " (ارتقائى) لعلم لغة النص وهدفه . وتعد منطلق الفرضيات الاثنتى عشرة ، التى ينبغى أن تعمق إلى حد ما (III) مقدمتان متعلقتان بعضهما ببعض .

١- ربما لم يكن التطور الحديث للمعرفة بتنوعه الثقافى والتاريخى والوظيفى ممكنا دون وجود نصوص . ومن ذلك أيضاً – وهو ما يختفى تدريجيا فى علم لغة النص إلى حد بعيد – الأشكال المتنوعة (الاجتماعية – الثقافية والاقتصادية ، والإعلامية ، والخاصة باللغة الأجنبية ....إلخ) لتوزيع النصوص وتلقيها المتناغم إلى أقصى مدى فى أثناء ذلك . فقد تطورت النصوص فى أثناء التحول (الارتقاء) الثقافى – بوصفها نتاجات فرعية مكتشفة [٣] للأفعال اللغوية – الاتصالية – إلى أشكال مؤسسة لغوياً لتكوين معرفة مركبة وتنظيمها – وكونُ هذا الوضع يُتَجاهل تماماً يتعلق من جهة بتجاهل وظيفة اللغة ، الوظيفة المكونة للمعرفة على نحو ما أبرِز فى سياق " حلقة فيينا " (فيتجنشتاين ، وكارناب) . ويضاف إلى ذلك من جهة أخرى أن المعرفة يمكن أن تجرد بسهولة من أشكال تنظيمها المتنوعة لغوياً . وكونُ المعرفة السارية بصورة جمعية (المفهومة على أنها درجة تجريد لأشكال تكوينها اللغوى) معرفةً ممثلة لغوياً دائماً (وليست موجودة إلا

---

(٣) فى مقابل الشروح الوظيفية العادية يبرز فايلكه محقاً أن الوسائل اللغوية والاتصالية فى العادة تُصنَّف على أنها إمكانات " مكتشفة " للفعل (فايلكه ص ٣٣ : ١٩٩٦) . ويدخل فى ذلك فى رأيى الاكتشاف الثقافى للكتابة بوصفها وسيلة لتسجيل المعرفة ، وتوسيعها : انطلاقا من ذلك

اجتماعياً – إدراكياً) يُنسى فى ذلك مثلما تُنسى حقيقة أن أشكال التكوين النصية يجب أن تُتَطور ابتداءً فى معرض أشكال التحول الاجتماعية ذاتها: فالسؤال يمكن (أو يجوز) إذن أن يعرض فى تلك الوسائط أو الأنواع أو التنوعات أو الأساليب على أى نحو (أو صيغة أو محيط زمنى أو مكان.. الخ) [٤] ، متعلقٌ بتقاليد وحاجات تاريخية واجتماعية – ثقافية ، ومقاييس أخرى لمجتمع . وقد صارت هذه المعرفة حول أشكال اجتماعية – ثقافية مألوفة واستراتيجيات الفعل فى لغة (لغات) ومعها موضوعَ انعكاسات/تأملات، علمية ، وقائمة على التطبيق وفنية ، فى البلاغة ، و (علم) الأدب ، وعلم اللغة ...الخ : ينبغى أن تذكر فيما يلى أيضاً " <u>معرفة تكوين نصية</u>" للإيضاح[٥] .

٢- فرضية أن المعرفة المركبة فى أجزاء كثيرة من حياتنا الفردية والجمعية معرفة قائمة على أساس نصى ، يجب أن تُحَدَّد فى مقابل اختصار معرفى : فالنصوص ليست وسائل لتقديم المعرفة وتسجيلها فحسب (وهكذا فهى ليست مجرد " تحققات " لغوية لتصورات وأبنية وعمليات إدراكية) ، بل إن النصوص – كما يبين بحث الكتابة (أنتوس / كرينجز ١٩٨٩ ، ومولينور ، لوبرت ١٩٨٩) – وسائل محورية للتكوين المعرفى الفردى والاجتماعى أيضاً (من وجهة نظر تاريخية – ثقافية وجينية فعلية) . وأفهم تحت ذلك من جهة <u>توسيع المعرفة وتمييزها وتشكيلها</u> ، ومن جهة أخرى <u>ضبط المعرفة ، ونقدها وتغييرها</u> ، وكذلك <u>عرض (تمثيل) للمعرفة وتقديمها</u> القائم على أساس " بلاغى ") من أجل اتصال مؤازر للتلقى . فهذا التشكيل للمعرفة القائم على التوزيع والتلقى بدايةً يجعلُ النصوص (بوصفها مرة أخرى عملية توزيع وتلقٍ دائمة) وسيلةً لتحول المعرفة قادرة على الإنجاز اجتماعياً – وثقافياً .

---

(٤) يندرج ضمن هذا الكيفية التى تتعلق بهل تُجْعَل الإنجازات فى النصوص صريحة وكيف (انظر حول ذلك ايليش ص ٢٥ : ١٩٩٤) .

(٥) كما يبين تقليد البلاغة الذى يتجاوز الألفى سنة لا يشمل ذلك " المعرفة – كيف " الإجرائية لإنتاج النصوص وتلقيها فحسب بل معارف إخبارية أيضا حول أشكال واستراتيجيات مناسبة اجتماعية وواعدة بالنجاح لتنظيم المعرفة القائم على أساس لغوى .

فى هاتين المقدمتين أرتبط – بمتابعة هومبولت وفيتجنشتاين – بمعرفة محورية بالفلسفة اللغوية التحليلية حول دور اللغة المكون للمعرفة : على الأقل تعد المعرفة الإخبارية الكلية – تستبعد المعرفة العلمية (الممكن عرضها من خلال الأعداد والأشكال ... الخ) لبساطتها – لغوياً أساساً ، وبشكل أدق : معرفة قائمة على أساس نصى . ويبدو أن علم اللغة الإدراكى وعلم النفس الإدراكى يريدان أن يمحوا هذه النظرة للفلسفة اللغوية التحليلية أو يبطلاها مرة أخرى . ولذلك تظهر النصوص – بشكل لا أرادى أحياناً ، ولكن على نحو منطو على مفارقة تاريخية من ناحية نظرية العلم – بوصفها مجرد " ثوب للأفكار " أو وسيطاً لعرضها ويُتغاضى فى ذلك عن أن المفهوم المعرفى للعرض نفسه إشكالى إلى أقصى حد (هرمان ١٩٨٨) .

ويضاف إلى ذلك تأكيدُ جانب الشكل : فالنصوص أشكال إدارك اجتماعى من الناحية اللغوية ، والتصورية ، وحسية الإدراك (فايلكه ص ٥٥ وما بعدها : ١٩٩٦) . ويدخل فى ذلك أيضا كل طرق الاستعمال الاتصالية لأشكال المعرفة الجمعية ، التى يجب أن تُراعى بوضوح (متوفرة إلى أقصى حد بوسائط) على أنها أشكال توزيع اتصالى للمعرفة . وعلى هذا النحو فقط يمكن فى مجتمعات أن يُدَّعى اعتبارُ ووثاقة صلة اجتماعية لمعرفة جمعية مركبة . بل أكثر من ذلك : على هذا النحو فقط ليست المعرفة موجودة ، وقادرة على الوجود بوجه علم من الناحية الاجتماعية – الثقافية فحسب ، بل هى ما وراء ثقافية أيضاً ، أى بالنسبة لثقافات أخرى .

ويمكن أن يؤكد فى الوقت نفسه فى مقابل اتجاه الاختزال المادى لفرضية الشكل ، أن النصوص بوصفها أشكال مصوغة سلفاً من الناحية الاجتماعية لاختيار المعرفة ، وجمعها وبنائها وصياغتها تبرهن على وجودها . وأعد من الجوانب المألوفة للشكل بدرجة أكثر أو أقل ، مثل الوسيط ، والنوع ، والتنوع ، والأسلوب بجوار التقاليد الاجتماعية لتشكيل الموضوع (التيمة) ، وأشكال التناص والمصاحبات اللغوية (تحديدا لدى فايلكه ١٩٩٤ و ١٩٩٦) توزيع المعلومة وتناسبها وتجزئتها أيضاً .

ويمكن أن يسأل المرء فى إطار جوانب اختيار المعرفة وجمعها وبنائها عن مشكلات الصياغة الشاملة الناتجة عن ذلك أيضاً (انتوس ١٩٨٢) على النحو الآتى : ماذا يمكن / يجوز فى أىّ وسيط أن " يُحَوَّل إلى لغة " ، ماذا يبقى لم يتحول إلى موضوع أو يسكت عنه مطلقا . ماذا يصير متى ، فى أىّ تتابع وبأية شدة يحتاج اللغة ؟ و : ماذا يُخْضَع (فقط) أو يُشترط ، ماذا يقصد ، وإلى أىّ شئ تُحيل،كيف ، ماذا يُربَط بعضه ببعض وكيف ، وماذا يُبنى ويُقسم وكيف ، وماذا يُجرد أو يُفصَل أو يُصور الخ وكيف . وليس أن النصوص تحيل المعرفة إلى لغة، بل ماذا " تُشَكَّل " لغوياً وكيف (وبخاصة : ماذا لا تشكل !) يساوى نصوصاً . وفى ذلك يكمن الفرق بين اتفاقات الحالة (المعلومات والمواد والوقائع الخ التى تُعرَض لغوياً دائماً أيضاً بشكل بديهى) ونصوص " مفيدة " .

أخيراً ينبغى فى النظرات الآتية أنْ يُحَاوَل تطبيقُ رؤى للبحث الإداراكى للكتابة على علم لغة النص . وما هو محورى فى هذا افتراض مفهوم عملى وديناميى للنص : إن النصوص – لا يمكن أن تشكل المعرفة إلا بشكل اختيارى دائما – هى من جهة " محطات بينية " لخلق نصوص أخرى فقط ، ومن جهة أخرى هى منطلق لمعالجة استقبالية للمعرفة القائمة على أساس نصى (" نص فى الدماغ ") . ولذلك يتحدث بوعى تام عن نصوص (أى فى صيغة الجمع) . وينبغى أن يشير الجمع إلى أن كل نص مفرد – برغم أو بسبب وظيفته المشكلة للمعرفة – موجه إلى تنشيط مكونات معرفية أخرى (معرفة مسبقة ، وتنشيط الفروق المسبقة والاستدلالات ...الخ) . وتطالب هذه المعالجة للنص من جهة بصورة غالبة للغاية بصياغة نصوص أخرى (مثلا من خلال الملخصات والمختصرات والشروح ، والتفسيرات ، والعبارات الموضحة واستئناف الكتابة التناصى ... الخ)

ويتطلب افتراض ذلك المفهوم العملى والديناميى للنص من ناحية تزامنية بالنسبة للمجال التعاقبى نهجاً مناسباً ، أى خاصاً بجين النص كما طوره كونراد ايليش (١٩٩٤) فى السنوات الأخيرة . فالنصوص بالنسبة له هى الوسيلة بصفة خاصة لإتاحة رواية تواصلية – لغوية (ص ١٨ : ١٩٩٤) ، ويفهم من قيود (Constraints) اتصال كتابى وحاجات اجتماعية – ثقافية مميزة . وأفضت من

جهتها إلى تغيير أساسى للفعل اللغوى (ص ١٩ : ١٩٩٤) ويختص ذلك فيما يختص :

١- بجعل اللغة مرتبة من خلال الكتابية (انظر ما يأتى) .

٢- بتطور لغة الكتابة . [٦]

٣- باختفاء تدريجى (تقلص) للتمسك بقضية الفعل اللغوى ، وبخاصة اختفاء إنتاج اللغة / النص وتلقيهما (انظر ايليش ص ٢٠ : ١٩٩٤) .

٤- نسيان الإنجاز . [٧]

٥- " تأكيد جانب الشكل فى النصوص " [٨]

٦- " تلازم الكتابة والعلم " (ص ٣٣ : ١٩٩٤) [٩]

ومن المثير للاهتمام أن ايليش يربط التحول (الارتقاء) الثقافى للنصوص بالحفاظ على المعرفة ربطاً وثيقاً للغاية ، ولكنه لا يغفل فى ذلك اتجاهات الاستقلال المتشابكة تاريخياً ، أجل عمليات استقلال النصوص فى مقابل أهداف الرواية (النقل) ، ومن ثم إمكاناتها بالنسبة للتحول (الارتقاء) المعرفى الخاص بتاريخ الجنس ، وينبغى أن نستمر فيما يأتى فى متابعة هذا الجانب بالنظر إلى حقيقة أن الاتصال الكتابى قد صار فى الوقت الحاضر الشكل الأساسى للاتصال .

---

(٦) للتطور الجوهرى للغة الكتابة بالنسبة لتطور النصوص ، فى تلك الأثناء من بناءً على خواصها المعيارية " الحق فى أن تمثل وحدها هذه اللغة وأن تكون إياها (ايليش ص ٢٩ : ١٩٩٤) . وثمة نتيجة لذلك منسية إلى حد بعيد هى تغيير المفهوم اللغوى ذاته أيضا (" اللغة المكتوبة نزعة على علم اللغة ") .

(٧) " إن نشوء نهج الرواية متعلق أساساً من هذه اللغة من هذه الناحية بإمكان عز وأهمية للبعد القضوى للفعل فى مقابل البعد الإنجازى " (ايليش ص ٢٦ : ١٩٩٤) .

(٨) " وهكذا يتميز الاتصال الكتابى ابتداء فى مقابل تعتقد البنية المتحقق للتنصيص (الشفوى) بفقر تركيبى وهذا يشكل الأساس والمنطلق لإمكان تطوير تنوع شكلى جديد فى وسيط الكتابة ومن أجله ، ولإمكان أن تُنقَل آخر الأمر أشكال النص وأبنيته المتحققة من قبل إلى وسيط الكتابة . والنتيجة هى تنوعٍ لأشكال نصية ، متعلق بالاتصال بشكل واضح ، تلك التى يمكن حسبما يراد أن تُميَزّ ، وتَخصُص ، بل وأن تكون متوالدة " (ايليش ص ٢٦ : ١٩٩٤).

(٩) " يعد الاتصال الكتابى ، بوصفه اتصالاً متجاوزاً للزمن ، اتصالاً تعاقبياً بهذه المعنى محورياً للمعرفة العلمية " (ايليش ص ٣٧ : ١٩٩٤)

اثنتا عشرة فرضية

ينبغى أن تُبسَط هاتان المقدمتان المحددتان ، وتُوَضَّحا فى اثنتى عشرة فرضية :

١- جزء كبير من معرفتنا لا يُقدم ولا يُسجل فى نصوص فحسب ، بل لا يُشكل من الناحية اللغوية إلا كنص بوجه عام . وبهذا المعنى تعد النصوص تاريخياً ونظامياً <u>أشكال تكوين لغوية للمعرفة</u> ، وليس فقط أشكال <u>التحقق</u> اللغوية للمعرفة (الفردية أو الاجتماعية) التى تعد ثانوية بداهة بشكل دائم أيضاً . وللنصوص ، بوصفها أشكال تكوين للمعرفة منظورية ومركبة ، صلة من الناحية الأنطولوجية بنماذج ونظريات . ومثل هذه الأخيرة تُوجد ابتداءً " عوالم معرفية " مشكلة نصياً ذات أحقية اجتماعية معرفية ، أى ما وراء ثقافية . وكونُ ذلك يُتَجاهل غالبا يرتبط بنزعة الاختصار التى توجز التكوين اللغوى للمعرفة بوصفه جانباً محورياً لعملية إنتاج وتلقٍ وتوزيع دائمة من ناحية المادة إلى مجرد تهيئة للمعرفة فى نصوص .

٢- إلا أنه : ليس كل تحقق سيميوطيقى للمعرفة الفردية أو الجمعية يمكن أن يُشَكَّل أو يُنَظَّم بشكل مناسب أو مفيد . حتى مع معرفة مركبة كثيراً ما لا يكون " تمثيل " سيميوطيقى ضرورياً قط :

(i) من يستطيع أن يعزف مقطوعة بيانو (سوناته) لبيتهوفن لا يكون قادراً لمدة طويلة على أن يسجلها فى شكل نوتة موسيقية .

(ii) جزء كبير من المعرفة الرياضية – العلمية أو المرئية ، أى المعرفة الخطية – المصورة تقوم على أساس سيميوطيقى ، ولكنها ليست لغوية (أساسياً) .

(iii) بعض أشكال المعرفة ذات أساس لغوى – مثل قصاصة الملاحظة أو القوائم (انظر ايليش ١٩٩٤) أو الصيغ / العبارات المبتذلة / الأمثال / الأكليشيهات ...الخ (انظر فايلكه ١٩٩٦) – ولكنها ليست منظمة نصياً ضرورةً ، ومع ذلك يصح :

(IV) بالنسبة لقطاعات واسعة من مكونات معرفتنا الفردية أو الجمعيـــة أن تُعد النصوص شكل التكوين والتنظيم المركب لمعرفتنا الجمعية الأكثر توفيقا من الناحية الاجتماعية وإن لم يكن الشكل الوحيد .

٣- ومن ثم فإن النصوص أشكال تنظيم لمعرفة مركبة لأنها تهيئ أحجاماً لهندسة البناء اللغوية ؛ لمعرفة وثيقة الصلة اجتماعياً - وإداركيا . وفى ذلك يـصير " تشكيل هندسى " للمعرفة من خلال تنصيص مميز ضرورياً بقدر ما ترتفـع درجة تعقد المعرفة المتكونة . وفى إطار منظور مشكل للمعرفة وناقل للفعـل (ومن ثم فى إطار جانبى إنتاج النص وتلقيه أيضاً) تصعد بذلك الحاجة إلـى " تنظيم " اختيارى ومنظورى لهذه المعرفة (انظر هارتونج فى هـذا العمـل) . وكونُ النصوص تفى بهذه الحاجة على نحو أفضل بوجه عام ينتج عن ثلاث خصائص للنصوص :

(i) تجعل النصوص من خلال وسيط الكتابة / الطباعـة " المعرفـة مرئيـة " بمعنى أنه : من خلال العملية التاريخية للكتابة بالحروف (وقـد ارتقـت بوجه خاص باكتشاف طباعة الكتاب) لم تُصَوَّر وتُسَجَّل بشكل أيسر اللغة فقط . ويمكن أيضاً أن تُصَوَّر وتُعْرَض المعرفة المدمجة فى اللغة بـشكل أكثر اقتضاباً وأكثر تماسكاً وأمكن فى التحقيق من جهة الموضـوع وأن يختبر بصورة نقدية . وثمة نتيجة متناقضة فيما يبدو من ذلك : فمع جعل المعرفة مرئية من خلال الكتابية يمكن أن " تنفصل " المعرفة عن شـكل تكوينها المميز بشكل أيسر . ويمكن هنا - إلى كارل بولر - أن يُتَحَـدَّث أيضا عن أنه مع التطور التاريخى وانتشار النصوص (إضافة إلى ذلك فى لغات مختلفة !) يظهر " انفصال لغوى " لمكونات الاجتماعية - الثقافيـة للمعرفة المشكلة من قبل .

(ii) مع التحول الثقافى للنصوص تعلو من جهة نزعتها ، وبشكل أكثر تأمليـا أيضاً خاصيتها بوصفها عملاً لغويا غير مقيد بالموقف (كـارل بـولر) - وليس أمراً عرضاً أن خواص الكتابية التـصَوُّرية (كـوخ / أوسترايـشر ١٩٩٥) يمثل لها إلى حد بعيد بخواص النصوص (مثـل : عـدم التقيـد الموقفى ، والتماسك الدلالى ، والتفرع ، والتكثيف الدلالى ... الخ) ، التى

تؤكد هندسة البناء الشكلية . ويصير هذا مغالىً فيه بوضوح : ففى الفلسفة والدين والأدب وعلوم كثيرة يكتسب الإنشاء " الشعرى " للنصوص (" العمل اللغوى " لدى بولر) بصورة منحازة الغلبةَ قبل الجانب الوسط المحض للنصوص (بمفهوم " الواقع العملى " الأرسطى ، انظر انتوس ١٩٨٢) .

(iii) يمكن أن تُتَلقى النصوص من خلال أشكال التوزيع الحالية من الناس والتنظيمات والمؤسسات بصورة متزايدة ، بشكل أيسر دائماً (أى معقول ، وأكثر راحة ، وأسرع ، وأصوب) .

٤- يبد أنه قد تكون مساواة بين معرفة (يُتفكر فيها تاريخيا) ونص بُسِط لغويا – متواليا غير مُناسِبة ، مثل تصور أن المعرفة والنص ربما وُجدا كما يقال من أجل بعضهما بعضاً ، وكان لهما بنية تناظرية (من ناحية بنية العمق على الأقل) . على العكس من ذلك تماماً : يجب أن يُراعى الإجبار الذى مارسته اللغة على التوالى الأفقى للمعرفة (المبنية بشكل متدرج ويمكن تنشيطها بشكل شمولى) حتى مدى بعيد فى التطور الثقافى للبشرية بوصفه عائقاً تقويمياً ضخماً للتطور التاريخى والانتشار الشامل للنصوص . ويُعَد الإجبار على الاختيار والتوجه المنظورى عند عرض المعرفة وكذلك الإمكانات ، بل وحدود تراكم المعرفة وتمييزها وتفصيلها أيضاً ، وأخيراً الربط الزمنى أو المنطقى أو السببى أو المُوَجَّه للمخاطب الخاص بالمعرفة تعد كلها قيوداً لها وزنها . فهى تفسر لماذا كان ويكون " الإظهار " اللغوى ، أى " التعيين الخارجى " للمعرفة فى شكل نصوص وسيلة مُعينة فقط عند التذكر الدائم للمعرفة الجمعية وتنشيطها ومعالجتها . ومن خلال استقلال تطورى ذى وجوه عدة تاريخياً لهذه الوسيلة المعينة (ايليش ١٩٩٢ ، ١٩٩٤) فقط يمكن للنصوص أن تصير تاريخياً عبر وظائف مثل تسجيل المعرفة وعرضها ذاتها آخر الأمر وسائلَ تكوين المعرفة ، أى وسيلة لتحول المعرفة . ومع ذلك : فالنصوص – كما أُكِّد من قبل – نتاجات فرعية " مكتشفة " لتكوين معرفة

مركبة وتنظيمها[١٠] . ويعنى هذا أن تكوين النصوص ونقلها وانتشارها (توزيعها) فى شكل نصوص تعد كلها لذلك خلاف ما هو " مستقل " من ناحية ثقافية تحولية .

ويضاف إلى ذلك : فى سياقات استخدام اتصالية أيضا لا تستعمل النصوص " مستقلة " ولا لتكوين المعرفة وتنظيمها فقط على الإطلاق . ففى مقابل القصدية والتعدد الوظيفى للنصوص بوصفها وسائل اتصال يعد جانب تكوين النصوص وتشكيلها ، وكذلك جانب " التوزيع الاتصالى " [١١] (غير المقصود أحيانا) لأشكال المعرفة ثانوياً من الناحية الوظيفية . [١٢] هذا الفصل الثانى فيما يبدو ، الموجود على مستوى النص من " الاتصال والإدارك " (انظر فى ذلك لومان) ليس عيباً فحسب من ناحية نظرية النظام (ونظرية التحول) ، بل هو شرط " لربط شكلى " (موجود على المستوى الثانى أيضاً) بين جوانب اتصالية وجوانب إدراكية فى النصوص ذاتها (انظر فايلكه / شميت ١٩٩٥ ، وفايلكه ص ٦٢ : ١٩٩٦) .

٥- حين ينبغى فى النصوص أن " تُحَوَّل المعرفة إلى لغة " فإنه يجب أن يُربَط لغوياً بمعرفة معروفة من الناحية الاجتماعية - الثقافية ، أى معرفةً مفهومة. ومن هذه الناحية يجب أن تختار نصوص محددة معرفةً من ذخيرة اجتماعية - ثقافية لعالم نص أو عالم معرفة محدد ، وأن تضع لها منظوراً . وعلى هذا النحو فقط يمكن للنصوص بوصفها وسائل اتصال أن تؤدى تلك الأغراض

---

(١٠) مثل النشوء غير المقصود لطريق متحركة (كيلر ١٩٩٤) يمكن أيضا أن يفترض ابتداء للتطور التحولى للنصوص بوصفها أشكال تكوين للمعرفة أنها على أية حال لم تكن مقصودة دائماً .

(١١) لا يعى أغلب الناس والتنظيمات والمؤسسات - بحمد الله - مطلقا ما يخلفون فى شهادات مكتوبة ووسيطة أخرى بالنسبة لأبنية الرأى والتراث أو المكتبات أو الأرشيف أو دوائر الإحصاء أو المصالح أو الخازنة . هذه مصدر مهم للتوزيع الاتصالى للمعرفة - وثمة شكل توزيع مغاير تماماً يتعين فى معارض الكتاب السنوية ، التى تعد بدورها شرطا لانتشار عالمى لمعرفة قائمة على أساس نصى (مثل حقوق الترجمة والانتفاع) .

(١٢) حين تبدو المقارنة ليست من المجازفة : فقليلا ما يكون مفيداً أن يقصر الجنس على التناسل، وعلى نحو مطابق : أن يقصر التواصل على ارتقاء المعرفة ، ومع ذلك فمن المنطقى أن يراد تفسير الجنس أو الاتصال فى إطار منظور التناسل أو ارتقاء المعرفة .

التى يمكن أن تُقْصَد من المنتج بوصفها أوجه توقع منتظرة متبادلة، فيمكن أن يتوقعها المتلقى . ويعنى هذا أن المتلقين لا يتوقعون أن نصا ما يدمج المعرفة الكلية الممكن إيضاحها لعالم نص محدد .

ومن ثم : فإنه لا يمكن أن تتحقق دائما فى نص محدد إلا شريحة من المعرفة كعملية اختيارية (لمنتج النص أو لمجموعة أو لمجتمع) حتى جانب معين . وعلاوة على ذلك ، ربما لا تخفق محاولة إيضاح المعرفة الضمنية الكلية (بولانى ١٩٨٥) من مركب معرفى محدد (وربما دقيق) إيضاحاً تاماً وذاتياً (يدخل فى ذلك إذن المعرفة المسبقة والفروض المسبقة والاستدلالات ...الخ) لأسباب جوهرية (انظر فينوجراد / فلورس ١٩٨٩) وخاصة بالقدرة على الاستعمال . وربما وُجِدَت أيضاً محاولة غير مناسبة أساساً ، تنشد هدم استقلال ما هو مُدرَك مثل الاتصال (فضلاً عن ذلك رغبة كل الديكتاتوريين !).

٦- بقدر ما تُحَوَّل معرفة مركبة إلى لغة بشكل اختيارى تخضع النصوص للشروط العامة لتقليص الاحتمال . ويعنى هذا أنه يمكن من ناحية نظرية النظام أن تدرك تنوعات وأنواع نصية وأساليب ... الخ بوصفها وسائل اختيار ملزمة لمبدأ " البناء البراجماتى للبنية ، " ومن ثم تؤسس أفضليات ملزمة اجتماعياً للقصد والفهم (فايلكه ص ٢٢ : ١٩٩٤) . ولتلك الوسائل اللغوية ، والأسلوبية ، بل والنصية ، للاختيار هدف هو تقليص إمكانات المعنى غير المقيدة أساسا بشكل عملى ، وعدها متاحة لاتصال آخر مثل التكرير (فايلكه ١٩٩٤) . وبذلك يقدم نموذج – الاختيار ومن ثم نموذج – المعنى إسهاماً حاسماً فى عمل نظام (اتصالى) ما لتقليص الاحتمال (انظر انتوس ١٩٩٦) . فالنصوص بوصفها أشكال تكوين وتنظيم تقلص كصياغة لغوية وتصورية وحسية مميزة تقلص إمكانية معنوية محتملة ، وتصوغ بشكل أولى ، بوصفها وسيلة اختيار ملزمة اجتماعياً ، نموذجاً محدداً " للمعنى " .

٧- لعلم لغة النص فى مقابل مناهج تفسير متفرعة (مثلاً فى مجال النحو) علاقة بسؤال آخر تماماً (انظر نوسبا ومر ص ٢٥ وما بعدها : ١٩٩١) : لماذا يمكن أن تكون نصوص ما " جيدة " أو " مفهومة " أو " مناسبة " بدرجة أكثر أو أقل فقط ؟ ويتعلق إيضاح هذه الخاصية المُدَرَّجة للنصوص بأنها

(النصوص) أبنية لغوية متعددة الأبعاد (كذا لدى أوستن ، انظر أنتوس ١٩٨٢) ، ومن ثم فهى خاضعة لأبعاد مختلفة للتوفيق.

٨- وثمة ميزة خاصة بالإدراك الحسى ، بل وتصورية بوجه خاص ، حين يكون للنصوص " شكل جيد " وينمى نظام معرفة مركبة من خلال هندسة بناء نصية، تستفيد – بقصد أو بدون قصد – من خواص " الشكل الجيد " (انظر ما يأتى). وتيسر إمكانية المعرفة الجيدة للأشكال مرة أخرى (البروز) الناتجة عن " شكل جيد " إنتاجَ النصوص وتلقيها . ويبين التعرف اليسير على أجزاء النص (بوصفها أجزاء) ، أو قبول " ضرورات تعطيل الشكل " عند إنتاج النص وتلقيه أو المعرفة حول إمكانية التقسيم وإمكانية التنسيق عند الصياغة اللغوية أننا نهتدى عند صياغة النصوص وقراءتها بمعايير (يمكن) أن تتناسب مع مبادئ علم النفس الجشتالت .

ولأنماط النص وأنواعه تبعاً لذلك فرصة أكبر فى نجاح ارتقائى ثقافياً وما وراء ثقافى حين يكون لها " شكل جيد " . ويؤدى " الشكل الجيد " مع التمسك بصياغة الملاحم المشجع على التذكر (أونج ١٩٨٧) دوراً حاسماً فى توريث هذه الأشكال للمعرفة فى الأصل . [١٣] ولكن بعد نجاح النزعة الأدبية أيضا تُجعَل نصوص ذات " شكل جيد " بشكل واضح فى ثقافات كثيرة المبدأ القاعدى " لنصوص كلاسيكية " ويسرى هذا لقرون فى الثقافات الأوربية على نصوص النموذج اللاتينية ، وكذلك على عملية إنشاء النص ذاتها (انظر الدور الرائع للبلاغة حتى-نهاية القرن الثامن عشر) . ومع إنتاج المعرفة حتى هذا الوقت ترتفع أيضا زيادة أنماط النصوص وأنواعها والتمييز بينها بوصفها أشكالَ تنظيم للمعرفة متباينةً من الناحية الاجتماعية الثقافية .

٩- ليس آخراً فى إطار جوانب تشكيل النصوص ، وتوزيعها وتلقيها تصير نصوص كثيرة وسيلة لتحول المعرفة أيضاً : وبهذا المعنى النصوص شرط إمكانية جعل المعرفة صريحة بتجزئتها ، وتمييزها وتفصيلها ، وتشكيلها على نحو يمكن العثور عليها (وظيفة الاسترجاع) ، ووضعها فى علاقات جديدة ،

(١٣) حول الأهمية المستهان بها إلى حد بعيد لما هو جمالى فى " شكل النصوص وأشكالها " انظر فيكس ١٩٩٦

واختبارها ، وتقويمها ، وتصويبها ، وإعادة تركيبها ، واستخلاص نتائج جديدة من معرفة معلومة وإعادة تقديمها لغوياً بالنظر إلى علاقات موقفية واجتماعية جديدة – و فى ذلك ثمة جانب ناشئ مهم دائما هو التوزيع الاتصالى للمعرفة ، المرتبط بمدخل إلى وسائط معينة ، ولكنه متعلق أيضا بشروط إطار أخرى (مثل وضع التعليم ، وعلاقات السلطة الاجتماعية والسياسية ، ومعارف باللغات الأجنبية) . ولذلك إذا لم تعد نصوص عالم نصى اجتماعى – ثقافى محدد غير مستقلة وغير ثابتة (أى بوصفها نتاجات فردية للفعل) ، بل دينامية توصفها منطلق أو محطة بينية لعملية ما فى تكوين المعرفة ، فإن نصوصاً محددة هى للإحاطة وإعادة ربط فى عملية إنتاج وتلقٍ اجتماعيين متكررين ومتبادلين . وتشكل هذه العملية لتوزيع المعرفة وتحويلها وتجديدها الأساس لارتقاء للمعرفة قائمٍ على أساس نصى متقارب إلى حد بعيد فى أثناء ذلك .

١٠- إن هندسة البناء الشكلية للنصوص هى التنظيم اللغوى والتصورى والخاصة بالإدارك الحسى للمعرفة . ولذلك يمكن أن تُدرَك النصوص فى إطار منظور خاص بتكوين المعرفة – وإن كان بمعنى ضعيفٍ – على أنها أفكار قائمة على أساس لغوى حول جوانب من العالم . وحين تُفهم النصوص على أنها " أشكال إدارك اجتماعى " فإن النصوص تنزع إلى تشكيل عالم للمعرفة وثيق الصلة اجتماعياً . ولذلك ينبغى باختصار أن يقال فى إطار منظور استدلالى : النصوص نماذج عن عوالم (أى عن مركبات أحوال مختارة من ناحيتى البنية والمنظور) . وللتغلب عن أشكال سوء فهم خاصة بنظرية النقل يُضاف على سبيل الاحتياط : ولا تُوجَد هذه العوالم لغوياً (فى إطار انعكاس تناصى) إلا بالنصوص (أو تُخلَق باستمرار مثل التلقى وإعادة الإنتاج) .

١١- النصوص مثل النظريات تنقل للناس (عروضا) إداركية للنظام فى العالم . وهى تشكل بوصفها أشكال تكوين وتنظيم لغوية مركبة للمعرفة ، وبوصفها أيضا أساس الارتقاء الاجتماعى – الثقافى للمعرفة ، فيما يبدو " جُزراً " محكمة التركيب والتنظيم فى مقابل ما يمكن أن يطلق عليه استناداً إلى علم

الديناميكا الحرارية " انتروبيا إدراكية " (بننت ١٩٩٥ و١٩٩٦) (*). وهذا يعنى : مثل أى نظام ، تتلاشى أيضاً المعرفة المنظمة فى النصوص على المدى الطويل على الأقل . وفيما يتعلق بهذا الأمر تعد النصوص مستعدة لذلك بوجه خاص ، باعتبار أنها تصاغ باستمرار مثل الاختيارية على أساس معرفة ضمنية (اجتماعية – ثقافية) . ويمكن أن يتأخر الفقدان المتزايد أساسا لما هو واضح ، مثل المعرفة الضمنية من خلال عمل ثقافى (صيانة المكتبات ، والتعليم ، والدراسات اللغوية للنصوص القديمة ...الخ) ، بل من خلال " استمرار كتابة " النصوص أحيانا أيضاً .

وعلى هذا الأساس يمكن أن تُفْهَم النصوص من جهة نظرية الارتقاء تارة على أنها وسيلة لصعود النظام المعرفى ومن جهة أخرى – ارتباطا بذلك– على أنها تحويل محدد زمنياً للانتروبيا المعرفية . وفى إطار هذا المنظور يمكن أن يقال أمران : مثل نصوص اخرى أيضاً تسهم النصوص (المفهومة بأنها جنس سيميوطيقى) من جهة فى تكوين المعرفة ، وتنظيمها (الاختيارى والبنائى) ، و " وراثتها " . (أى إعادة إنتاجها) ، ومن ثم فى زيادة النظام المعرفى والاجتماعى . وتكون / تصير فى ذلك فى الوقت نفسه ليست عرضة لتقويض المعرفة ، وفقدانها،ونسيانها ، وتزييفها (ويعد هذا فضلاً عن ذلك تأسيساً تحولياً لعمل فيلولوجى تُجوهل إلى حد بعيد !) .

١٢- ينتج عن هذه الفروض ١- مفهوم للنص يؤكد من جديد و ٢- دعوى تفسير علم لغة نصى مؤسس على نظرية التحول (الارتقاء) . على هذا العلم أن يوضح التحول (التطور) الثقافى لتوليد (وإعادة – توليد) أشكال معرفة اجتماعية وأشكال استعمال اجتماعى للمعرفة (بما فى ذلك أشكال توزيع اتصالى) ، وتنظيمها ووراثتها . وفى مقابل علم النفس الإدراكى ، وعلم الاجتماعى المعرفى ونظرية المعرفة وفروع عملية أخرى وظيفة علم لغة النص بمفهوم تقسيم مفيد للعمل توضيح تلك الجوانب للتحول (التطور) المعرفى (العالمى فى الوقت الحاضر) ، التى تتعلق بنماذج وأشكال لغوية ، وتصورية ، وإدراكية حسية ، وطرق الاستعمال الاتصالية للمعرفة أيضاً .

(*) انتروبيا :عامل رياضى يعتبر مقياساً للطاقة غير المستفادة فى نظام دينامى حرارى .

٣- توسيعات وإيضاحات

٣-١ معرفة نصية للتكوين

حتى يمكن أن تُنتج نصوص وتُتلقى صارت فـي أثنـاء التطـور الثقـافى مكونات معرفية مميزة للنص ضرورية ، يُفَرِّق بينها فى كتاب هاينه مان وفيهفجر (١٩٩١) (*) على النحو الآتى :

* معرفة لغوية .
* معرفة موسوعية أو موضوعية .
* معرفة التفاعل (تفاعلية) .
* معرفة إنجازية .
* معرفة بمعايير اتصالية عامة .
* معرفة ما وراء اتصالية .
* معرفة بأبنية النص الكلية .

وخلافا لتنظيم معرفة – ماذا (انظر هرمان وآخرين ١٩٩٢) فى النصوص ، وكنص تعد هذه المعرفة النصية للتكوين (معرفة – كيف) – كما أحب أن أسميها– شرطاً لتحقيق لغوى مناسب اجتماعياً كمعرفة – الموضوع) . ولكن ليس من هذه المعرفة النصية للتكوين مكونات معرفية إخبارية فقـط ، بـل تتطلـب صـياغة النصوص وتلقيها قدرات إجرائية للتشكيل اللغوى والتفسير أيضاً اللذين يـشكلان (فى نموذج) بوصفهما حلاً للمشكلة فى بحث الكتابة وبحث إنتاج النص (أنتـوس ١٩٨٢ ، ومولينور – لوبرت ١٩٨٩) .

ومن الواضح هنا دون إمكان تناول قائمة هاينه مـان / فيهفجـر تنـاولا مفصلاً أن ثمة مكونات معرفية مختلفة تعد ضرورية لتنظيم معرفة (– الموضوع) فى النصوص وكنص – وبتعبير آخر: تتكون النصوص عادة من جمل يمكـن أن تُستنبَط أشكالها من مبادئ معرفة لغوية (انظر حـول ذلـك رأى تشومـسكى) . ويتطلب تنظيم / معرفة فردية وجمعية عادة معرفة إنتاج وتلق أكبر بكثيـر مـن معرفة نحوية فقط . وينبغى لذلك فى مقابل مناهج قضوية ذات تحليل إلى أدنـى

(*) انظر تفصيل كل معرفة من هذه المعارف إما فى الأصل من ص ٩٤ إلى ١١١ أو فى ترجمتى للكتاب من ص ١٠٣ حتى ص ٢٠٥

العناصر أن يُبرز أن النصوص أشكال مستقلة أصلاً تعد نتيجة تحول (تطور) لمعرفة اجتماعية مؤسسة لغويا وأساساً لها أيضا على حد سواء .

٣-٢ مبادئ لغوية نصية "للشكل الجيد" نظرة عامة

ما الخواص التى يجب أن تكون للنصوص حتى يمكن أن تقوم بوظيفة أشكال تكوين وتنظيم لمعرفة مركبة ؟ لقد عُنِىَ علم لغة النص الحقيقى محقاً مراراً بثلاثة جوانب ، ينبغى أن تكون أساسية للنصوص : التماسك الدلالى ، ونوع النص ، والنظام الموضوعى الثيمى (برينكر ١٩٨٨) . وبهذه المفاهيم يُشار إلى مبادئ نظام محورية للمعرفة السميوطيقية : فالمعرفة بأنواع النصوص والموضوع تحدد أشكال التنظيم الكلية لنظام سيميوطيقى ، وبتعبير أدق : هندسة بناء النصوص (انظر مثلاً الأبنية العليا بمفهوم فان دايك ١٩٨٠) . وبوصفها قيوداً كلية للإنتاج والتلقى تختزل هذه الأشكال لهندسة بناء المعرفة القائمة على أساس نصى ، الممكن توقعها اجتماعياً تماسَ ما يمكن قوله وما يمكن فهمه أساساً . وحتى يمكن إنجاز ذلك معرفياً بشكل فعال بقدر المستطاع ينبغى أن تستند قيود كلية مطورة اجتماعياً – وثقافياً إلى أشكال تفسر فى علم نفس الجشتالت " بشكل جيد " . ماذا يمكن أن يعنى هذا من منظور لغوى .

لقد شرح ڤولفجانج كلاين – وبخاصة فى سياق اكتساب لغة ثانية (ص ٩٣: ١٩٨٤) – مبادئ التنصص التى أريد أن أنقلها بوجه عام وأكملها وأنظمها بشكل منهجى بوصفها أوجه تجريب لهندسة بناء نصوص " جيدة التشكيل " :

١- مبدأ الدينامية الاتصالية المتنامية (بمفهوم مدرسة براغ الجديد) . مؤتلف ومتلازم بشكل وثيق مع :
٢- مبدأ التقسيم إلى موضوع وحديث (من المعروف إلى الجديد !) .
٣- مبدأ الترابط الدلالى (رتب العناصر المؤتلفة حسب دلالتها بشكل متقارب بقدر المستطاع!) .
٤- مبدأ التوجيه (ينبغى أن يُجاب عن الأسئلة من وأين وماذا وكيف،فى العادة فى بداية نص) .
٥- مبدأ التتابع المنطقى (قَرِّر نتائج فى تتابعها الزمنى الحقيقى . ويبدو أن هذه حال خاصة لمبدأ الاستمرار الموضوعى – الثيمى . (ما يأتلف مادياً ، وزمنياً،

وحجاجيا ، ومنطقياً ..الخ ينبغى فى العادة أن يعرض معاً أيضاً أو يعالج فـى تذييلات متفرقة) .

٦- وبدلا من أوجه تعيين علامات للتنغيم الواردة لدى كلاين يمكـن أن تـصاغ للنصوص المكتوبة " مبادئ التصميم الجيد للنص " (وذلك بالنظر إلى الوضوح وإمكانية القراءة ..الخ) ، التى تقابل علم الدلالة المرئى المتقدم فـى العـصر الحديث (جيسكه ١٩٩٢) .

ويمكن أن تُذكر بالإضافة إلى ذلك مبادئ أخرى ، تعين أيضاً إلـى حـد مـا " التشكيل الجيد " للنصوص :

٧- مسألة : يمكن أن ينظر إلى النص على أنه إجابة مركبة عن السؤال (ضمنى، يعد أساساً للنص) . ويحدد هذا السؤال مزايا مضمونية وتركيبية لبناء البنية الصغرى والبنية الكبرى لنص ما (كلاين / شوتر هايم ١٩٩٢) .

٨- مبدأ التحديد الثيمى لإسهامات نصية (موضوع النص بوصفه وسيلة – إبحار من خلال معلومات نص ما) .

٩- مبدأ التماسك الدلالى – للنص (تعليم لغوى لسياق مَعْنِـى واضـح أو يمكـن الاستدلال عليه) [١٤] .

١٠- مبدأ تقسيم المعرفة المركبة (توزيع للمعرفة يمكن أن تستوعب إدراكياً) .

١١- مبدأ التوازن الداخلى للإسهامات (تناسب مماثل للمعرفة بشكل تقريبى).

١٢- مبدأ الإيضاح المأمول والمستعاد المتأمل فيه ، أى بوجه عـام : مـا وراء تواصلى (نظرات عامة ، ومذكرات اليكترونية متطورة ، وإطـار المقـالات وتعليق المقالات والملخصات ... الخ) .

---

(١٤) ينظر إلى صورة " التماسك الدلالي " فى علم لغة النص نظرة شديدة التباين فهى تمتد مـن أشكال الإحالة الممكن تحققها نحوياً (فاتر ١٩٩٢) ، وأشكال موضـوع الـنص (برينكـر ١٩٨٨) ، و " الحركة الإحالية " (كلاين / شتوترهايم ١٩٩٢) حتى الأشـكال الموضـعية لتفعيل أو استدلال على عملية تشكل الموضوع . ويمكن أن تخفف حدة الخلاف إلى حد بعيد حول : هل يعد التماسك الدلالى خاصية نصية أم محصلات الإنجازات وأحكام المتلقـين ، حين يفهم مبدأ التماسك الدلالى بأنه مبدأ يجب أن يؤدى بحيوية عند إنتاج النص وعند تلقيـه أيضاً ، وأن يُحَوَّل لغوياً .

ومن اللافت النظر ابتداءً أن علم لغة النص قد عالج بالتفصيل كثيراً من النقاط الواردة هنا – ولكن نادراً بداهة فى إطار هذه المبادئ . وكونُ مبادئ التنصيص هذه لنصوص جيدة من جهة الشكل يمكن أن تُستنبط من مبادئ علم نفس الجشتالت ، يمكن أن يُزْعَم هنا لأسباب المقام فقط . ومن البديهى أنه يجب أن تحدد هذه المبادئ تحديداً أدق . ويجب أيضاً أن تناقش الائتلافية واستنزافها ، ومشكلة مواضع القطع وأوجه التداخل . وأخيراً من الواضح أيضاً أنه يُتَوقَّع أو يُدَّعَى تباينها تبايناً شديداً من جهة تمييز نوع النص .

بيد أنه يمكن أن توضح من عرض مبادئ ممكن أن يعاد تفسيرها فى ضوء علم نفس الجشتالت سمةٌ حاسمة للغاية للنصوص ، وهى : لا يمكن أن يُحْكَم على النصوص بشكل ثنائى ، أى بأنها صحيحة أو خاطئة ، نحوية أو غير نحوية ... الخ فقط . ونتج هذا عن أن النصوص خاضعة لأبعاد مختلفة للتوفيق (أنتوس ١٩٩٢) ، ويجب أن يحكم عليها بشكل متدرج داخل بعد وحيد أيضاً . كلا الأمرين يمكن أن يُرْبَط بفرض أن النصوص من وجهة نظر شكلية (أى فيما يتعلق باللغة والتصور والإدراك الحسى) تكون " أفضل " ، كلما كانت ملتزم أكثر بمبادئ (صيغة جمع) " الشكل الجيد " .

٣-٣ النصوص نماذج لعوالم معرفية

لا تُقَدَّم مع أوصاف وأخبار وقصص وأشكال حجاج كثيرة معرفة فحسب ، بل تنجز قبل أى شئ . ولكن هذه الحقيقة تُفْهَم بشكل ضمنى عامة بأنها مقولة حول التكوين Genesis ، وليست مقولة حول صلاحية الوظيفة الخاصة بالتكوين المعرفى للنصوص . ويمكن أن ينطلق المرء ، دون إرادة أن يُجْهَد بالفلسفة اللغوية التحليلية ، بل والتفاعلية الرمزية أيضاً ، من أن جوانب معينة من واقعنا الاجتماعى لا تُنْجَز إلا من خلال <u>عرض هذا الواقع</u> ، ويحصل من خلال ذلك فقط على <u>صلاحية ووثاقة صلة اجتماعية</u> . إن النصوص لا تجعل المعرفة مرئية فحسب ، بل توجدها بوجه عام من ناحية اجتماعية – إدراكية ! .[١٥]

---

(١٥) هذا يوضح فيما بعد لماذا ما تزال النصوص القديمة أو النقوش ، وإن كانت قد فُكَّت مغاليقها ، ليست مفهومة لنا غالبا . وهكذا فالفيصل بالنسبة للصلاحية الاجتماعية للنصوص ليست واقعة تحققها اللغوى (فهذا فى الواقع قد يكون مادية عادية !) بل طبيعة تكوين الواقع المستقر (بشكل متباين) اجتماعيا .

كيف يُعَلِّقَ كلا الجانبين المتصور أنهما متضادان غالباً بعضهما ببعض ؟ عند نقل جوانب مكونة لمعرفة – إداركية ، وجوانب لغوية – اجتماعية تؤدى الاختيارية النصية دوراً جوهرياً . ويُفْهَم ضمن ذلك الظواهر الآتية : اختيار الموضوع ، والوسيط ، والمنظور ، والتركيز ، أو تشكيل المقدمة والخلفية ، وكذلك توزيع ما قيل وما لم يقل (وهكذا علاقة الفرض المسبق وما يوضح وما يمكن الاستدلال عليه) ، واختيار الصيغة (الكيفية) (الحقيقة ، والاحتمال ، والتخيل – بل وشئ مثل كيف الجد أو الهذل) ، واستخدام وسائل أسلوبية ووسائل أخرى ... الخ [16] كل هذه الظواهر تقع فى علاقة داخلية بهندسة البناء النصية[17]

الآن حين تُفْتَرَض تمييزاً لهندسة البناء النصية أشكال كلية لاختيار المعرفة فإن النصوص استنادا إلى جوليش / رايبله يمكن أن تفهم أيضا بأنها نماذج صيغَت لغوياً لعالم معين . ومثل النماذج والنظريات تُوجِد النصوص أيضا (وبشكل مباشر) النظام (فى أدمغة مؤلفيها ومتلقيها) . مرة أخرى : ما الذى يشكل موضوعاً بوجه عام [18] . فما يركز أو يشرح أو ينشط أو يفصل أو يقلص ، مثل

---

(١٦) يرتبط بتكوين أبنية اختيار شاملة أن أحكاما قضائية منظمة تحفز فى الحال السؤال عن الالتزام ، هنا : الجدية . أو : أى ردود فعل قد توجد لو قدم فيتجنشتاين فى الوقت الحاضر " رسالته المنطقية الفلسفية " رسالةً للدكتوراه إلى جامعة ألمانية ، هل كانت ، أى هل يمكن أن تقبل الرسالة المنطقية الفلسفية في شكلها الموجود رسالةً للدكتوراه أساساً ؟ وربما كانت الحجج – الأولية (المحفزة مضمونياً) مُشَوّقة من ناحية علم لغة النص مثلما هى الحجج – المضادة القائمة على الشكل بوجه خاص .

(١٧) وتكمن فى ذلك أيضا الوظيفة المتكونة للمعرفة الخاصة بالنصوص : ومن ثم فإذا كانت النصوص تستطيع أن تنجز هذا فإنه يجب أن تبنى فيها ومعها معرفة مركبة بشكل شامل من جهة واختيارى من جهة أخرى . ومنذ فان دايك (١٩٨٠) تفهم أبنية النص الكلية (الشاملة) بمعنى أن المرء يفرق من ناحية شكلية أبنية عليا من أبنية كبرى دلالية . بيد أنه ما يزال لم يستنفد فى ذلك ما أطلق عليه هنا " هندسة بناء النصوص " . وتدخل فى ذلك أيضا تلك الأبنية الشاملة (الكلية) التى تعد نتائج الاختيارية النصية .

(١٨) لموضوعات الاتصال فى منظور خاص بنظرية النظام وظيفة مشكلة اجتماعيا ، فالاتصال فى حاجة إلى موضوعات ، والموضوعات تبنى مواقف من خلال اختيارية حتمية تنتج مع تشكيل موضوعى لجانب الموقف أو الإدراك . وثمة موضوعات كثيرة ممكنة ، ولكن القليل منها فقط يجد طريقة إلى الاتصال (انظر لوهمان ١٩٨٥) و (فايلكه ص ٢٨٦ : ١٩٩٦) .

الاختيارية ، ليس جوهريا لهندسة بناء نص ما فقط - بل فضلاً عن ذلك وسـيلة
* لأحكام القبض " بعالم (عوالم) نظرياً .

وتعد هذه"الرؤية للعالم " الخاصة بالنصوص وفى النصوص فضلاً عن ذلك الأساس للنقد وتكوينات نصية للعالم بديلة ، لعلها تصحح " معرفة خاطئة " ، ومن ثم تدفع عملية اختبار المعرفة .

وهكذا فالنصوص بوصفها أشكال تنظيم للمعرفة خاصـة بهندسـة بنائهـا متعلقة بشكل جوهرى بأبنية الاختيار ، تلك التى يمكن أن تفسر لمـاذا يـستطيع الناس أن ينجزوا فى سياق أهداف تواصلية عوالم معرفية جديدة فى الوقت نفسه. هذه العوالم المعرفية يمكن أن ينظر إليها - ارتباطاً بالأهداف التواصلية ، ولكـن على نحو مستقل عنها أيضاً - على أنها إسهامات فردية فى الموازنة المعرفيـة الاجتماعية . أما إلى أى مدى تُقْبَل وتُوَرَّث بعد ذلك على أنها معرفـة جمعيـة ، فموضوع آخر .

كيف تُمَيَّز فكرة أن النصوص تقوم بوظيفة نمـاذج عـالم محـدد ؟ أولاً - تستخدم النصوص نماذجَ لبناء " <u>وصفى</u> " للواقع . ولكن بالنصوص ننجز ثانياً - على سبيل المثال - صور إبداع فنى للعوالم أيضاً ، على نحو مـا يـصير ذلـك واضحاً فى الحديث والقصص . ثالثاً - بالنصوص تتشكل أفعال ونتـائج للأفعـال تستهدف من خلال اختيار أوجه أنجاز مميزة الحفاظَ على عالم (أو مجريات عالم) أوجه تغيير له ، أو - كما هى الحال مثلاً فـى الأحكـام القـضائية - وتؤسـس اجتماعيا عالماً / واقعاً محدداً . رابعاً - تُستخدَم النصوص أخيراً - كما فى مجال القضاء أو الدين- فى <u>وضع قاعدة أو نظام</u> للعوالم .

وتبدو لى جوهرية فى هذه النظرة إلى النصوص ثلاثة أمور :

١- النصوص بوصفها نموذجاً للعوالم ، تبتكر نماذج لشئ ، تحديـداً ، <u>علاقـات متماسكة للمعنى</u>.

٢- بوصفها نماذج تدمج " <u>معرفة عن شئ</u> " وإلا بقيت فارغة قضوياً .

٣- النصوص بوصفها نماذج ، يجب أن تُصاغ لغويا عادة ، حتى يمكن بـذلك أن تفى بشروط أساسية اتصالية ومعرفية .

٣-٤ النصوص أشكال تكوين تحول المعرفة

تعد الكتابة عامةً وسيلة لتثبيت أفكار خاصة أو لإخراجها ، أى لتوجيهها إلى الخارج ولجعل الاتصال بها ممكناً أيضاً . وفى بحث الكتابة تبرز بحق " الوظيفة المعرفية " لإنتاج النص أيضاً . ويعنى هذا : أن الكتابة ليست وسيلة لتثبيت أفكار فحسب ، بل يُتيح فضلا عن ذلك إظهار أفكار معقدة وسيطاً محورياً لإنتاج معرفة جديدة أيضاً (موليتور – لوبرت ١٩٩٢) . وبعبارة أخرى : تُستخدَم الكتابة بشكل مخطط فى توليد الأفكار بمفهوم قول كلايست الفصل عن " الاستيعاب المتدرج للأفكار عند الكلام أو الكتابة " (أنتوس ١٩٩٢) . فإذا ما نُقِل هذا التصور من العملية الفردية لإنتاج المعرفة داخل فرد معين إلى إنتاج النصوص بوجه عام يمكن أن يُنْظَر إلى النصوص أيضا على أنها وسائل لَتَحَوُّل المعرفة . الشرط أشبه ما يكون " بكم نقدى " موجود من قبل ، إلى معرفة مقدمة نصياً . ويمكن من خلال سلسلة من العمليات فى إطار أهداف معينة أن تُنْجَز معرفة جديدة . ويعد منطلق هذه العمليات تحويل المعرفة إلى مرئية فى نصوص . وتُلْحَق بذلك العمليات الآتية :

* تلقٍ نقدى مقارن للنصوص (حرية الاعتراض ، والإكمال ....الخ) .
* جعل المعرفة يمكن العثور عليها بمساعدة النصوص (وظيفة – الاسترجاع) .
* وضع المعرفة المكتسبة فى سياقات نصية جديدة .
* تشكيل المعرفة على نحو يمكن فحصه من خلال مقارنة داخلية بحركة الاعتراض .
* تقويم مكونات مختلفة للمعرفة .
* تصويب نقدى للمعرفة على أساس أوجه تلقٍ مقارنة للنص .
* إعادة بناء معرفة نصية .
* الاستدلال ، أى تحقيق المعرفة من خلال بناء نهائى .

وكما يلاحظ لا تُنْجَز هذا العمليات فى نهج أكبر إلا حين تصير المعرفة ملموسة فى نصوص ، أى يمكن أن يُبَرْهَن عليها . وبهذا المفهوم تكون النصوص أساس عمليات أخرى لإنتاج النص و " توليد الأفكار " .

٥-٣ إطار نظرية التحول (الارتقاء)

يفهم التحول (الارتقاء) فى نظرة حادة تماماً بأنه تنظيم للأبنية مبنى بشكل متتال . وما يسرى على إنشاء مجرات ، وعلى ارتقاء (تحول) الطبيعة البيولوجية، وعلى نشوء الحياة بوجه خاص ما يزال محل خلاف إلى يومنا هذا بالنسبة لتحول (ارتقاء) الثقافات والفن والعلوم (انظر دِننت ١٩٩٥ و ١٩٩٦) . ومع ذلك ينمو فى سلسلة من العلوم (فى علوم الإدراك ، ونظرية النظام واتجاه هندسة البناء) [١٩] الرأى القائل إن الفروق الواضحة بالتأكيد بين التنظيم الذاتى المنتج ذاتياً " الطبيعى " للنظام من جهة وأشكال تنظيم البشر الاجتماعية - الثقافية ، أى الموجهة أحياناً من جهة أخرى لا تتضمن أى اعتراض ضد تصورات نظرية مجاوزة . وعلى العكس من ذلك : فى إطار مفاهيم مفاتيح مثل مفهوم " التنظيم الذاتى " ومفهوم " النشوء " يمكن اليوم أن يعد نشوء النظام والتنظيم والمعنى (كرون / كوبر ١٩٩٢) مدمجاً بوجه عام . ويضم هذا تمييز الاختلافات بين تحول (ارتقاء) " طبيعى " وتحول (ارتقاء) " ثقافى " . وهذا يجعل، وهو ما يشكل المغزى بوجه عام ، الانطلاقَ فى مجال ما هو ثقافى أيضاً من نمو مؤقت دائما للنظام . فإذا أرادت - نقول ببساطة - هذه الأشكال الأعلى للتنظيم الخاصة بنظام ثقافى [٢٠] أن تتسيد فى مقابل تخطيطات أخرى للنظام - موجهة أو أهملت وفقاً طبيعتها - فإنها يجب أن تشرح أشكال " التوريث " .

وحين يمكن أن تُدَّعَى مبادئ خاصة بنظرية التحول (الارتقاء) لتطورات ثقافية بوجه عام فإنه يحتاج إلى أشكال تنظيم لتوريث معرفة ثقافية ، يجب أن تكون مرنة للغاية من جهة ، وثابتة بقدر الإمكان من جهة أخرى . ولما كانت النصوص بوصفها " الذاكرة الثقافية " (أسمان ١٩٩٢) فى مجتمعات متأدبة معقدة، تمثل فى مجالات واسعة أيضاً " الذاكرة الجمعية " (هلبفكس ١٩٩١) ، فإنه يجب أن تُبنَى أشكال تنظيم للمعرفة مرنة ولكنها ثابتة ، تتيح من جهة أن

---

(١٩) من كم وفير من المراجع ، فريلا / طومسون (١٩٩٢) ، (ولوهمان (١٩٨٥) وز . ى شميت (١٩٩٢ ، ١٩٩٤)

(٢٠) لا يتضمن مفهوم " الشكل الأعلى للتنظيم الخاص بنظام ثقافى " أى تقويم مضمونى ، بل يجب أن يُثبَّت بمعايير شكلية لتعقد ممارسات اجتماعية .

تلحق (بنماذج) اتصال سابقة ، وأن تعد متاحة مثل التكرار للاتصال اللاحق (فايلكه ١٩٩٤، ١٩٩٦) . وبالنصوص المكتوبة أُنجزَ ذلك في أثناء تطور الإنسانية – على أية حال في فترة متأخرة جداً ، وفي الأصل تجدر الملاحظة أنه ليس في مجال الاتصال اليومي . (٢١)

وكونُ المعرفة المؤسسة نصياً ، ومن ثم المشكلة اجتماعياً تفتقر إلى أشكال تنظيم معقدة (أي متجاوزة الجملة أو المكون الجملي) ، ينبغي أن تكون قادرة على إعادة الإنتاج بصورة أرجح ، وهكذا فإن لها مغزىً خاصاً بنظرية الارتقاء (التحول) بوجه عام . ولا يرتبط بذلك بأية حال دعوى (غير معقولة تماماً فضلاً عن ذلك) بإمكان أن يعلل تنوع التحقيقات (التجليات) والتطورات الثقافية من مقدمات خاصة بنظرية الارتقاء ، غير أن هذا التنوع لمجريات التطور الثقافية لا يجوز أن يضاد نهج الارتقاء . وعلى النقيض من ذلك : بصورة مباشرة حقيقة التنوع (إن صح التعبير أوجه التحول) ، ويحيل السؤال : ماذا يمكن أن يظل يورث، إلى ما سمي بالانتروبيا المعرفية .

بدايةً حول مفهوم " انتروبيا " وفق القاعدة الرئيسية الثانية في علم الديناميكا الحرارية يزداد بمرور الوقت انتروبيا (عامل رياضي ، مقياس للطاقة غير المستفادة في نظام حراري) لكل نظام مستقل ، أي ينقص النظام المعني . فتطور الحياة أحد الأشكال التي لا ينقص النظام فيها بشكل دائم ، بل يتبين فيها بين الحين والآخر نمو في التركيب والتعقيد . ويسري هذا – للقيام بقفزة كبيرة بعد قليل – بداهةً أيضاً ، وبشكل خاص على ما ينبغي أن يطلق عليه هنا بصورة مجملة إلى حد ما " معرفة " ، ويتطلب الارتقاءَ التاريخي للمعرفة ، ويُنَمّي نظامَ المعرفة . وخلافاً لقوائم مستقلة من جمل ، حكايات شفوية أو عروض مصورة تُجيز النصوص بوجه خاص بناء على أشكالها المتكررة والجشتالتية أيضاً ، أساساً صياغةً لا نهائية ، أي لا يمكن تحديدها ، وتشكيلاً متركباً لمعرفة ركامية .

---

(٢١) هنا لا يمكن ولا ينبغي – ولا بشكل أولى أيضاً – أن يعاد تاريخ الكتابية . في الأغلب فقط تطورت الكتابية في الشرق الأدنى ابتداء في مجال الاقتصاد وتسجيل السفارات (الرسائل) ومطالب السيادة (انظر أونج ١٩٨٧) . وحول ذلك أيضا المقال المتعلق بالموضوع HSK (مدخل إلى علم اللغة وعلم الاتصال) وهو الكتابة والكتابية (جونترت / لودفيج ١٩٩٤ / ١٩٩٦) .

وإذا أضيف الركام غير المتوقع أساساً للمعرفة من خلال تمثيل تناصى إلى مجتمعات ، تتوفر مع النصوص – فى كل حال التمثيل الرقمى للمعلومات المستخدم الآن – أشكال تكوين وتنظيم قادرة على الإنجاز لمعرفة فردية وجمعية، تفوق كل الأشكال اللغوية الأخرى تركباً ومرونة ومعالجة للتعقد . [٢٢]

ويمكن أن توصف العملية المحددة هنا – بداهةً – بأنها عملية تحول (ارتقاء) للمعرفة أيضاً . ولكن فى إطار جوانب تحولية لم تُوَجَّه – حتى توصل مرة أخرى بالنقاش السابق – إلا وجهة أحادية . فالمعرفة لا تُشَكَّل وتُوَرَّث من ناحية فردية وجمعية فقط ، بل إن المعرفة تقع أيضا فى خطر أن تضيع . وكما نعرف معرفة لا بأس بها فحسب : وبالنسيان وموت البشر حاملى المعرفة تتبدد المعرفة الإنسانية ، أى معرفة يمكن إداركها . حسيا ، وتقدم بشكل مرئى خاصةً ، بل وهى منقولة لغوياً بداهة أيضاً ، تماما مثل كل معرفة جمعية ، لم تسجل أو لا تدون . [٢٣]

بيد أنه من البديهى : أن التسجيل أيضاً لا يمثل ضماناً لتوريث المعرفة : فالتغير اللغوى ، وموت اللغات ، بل وفساد المواد الحاملة للمعرفة أيضا (على سبيل المثال : رداءة الأحماض فى الكتب ، وفيروسات فى الديسكات ، والحرب ، ومشكلات التسجيل ، وانقطاعات فى التلقى ... الخ) تهدد بشكل دائم وضع المعرفة التاريخى أو المتوصل إليه اجتماعياً – وثقافياً من قبل . وينبغى أن يطلق على الفقدان المهدد على الأرجح لكل معرفة إنسانية " انتروبيا إدراكية " .

---

(٢٢) تلاحظ هنا تجربة للأفكار بعيدة كلية عن الواقع من منظور غير – سلبى : فمن المعروف أن السياسيين يستطيعون فى تصريحات تلفزيونية أن يقولوا كل شئ ، مادام لم يتجاوزا ٤٥ ثانية حداً أقصى – ولنتخيل الآن مجتمعاً يجب أن تصاغ فيه معرفة معقدة بحيث يمكن أن يعاد إنتاجها فى شعارات فقط لـ ٤٥ ثانية جداً أقصى أيضاً . وتستخلص كل تحقيقات المعرفة المجاوزة ذلك من الاختلاط الاجتماعى (وربما أبعدت فى متاحف) ومن الواضح أنه: لو أدخلت هذه الممارسة ونُفِّذَت لتدهور كل مجتمع شديد التعقيد فى غضون زمن بالغ القصر .

(٢٣) كم يُفقد من معرفة فردية ، تبينه المحاولات بشكل غير- سلبى لتشكيل وتسجيل حول أساليب خبرات الحياة " التاريخ الشفوى " .

ويمكن الآن أن تدرك النصوص على أساس هذه الخلفية الخاصة بنظرية التحول (الارتقاء) بأنها وسيلة ضد " الانتروبوبيا الإدراكية " ، فهى توقف عدم الانتظام المنحاز لبعض الوقت على أية حال أو تعكسه . وعلى أساس هذه الخلفية ابتداءً يصير واضحاً ماذا يعنى حين يقال بمفهوم الفرضيتين الأوليين إن النصوص وسائل لتشكيل / لصياغة المعرفة ، وبذلك تتراكم عبر التراكيب ، ومن خلال التسجيل يصير توارثها (إعادة إنتاجها) ممكناً . وباختصار : تنشئ النصوص من خلال خواص شكلية نظاماً إدراكياً معقداً . فإذا ثَبُت نشوء نصى مناسب للمرة الأولى ، أى النشوء الدينامى لنظام سيميوطيقى[٢٤] ، فإنه يمكن للمرء – بل يجب عليه – حتى درجة معينة أن يرجع عند الإنتاج والتلقى إلى أشكال تنظيم المعرفة السارية اجتماعياً .

٤- ملحوظة ختامية

يبدو أن أهمية النصوص بوصفها الأشكال الاجتماعية المحورية لتشكيل المعرفة وتنظيمها ، التى لا خلاف عليها منذ طباعة الكتاب ، صارت قديمة من جهة المعالجة الرقمية ، مرتبطا بذلك ، التحول المرئى الحالى لمعطيات المعلومات. فالثورة المعرفية والارتقاء المعرفى يتطلبان ويشجعان صراحة أشكالاً لتقديم المعرفة جديدة ، وأكثر إنجازاً . وعلى نحو ما يجرى لهذه العملية تماماً أيضاً : علم لغة النص يقدر ولا يُتَخَطَّى .

وشرط ذلك أن يحرك تاريخية موضوعة إلى محور تأسيس التخصص . ولا يسرى هذا على أوجه التطور الخاصة المميزة للعلاقة بالأدبية والأدب والمعرفة

(٢٤) يفهم تحت نشوء الظهور الفجائى لنظام جديد ، لا يمكن أن يفسر من خلال خواص أو ردود فعل العناصر المشتركة ، بل من خلال دينامية للعملية ذاتية التنظيم بوجه خاص (كرون / كوبرس ص ٧ : ١٩٩٢) . وكونُ النصوص أشكالاً لغوية لا تحدد من خلال مجموعة من عناصرها وعلاقاتها اللغوية تحديداً كافياً يقترب على أية حال بحق من الفهم العالمى اليومى. ومن المؤكد أن مفهوم " النشوء " إشكالى فى سياق تكوين أشكال النص : وكونه غير مجد كلية بينته بالتمثيل بنشوء ألفاظ تحية كتابية منذ مطلع القرن : فقد نشأ من شذرات نصية متجاورة وغير متركبة نسبيا بلا وسطة إلى حد ما نظام جديد – عبر بدائل وأنواع عدة – ونوع نصى مستقل فى وقت قصير ، مع سلسلة من فقرات نصية يمكن التنبؤ بها وذات تشكل طقسى بقوة (أنتوس ١٩٨٧ ، وأنتوس ١٩٩٥) .

فحسب ، بل على توسيع خاص بنظرية التحول (الارتقاء) للمنظورات يتجاوز ذلك أيضاً . وتحاول الفروض التى طرحت هنا أن تؤسس بشكل تمهيدى هذا التوسيع. ويجب أن يُقَرَّ بداهة بأن أمنيات كثيرة موجهة نظرياً ومحفزة عملياً ما تزال باقية مع هذه المحاولة لإقامة جسور بين تصورات تطور ارتقائى وتاريخى – ثقافى ، بيد أن الفيصل هو إثبات أن تلك الجسور ممكنة وضرورية .

وينبغى فى الختام إبراز ثلاث نقاط محورية :

١- النصوص مثل النظريات تأتى بالنسبة للبشر بنظام إداركى إلى العالم . وتستطيع النصوص أن تحقق ذلك ، لأنها أشكال لغوية مميزة لإدراك اجتماعى (جانب – التكوين) . وهى بحكم هذه القدرة وسائل جيدة أيضاً للاتصال (التعاقبى بوجه خاص) .

٢- تفترق النصوص عن أشكال لغوية أخرى بهندسة بنائها (القائم أصلا على مبادئ علم نفس الجشتالت) . ويجب أن تربط هذه الهندسة اختياريةً موضوعية ودلالية وأسلوبية بمتطلبات عملية بناء شامل ، بحيث يمكن أن تُنَظَّم معرفة مركبة أيضاً فى شكل سديد ومناسب للتلقى تنظيماً لغوياً (جانب التنظيم أو الشكل) . وتنظم اختيارية فى ذلك التوزيع إلى معرفة ضمنية (معرفة مسبقة ، وفروض مسبقة ، واستدلالات ومعرفة تناصية ... الخ) ومعرفة صريحة ، تدمج فى النص.

٣- يستخدم تسجيل النصوص ونقلها ، وتلقيها ، واستمرار كتابتها فى توريث المعرفة ، ويهددها ذلك باستمرار " الانتروبيا الإدراكية " (جانب التوريث) . وبهذا المعنى تكون النصوص وسائل للحفاظ أو الصعود المؤقت ذى النظام الإدراكى (ومن ثم بمفهوم محدد : الثقافى) .

إن وظيفة علم لغة النص دراسة الجوانب الثلاثة فى تضافرها دراسة نظرية وتجريبية . ومن ثم يعد بحث الكتابة وإنتاج النص وعلم النفس الإدراكى إثراءً لعلم لغة النص فى إطار جانب التكوين . ويظل علم لغة النص التقليدى مع الموضوعات الجوهرية ، تطور الموضوعات والتماسك الدلالى وأنواع النص كما كانت الحال من قبل مجال عمل جوهرى بالنظر إلى جانب التنظيم أو الشكل .

وأخيرا يُعد بحث التلقى والدراسات الفيلولوجية والدراسات التربوية مناهج يقـع فيها جانب التوريث فى لبها .

المراجع

Antos, Gerd (1982): Grundlagen einer Theorie des Formulierens. Textherstellung in gesprochener und geschriebener Sprache. - Tübingen: Niemeyer.

- (1987): Grußworte in Festschriften als ‚institutionale Riruale'. Zur Geschichte einer Textsorte. -In: LiLi 17/Hefi 65, 9 - 40.

- (1995): Sprachliche Inszenierungen von „Expertenschaft" am Beispiel wissenschaftlicher Abstracts. Vorüberlegungen zu einer systemtheoretischen Textproduktionsforschung. - In: Jakobs Eva-Maria/Knorr, Dagmar/Molitor-Lübbert Sylvie (Hgg.): Wissenschaftliche Textproduktion. Mit und ohne Computer (Frankfurt: Lang) 113-127.

- (1996): Jargon. Zum Prozeß der ‚Hybridisiemng' von Stilen am Beispiel der Verwaltungssprache. - In: Fix, Ulla/Lerchner, Gotthard (Hgg.): Stil und Stilwandel (= Leipziger Arbeiten zur Sprach- und Kommunikationsgeschichte 3) (Frankfurt: Lang) 27- 18.

Assmann, Jan (1992): Das kulturelle Gedächtnis. Schrift, Erinnerung und politische Identität in frühen Hochkulturen. - München.

Beaugrande, Robert-Alain de/Dressler, Wolfgang 1981: Einführung in die Textlinguistik. - Tübingen: Niemeyer.

Brinker, Klaus (1988): Linguistische Textanalyse. Eine Einführung in Grundbegriffe und Methoden. 2., durchgesehene und ergänzte Auflage. - Berlin.

Dennett, Daniel C. (1995): Darwin's Dangerous Idea: Evolution and the Meanings of Life. - New York: Touchstone.

- (1996): Es geht auch ohne Gott und Geist. Darwins ätzende Idee zerfrißt die letzten Mythen. Als Sinn des Lebens bleiben nur Neugierde und die Liebe zur Wahrheit. - In: DDE ZEIT Nr. 8 (16.2.96)30-31.

Dijk, Teun A. van (1980): Textwissenschaft. Eine interdisziplinäre EinEinführung. - München.

Ehlich, Konrad (1992): Zur Genese von Textformen - Prolegomena zu einer pragmatischen Texttypologie. - In: Antos, G./Krings H.P. (Hgg.): Textproduktion. Ein interdisziplinärer Forschungsüberblick (Tübingen) 84-99.

- (1994): Funktion und Struktur schriftlicher Kommunikation. - In: Günther/Ludwig (Hgg.) Bd. L, 18-41.

Engelkamp, Johannes/Pechmann, Thomas (1993): Kritische Anmerkungen zum Begriff der mentalen Repräsentation. - In: Engelkamp, Johannes/Pechmann, Thomas (Hgg.): Mentale Repräsentation (Bern/Göttingen) 7-16.

Feilke, Helmuth (1994): Common sense-Kompetenz. Überlegungen zu einer Theorie „sympathischen" und „natürlichen" Meinens und Verstehens. - Frankfurt: Suhrkamp.

- (1996): Sprache als soziale Gestalt. - Frankfurt: Suhrkamp.

Feilke, Helmuth/Schmidt, Siegfried J. (1995): Denken und Sprechen. Anmerkungen zur strukturellen Kopplung von Kognition und Kommunikation. - In: Trabant, J. (Hgg.): Sprache denken. Positionen aktueller Sprachphilosophie (Frankfurt: Fischer) 269-297.

Fix, Ulla (1996): Gestalt und Gestalten. Von der Notwendigkeit der Gestaltkategorie für eine das Ästhetische berücksichtigende pragmatische Stilistik. - In: Zeitschrift für Germanistik 2, 308-323.

Giesecke. Michael (1992): Sinnenwandel, Sprachwandel, Kulturwandel. Studien ziu Vorgeschichte der Informationsgeselischaft. - Frankfurt."

Günther, Hartmut/Ludwig, Otto (Hgg.) (1994/1996): Schrift und Schriftlichkeit. Bd. I. u. II. (Handbücher zur Sprach- und Kommunikationswissenschaft). - Berlin: de Gruyter

Halbwachs, Maurice (1991): Das kollektive Gedächtnis. - Frankfurt: Suhrkamp.

Heinemann, Wolfgang/Viehweger Dieter (1991): Textlinguistik. Eine Einführung. - Tübingen: Niemeyer.

Herrmann, Theo/Kilian, Elvira/Dirtrich, Sabine/Dreyer, Peter (1992): Was- und Wie-Schemata beim Erzählen. - In: Antos, G./Krings, H.-P. (Hgg.): Textproduktion. Neue Wege der Forschung (Trier: Fokus) 147-158.

Klein, Wolfgang (1984): Zweitspracherwerb. Eine Einführung. - Königstein/Ts.

Klein, Wolfgang/von Stutterheim, Christiane (1992): Textstruktur und referentielle Bewegung. -In: Zeitschrift für Literaturwissenschaft und Linguistik 86, 67-92.

Koch, Peter/Oesterreicher, Wulf (1985): Sprache der Nähe - Sprache der Distanz. Mündlichkeit und Schriftlichkeit im Spannungsfeld von Sprachtheorie und Sprachgeschichte. - In: Romanisches Jahrbuch 36, 15-43.

Krohn, Wolfgang/Küppers, Günter (1992): Emergenz: Die Entstehung von Ordnung, Organisation und Bedeutung. - Frankfurt/M.: Suhrkamp.

Luhmann, Niklas (1985): Soziale Systeme. Grundriß einer allgemeinen Theorie. - Frankfurt/M.: Suhrkamp.

Molitor-Lübbert. Sylvie (1992): Schreiben und Kognition. - In: Antos, G./Krings, H.P. (Hgg.): Textproduklion. Ein interdisziplinärer Forschungsüberblick (Tübingen) 278-296.

Nussbaumer, Markus (1991): Was Texte sind und wie sie sein sollen. Ansätze zu einer sprachwissenschaftlichen Begründung eines Kriterienrasters zur Beurteilung von schriftlichen Schüler-texten. - Tubingen: RGL 119

Ong, Walter (1987): Oralität und Literalität. Die Technologisierung des Wortes. - Opladen: West-deutscher Verlag.

Polanyi, Michael (1985): Implizites Wissen. - Frankfurt/M.: Suhrkamp.

Raible, Wolfgang (1980): Was sind Gattungen? Eine Antwort aus semiotischer und textlinguistischer Sicht. - In: Poetika 12, 320-349.

Schmidt, Siegfried J. (Hg.) (1992): Kognition und Gesellschaft. Der Diskurs des Radikalen Konstruktivismus 2. - Frankfurt/M.: Suhrkamp.

- (1994): Kognitive Autonomie und soziale Orientierung. Konstruktivistische Bemerkungen zum Zusammenhang von Kognition, Kommunikation, Medien und Kultur. - Frankfurt/M.: Suhrkamp.

Varela Francisco J.AThompson, Evan mil Eleanor Rosch (1992): Der Mittlere Weg der Erkenntnis. Die Beziehung von Ich und Welt in der Kognitionswissenschaft - ein Brückenschlag zwischen wissenschaftlicher Theorie und menschlicher Erfahrung. - Bem/München: Scherz.

Vater, Heinz (1992): Einführung in die Textlinguistik. Struktur, Thema und Referenz in Texten. -München: Fink UTB.

انجليكا لينكه / ماركوس نوسباومر (زيورخ)

التنـــاص (*)
ملحوظات لغوية حول مفهوم للنص خاص بالأدب

١- فهم أولى

لم يَعُد " التناص " Intertextualität ، الذى ندور حوله فى مقالنـــا (**)، مفهوماً حديثاً على الإطلاق من ناحية تاريخ العلم ، ولكنه حديث بالنسبة لنا على أية حال ، أى بالنسبة لعلم لغة النص ، لأنه يدخل ابتداءً ضـــمن مجـــالات النقـــد الأدبى الذى جلبته إليها جوليا كريســـتيفا – الناقـــدة ، وعالمـــة الســـيميوطيقا ، والمحللة النفسية ، وكاتبة القصة ذات الأصل البلغارى – فى النصف الثانى مـــن الستينيات . وهو الأبرز فى سلسلة كاملة من المفاهيم (١) التـــى تشـــكل ضـــفيرة نظرية مركبة (٢) ، وتظهر علاقات قوية بصورة متباينـــة بتصـــور " الحواريـــة " Dialogizität لدى الناقد الروسى ميخائيل باختين ، الذى يعد بوجه عام حـــافزاً حقيقياً لبناء تصور التناص.(٣)

ولقد سجل مفهوم " التناص " فى النقد نجاحاً رائعاً ، ويعـــد اليـــوم مـــن ثروته الأساسية . وفى الواقع أدى تمييع المفهوم المرتبط بهذا الانتشار إلـــى أن

(*) عنوان المقالة هو : Angelika Linke / Markus Nussbaumer (Zürich) Intertextualität من ص ١٠٩ – ١٢٦ من الكتاب السابق ذكره . ZTL

(**) تلقينا من حوارات مع بورج جلاوزر وآن باير اقتراحات كثيرة وإشارات محددة ، ومن ثم نشكرهما فى هذا الموضع جزيل الشكر .

(١) مثل : التعدد الصوتى ، والكتابة ، والنص الأشمل – النص المنضوى ، والـــنص المحـــاذى والنقل الموضعى ، والحوارية ... الخ .

(٢) يعد مفهوم النظرية فى هذا السياق فى حقيقة الأمر إشكالياً ، بل تُفهم الطرائق المحال إليهـــا هنا أحياناً على نحو مضاد للنظرية بشكل محدد .

(٣) حسب علمنا يظهر التناص أيضا للمرة الأولى فى مقالة لجوليا كريستيفا عـــن ميخائيـــل باختين (كريستيفا ١٩٦٧) .

كريستيفا نفسها لم تعد تستخدمه منذ منتصف السبعينيات [٤] أو أحلت محله مفهوم "النقل الموضعى " Transposition [٥] .

ونريد – كعمل تمهيدى لمناقشة لغوية لمفهوم التناص – ابتداءً أن نعيد بالنسبة لنا بناء التلقى الأدبى للتصور . ونفرق بالإضافة إلى ذلك بشكل حاد للغاية ومعلن عن قصد ، بين معسكرين [٦] ، نطلق عليها (أ) المعسكر الراديكالى و (ب) المعسكر المعتدل .

(أ) بالنسبة للمعسكر الراديكالى ما بعد البنيوى – المضاد للبنائى الموجود فى فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية بوجه خاص التناصُ إحدى سفن القيادة[٧]،عند محاولة أن يصوغ إنسان ثورى كما يقال فهماً جديداً للأدب والثقافة والمجتمع والذات . ويشير مفهوم " التناص " فى هذا السياق إلى تصور له شروط معقدة ونتائج بعيدة المدى للغاية . وسنرجع إلى ذلك بشكل مفصل تحت النقطة ٤- . ويلاحظ فقط من الآن : أن هذا التصور هو آخر الأمر لا يُفهم إلا بناءً على مزج للبنيوية وفلسفة هيجل والماركسية ، وتحليل فرويد ولاكان النفسى و– على الأقل لدى كريستيفا – نحو تشومسكى التوليدى أيضاً [٨] ، خاص بالعلوم العقلية والحضارية الفرنسية . وقد حدا ذلك بنا (وربما بقارئاتنا وقراءنا) إلى حد ما إلى الابتسام دائماً ، وعزونا إلى الظروف الخارجية أن مانفريد بيرفيش يفتتح ويختتم مقالته الشهيرة عن البنيوية سنة ١٩٦٦ (بيرفيش ١٩٦٦) فى " كتاب مجموعة من الدروس " بماركس وانجلز . وبالنسبة للمعسكر الثقافى فى فرنسا الذى يرجع إليه مفهوم التناص كان فى الستينيات وبداية السبعينيات مثل هذا الجمع بين

---

(٤) منذ رسالتها للاستاذية المؤهلة " للتدريس " ثورة اللغة الشعرية " (كريستيفا ١٩٧٤) .

(٥) من البديهى أن " النقل الموضعى " ليس ببساطة كلمة أخرى لما تعنى " التناص " ، بل يقوم مقام تصور أكثر تطوراً وراديكالية ، انظر على سبيل المثال ليندهوف (ص ١١٤ : ١٩٩٥). وتوجد تطورات أبعد واختلافات ودلالات جديدة للمفهوم لدى نقادنا فقط ، كما هى الحال مثلا لدى جيرارجنيت (١٩٩٣ ، هنا المبحث I) .

(٦) حول هذين المعسكرين ، انظر بلت (١٩٩١) وماى (١٩٩١) .

(٧) أو كان على الأقل فى نهاية الستينيات وبداية السبعينيات .

(٨) انظر مثلاً كريستيفا (١٩٦٨) .

البنيوية والماركسية مع ذلك كلّ ما هو مخالف لمجرد التوفيق ، حيث تُلاحظ حقيقة أن التيار سرعان ما فهم على أنه تجاوز للبنيوية ، " ما بعد البنيوية " ، وتخلص من ماركسيته مع مرور الوقت أيضاً ، وانفتح على تأثيرات أخرى ، وبخاصة تحليل فرويد النفسى – ويعد من هذا المعسكر الراديكالى إلى جانب جوليا كريستيفا ، رولان بارت ، وميشيل فوكو ، وجاك دريدا ، وجاك لاكان ، وفيليب سوليه وغيرهم أيضاً . وفى ذلك الوقت كانت مجلة " تل كيل Tel Quel " لهذه الحلقة بوقاً مهماً ، مبرزاً الجانب السياسى بوجه خاص أيضاً .
(ب) أخذ المعسكر الآخر ، المعتدل – يبدو لنا أنه موجود بقوة إلى اليوم فى التلقى الخاص بالناطقين بالألمانية – بمصطلح التناص أيضاً . غير أنه يُستخدم هنا فى المقام الأول فى تحديد العلاقات المتباينة بين النصوص التى اشتغل بها النقد دائما على نحو تقليدى (كما فى إطار نقد المصادر ، وتقنية النشر ، وبحث الحافز (الموتيف) ، وعلم المقارنة تقريباً) . وتعد غريبةً صلات وأوجه الربط بخطابات غير نقدية بهذا المعسكر [مثل الخطاب السياسى الثقافى (أو الخاص بسياسة الثقافة) وخطاب التحليل النفسى] ، التى هى مميزة للمعسكر الراديكالى . فالقوة المحركة – الدافعة لتصور " التناص " متراجعة هنا للغاية ، وتختفى فى الغالب كليةً وراء جهد فيلولوجى للتفريق بين أشكال المختلفة للصلات " النصية – الداخلية " وتصنيفها بهدف إعداد مجموعة أدوات التحليل " النصى – الداخلى " .

وهكذا يميل هذا الشكل للتلقى إلى استخدام " التناص " بوصفه تحديداً لروح العصر أو بوصفه اكسير رد الحياة للمنهجية التقليدية الخاصة بالنقد الفيلولوجى . ولأنه على هذا النحو لا يعنى " التناص " المفهوم شيئاً جديداً ، بل ليس شيئاً حديثاً على الإطلاق أيضاً ، يقاطع المصطلح بعض نقادنا مقاطعة تامة . ويعد من ذلك خاصة كثير من المتخصصين فى العصور الوسطى ، وممثلى فقه اللغة القديم أو الباحثين والباحثات المشتغلين والمشتغلات بالعلاقة بين الشفاهية والكتابية ، والذين يجدون مثيراً ، انطلاقاً من موضوعات دراساتهم أو من منظور علم الشعر قبل الكلاسيكى ، وليس القائم على عمل عبقرى كلّ ما هو مخالف لما لا يقدم على الإطلاق حقيقة النص (الأصلى أو النهائى) ؛ لما يَتوجه تصورُ التناص ضد افتراضه أو وضعه .

وفى علم لغة النص لم تظهر مناقشة التناص حتى الآن إلا انعاكساً ضئيلاً- ويغيب عن قوائم المراجع المختصة هذا اللفظ ، كما فى كتاب برينكر "علم لغة النص " سنة ١٩٩٣م ، أو فى كتاب بيره « فهم النص ومفهوميته » سنة ١٩٩١ م أيضاً . وقد أدخل بوجراند ودرسلر (١٩٨١م) المصطلح فعلاً ، ولكنه يشير هناك إلى معيار من معاييرهما النصية السبعة ، ويعنى دور معرفة نموذج النص فى إنتاج نصوص مفردة وتلقيها (٩) – وهكذا فإن هذا المفهوم للتناص بعيد للغاية عن المفهوم النقدى (الراديكالى) .

والآن فى زمن أحدث يقابل المرء المصطلح بشكل متزايد أيضاً فى أعمال لغوية على نحو أكثر أو أقل ، (١٠) ويضم المرجع المتضمن فى النشأة أيضاً " علم لغة النص والحديث " (١١) مقالة عنه . ومع ذلك فموضوعنا ليس هذا الاستخدام اللغوى النصى الأحدث والأكثر رهبة للمفهوم ، بل إننا نتتبع السؤال : ما قوة الانفجار النظرية النصية التى لتصور التناص النقدى الراديكالى على أية حال . ولن نواصل فيما يأتى مناقشة مفهوم التناص المعتدل – إنه يبدو لنا متساوقاً مع تصورات لغوية نصية تقليدية ، ومن ثم فليس أهلاً أيضاً لأن يُحدِث جدلاً نظرياً فى إطار علم اللغة .

٢ـ التناص تصور لإزالة الحدود والذوبان

يُقَدَّم تصور التناص النقدى فى شكله الراديكالى تحت كلمة مختصرة " إزالة الحدود أو الذوبان " : ذوبان نص مفرد فى تناص عام ، ذوبان الدال فى لعبة خالصة للدوال ، ذوبان التفريق بين اللغة والنص والعالم ، ذوبان ذوات المؤلف والقارئ ... إلخ . هذه الصياغات ومثيلاتها التى اعتدنا عليها فى الأوجه المفهومية اللغوية النصية ، تظهر لنا ابتداء فى هيئة شعارات ، ومن ثم محكمة للغاية عبر مراحل . ويجب على المرء أن يقرأها – أيضاً – بوصفها تعبيراً عن تبادل نماذج نقدية : فالتصورات المرتبطة بذلك تُفْهَم انطلاقاً من زمن تطورها

---

(٩) ربما يصدق هذا إلى حد ما على " التناص التنميطى " لدى سوزانه هولتويس (١٩٩٣) .

(١٠) هولتويس (١٩٩٣) وياكوبس (١٩٩١ ، ١٩٩٤ ، وفيكس (فى هذا الجزء) .

(١١) أنتوس / برينكر / زاجر / هاينه مان (محررون ، فى المقدمة) .

ومكانه ، [١٢] بوصفها رد فعل شديد ابتداءً ضد النقد الأدبى الجامعى ، وإيضـــاح (شرح) النصوص الشائع فى المدارس ، وأيضاً ضد نقد القصة ، ثم ضد فقه اللغة المؤسس بوجه عام للغاية ، وأخيراً ضد أشكال تحجر جديدة فى البنيوية النقديــة أيضاً . وهكذا تزيل أو تجرف أمواج التمرد النظرى – الذى تحول فـــى مرحلتــه المتأخرة أيضاً إلى نظرية – مضادة راديكالية – [١٣] فـــى المقـــام الأول مفهـــومَ النص، بل بشكل أدق مفهومَ العمل ، على نحو ما يعد أساس الاتجاهات المؤسسة لعلم الأدب ونقده ، ولا تفهم أوجه تأكيد تصور التناص إلا بإزالـــة هـــذا الفهـــم التقليدى (الأدبى) بوصفه " عملاً " . [١٤] ويعنى هذا ضمن ما يعنى : رد تصـــور المؤلف الفرد ، تصور العبقرية ، تصور العمل الرصين ، والمقدس ، والمســـتقل وغير المتغير والتام بوصفه قيمة معنوية ، رد الفرض البديهى لانحدار ضـــخمن أيضـــاً بـــين العمـــل "الحقيقـــى " الأصـــلى ومجـــرد شـــروحه وأوجـــه تلقيـــه وتعديلاته..إلخ.[١٥] وتعد إحدى نتائج هذا التحطيم للصور علـــى ســـبيل المثـــال المناقشات الكنسية القوية ، وفى تشكيلها السياسى على نحو قاطع فـــى ســـياق دراسات بين الثقافات فى الولايات المتحدة الأمريكية (وليس هناك فقط) . ويلاحظ

---

(١٢) هكذا وفق بروتينج (١٩٧٦) مثلاً .

(١٣) المقصود بدهيات معينة للهدم كموقف ضد كل نظرية ، كل إمكانية قـــول مـــا النصـــوص (الأدبية) ، وكيف تُقرأ ، ويحتج رولان بارت أيضـــاً (١٩٧١ / ١٩٨٠ : ص ٧٤ و ٨١) على أن يفهم المرء تفسيراته للمفهوم الجديد للنص (– الداخلى) على أنها نظرية ، قائلاً : الخطاب حول النص يجب أن يكون هو نفسه بحثاً نصياً فقط ، شبكة نصية ، لأن الـــنص هو تلك المساحة الاجتماعية التى لا تترك لغة آمنة لا تُمس ، التى لا تســـمح لموضـــوع منطوق أن يشغل مكان القاضى أو المعلم أو المحلل أو المعترف أو الطبيـــب ، فنظريـــة النص يمكن أن تتزامن فقط مع نشاط الكتابة – (١٩٧١ /١٩٨٠ : ص ٨١) .

(١٤) إذا تابع المرء إيجلتون (١٩٨٨ : ص ١٣٠) فإن ما بعد البنيوية على مستوى أعم – مـــع طعنها فى كل الأحكام الثابتة وإدعاءات الحقيقة – تعارض تقليد علمى تصل جذوره إلـــى الأعماق فى القرن التاسع عشر – وخلاف ما بعد البنيوية أيضاً – لم يعد ممثل فى العلـــم فى الوقت الحاضر . يتحدث ايجلتون فى هذا السياق عن " عدو قوى " لما بعد البنيوية .

(١٥) انظر بروتينج (١٩٧٦ ، ص ٢١ وما بعدها) .

فى ذلك مرة أخرى أيضاً : أن سقوط مفهوم النص المنشأ من قاعدته العظيمة كان مقصوداً دائماً أيضاً بوصفه ثورة سياسية على ساحة الثقافة وعلمها .

٣ـ التناص وعلم لغة النص

السؤال الآن هل ينبغى أن يشغل علم اللغة أيضاً بهذا التحطيم النقدى للصور . نحن نرى : أجل ! وهذا على نحو أكثر – كما ذُكر – من أن يكون الكلام فى علم اللغة من جديد بشكل متزايد عن " التناص " ، دون أن ينعكس فى ذلك بصورة نقدية دائماً إلامَ يرجع التصور المقصود بذلك ، وما تضميناته النظرية النصية ، وما النتائج التى أسفرت عن ذلك بالنسبة لنظرية نصية لغوية – وأخيراً طالبَ التصور الراديكالى للتناص بإعادة تحديد مفهوم النص وتأسيس نظرية نصية جديدة . (١٦) على الأقل نظرية جديدة للنص الأدبى . إنه هذا التصور الراديكالى للتناص الذى نرغب فى أن يقترب منه فيما يأتى من منظور لغوى نصى، نسعى لفهمه ، لاكتشاف – إن أمكن ذلك – هل يجعل جدل التناص هذه الأسئلة موضوعاً له ، مثل علم لغة النص أو غيره ، هل تستطيع – وذلك من خلال دعوى وجهة النظر السيميوطيقية التى طالبت بها كريستيفا – أن نتفاهم بوجه عام على مفهوم للنص ، وأين نقع نقاط الخلاف على كل حال . ومن الممكن أن تبدى لنا السيناريوهات الآتية – أن أوجه التغير والخلط ليست ملحوظة فحسب بل محتملة أيضاً :

سيناريو ١ : ١- التصور الراديكالى للتناص فى علم لغة النص الحديث ، على نحو ما صُوِّر بوجه خاص فى المدخل الشامل لڤولفانج هاينه مان وديتر ڤيهفجر (١٩٩١) ، يمكن أن يُنقل ، ويمكننا ببساطة أن نتخذ الموقف الآتى : " فما زعماه وطالبا به هناك لا نراه شيئاً آخر غير ما قلناه بشكل آخر على الأكثر. وهذا الفترة غير قليلة أيضاً " .

---

(١٦) أشرنا فى الجزء ٢ (انظر هامش ١٣ أيضاً) إلى أن المرء يجب أن يستعمل مفهوم النظرية هنا بحذر .

سيناريو ٢ : ربما يصلح التصور الراديكالى للتناص " للخطاب الأدبــى ، ومع ذلك فتعميمه على النصوص بوجه عام لا مبرر له ، ولذلك يتنازع علم لغــة النص فى أجزاء منه على الأكثر .

سيناريو ٣ : يجب على علم لغة الــنص الحــديث بــالنظر إلــى الفهــم الراديكالى للتناص أن يساير نظرة إلى مفهومه الخاص للنص فيه ويتجاوز الكتب.

سيناريو ٤ : يُرَد التصور الراديكالى للتناص إجمالاً ، أى للأدب أيضــاً ، بوصفه في غير محله – ذلك لأنه لا يؤدى إلى معارف جديدة محددة ، وهكذا فهو ليس منتجاً من الناحية العلمية ، أو فقط لأن المرء لا يستطيع فهمه أيضاً .

هذه السيناريوهات الأربعة صِيغت كما لو أن علم لغة النص الحديث قــد تطور حتى الآن مستقلاً تماماً عن تلك التيارات التى أنتجت تصور التناص لما بعد البنيوية المهم هنا . ومن الممكن أن تكون هذه الصورة بسيطة جداً . ولا يستبعد أن تصور التناص ، دون أن نكون كعلماء للغة النص على علم بذلك ، قد أثر فى علم لغة النص – كما يقال فى عمليته ارتشاح ثقافى ، بل لا يستبعد أيضاً أن علينا نُعنى بنوع من التقارب بين مفهوم نقدى للنص ، ومفهوم لغوى نصى جديــد ، لا سيما مفهوم للنص متأثر بعلم الإدراك ، كلاهما تحركه اتجاهات التطور الخاصــة بتاريخ العلم والثقافة الأعم إلى أقصى حد . وفى كل حال يجب علــى المــرء أن يتحرز من تكافؤ ظاهرى فقط بين تصورين ، أى تساويا ، فمع ذلك كلــه يكمــن خلفهما فهمان مختلفان اختلافاً جذرياً !

٣ـ نقاط محورية

ما الملزم من السيناريورهات المذكورة – بغض النظر عن الحــذر العــام الذى قيل أخيراً – ما يزال على الأقل ليس واضحاً لنا فى اللحظة الحالية . بيد أننا نرغب بإسهامنا أن ندعو إلى مناقشة هذه المسائل ، وأن ننجز لذلك جزءاً صغيراً من عمل تمهيدى واضح . نحن نفعل هذا ابتداءً بمحاولة أن نعيد بنــاء التصــور الراديكالى للتناص بمساعدة المفاهيم المحورية الثلاثــة : الــنص ، والمؤلــف ، والقارئ . ولما كان مفهوم النص بالنسبة لنا كعلماء للغة النص يقع فى القلــب ،

فإننا سوف نسترسل فيه بعض الشئ أكثر من المؤلف والقارئ . ولا نسهب فيهما إلا بقدر ما يكونا حاسمين لمفهوم النص .

فى البداية حول النص : أكدنا فى البداية أن : تصور التناص يتخذ منطلقه فى تحول ضد تصور النص (الأدبى) بأنه عمل ملزم للمؤلف ، بأنه قيمة معنوية تامة ، غير متكررة ، غير متغيرة ، لها فى ذاتها تكوين مستقل . التصور المقابل هو : النصوص عمليات ، خبرات . النصوص من منتجيها فكرهم (أو تصورهم) ، ومن متلقيها إعادة للفكر (أو التصور) . وفى إطار هذا الجانب يمكن (أمكن) أن يُفهم تصور التناص على أنه تشكيل راديكالى لرؤى جماليات التلقى ، (١٧) وأمكن أن يُربط دون شك من وجهة نظر لغوية بتصور تفاعلى للنص .

وهكذا فالتصور التناصى للنص يُحَدد من جهة المؤلف تارة ، ومن جهة القارئ تارة أخرى – وينتج " التناص " عن هذين المجالين للتأثير (أيضاً أو فقط بوجه عام) : فى عملية الكتابة التى تدرك بمفهوم écriture – ينشأ معنى يرتبط بشكل محتمل بالمعرفة النصية ومعرفة العالم جميعها للمؤلف أو المؤلفة ، وهذه– هكذا قد نقول " على نحو لغوى نصى " – تُقْصَد معاً بشكل كامن دائماً . وتكون عملية القراءة إضافة إلى ذلك صورة عكسية – lecture – فعلاً منتجاً ينشئ معنىً ، ومن ثم النص ، وكذلك مع تضمن محتمل للمعرفة النصية ومعرفة العالم جميعها للقراء أيضاً . (١٨) فالقراءة بالنسبة لرولان بارت " اللعب " باللعب ، كما

---

(١٧) هكذا يرى ماى ذلك على سبيل المثال (١٩٩١: ص ٤٤) : ما هو مهم أن يرى تاريخياً أن هذه التصورات تشارك فى اتجاه أكثر عمومية نحو نقد موجه إلى القارئ بدرجة أكبر ، قد أُعدّ ليكون إبداعاً أكثر حفزاً فى ثقافة أدبية فى السبعينيات .

(١٨) من هذه الناحية يعد تصور للتناص ، كما حاول كل ستيل / وورتون فى الاقتباس الآتى أن يحدداه ويوضحاه إجمالاً ، متساوقاً مع تصورات لغوية نصية بوجه عام – وهكذا يمكن للمرء هنا أن يسجل سيناريو ١ : " تصر نظرية التناص على أن النص (يُفْهَم لبرهة بمعنى أضيق) لا يمكن أن يوجد ككل سحرى أو مستكفٍ – بنفسه ، ولذا لا يقوم بوظيفة نظام مغلق ، وذلك لسببين : الأول : الكاتب قارئ للنصوص (بأوسع معنى) قبل أن يكون مبدعاً (مبدعة) لنصوص ، ولذلك فعمل الفن هو بشكل محتوم قذفة خلال ذلك بإحالات واقتباسات وتأثيرات من كل نوع (...) . وتعد العلاقات السائدة للإنتاج ، والسياق الاجتماعى –

يلعب المرء الموسيقى (١٩٧١ / ١٩٨٠ : ص ٧٩) ، ويشير بارت إلى أنه مع "النص " – خلافاً للعمل – تُقَلل المسافة بين الكتابة والقراءة بشكل أرجح : [١٩] "النص يحتاج إلى محاولة لإلغاء (أو على الأقل لتقليل) المسافة بين الكتابة والقراءة ، ليس بتقوية إسقاط القارئ داخل العمل ، بها بربطهما معاً فى عملية إفادة مفردة [ممارسة مهمة] . " (١٩٧١ / ١٩٨٠ : ص ٧٩) .

وهكذا فالنص المفرد يذوب باعتبار أنه إلى حد ما ليس إلا نقطة تقاطع النصوص والخطابات التى تجلبها أو تنشطها صور المنتج والمتلقى (المؤلف والقارئ) : يصير النص – وهى العبارة المتعلقة بالموضوع – خليطاً مضطرباً من أصوات نصوص أخرى ، [٢٠] يصير متعدد الأصوات .

السياسى – الذى يمكن أن يُتَضمن داخل تعريف جانبى للنص – بالطبع قوة كبرى لتأثير كل جانب للنص (...) الثانى النص لا يكون متاحاً إلا من خلال إجراء ما للقراءة ، فما أُنتِج فى لحظة يرجع إلى تخصيب تهجينى للمادة النصية الشاملة (قول ، كتاب) بكل النصوص التى يجلبها القارئ إليها . وسوف يكون لتلميح ضعيف لعمل غير معروف للقارئ ، ومن ثم يمضى بغير اهتمام ، وجود ساكن فى هذه القراءة . ومن جهة أخرى ربما تؤدى تجربة القارئ فى ممارسة أو نظرية ما غير معروفة للمؤلف إلى تفسير حى (...) ، فمعرفة ما بأوجه الخوف المتحسبة من معسكرات الموت النازية تسقط ضوءاً آخر لاحتمال مقزز على عمل كافكا الرائع (ستيل / دوركون ١٩٩٠ : ص ١) .

(١٩) يحيل بارت (١٩٧١ / ١٩٨٠ : ص ٧٩) أيضاً إلى أنه فيما مضى على كل حال وجدت مسافة ضئيلة للغاية بين إنتاج وتلقى الفن والموسيقى على سبيل المثال . وبدءاً من العصر الحديث جُلِب فصل جذرى بين إنتاج الفن من جهة واستهلاكه من جهة أخرى .

(٢٠) الفقرة التالية من مقالة كريستيفا حول " باختين ، الكلمة ، والحوار ، والقصة (من المحتمل أقدم استشهاد لكلمة تناص) تجعل فهم كريستيفا للنص فى رأينا أكثر وضوحاً : " ... من الضرورى أولاً تحديد الأبعاد الثلاثة للفضاء النصى الذى ستتحقق من خلاله العمليات المختلفة لمجموعة السمات والمتواليات الشعرية . هذه الأبعاد الثلاثة هى : موضوع الكتابة والمخاطب والنصوص الخارجية (ثلاثة عناصر فى الحوار) . ويتحدد وضع الكلمة أيضاً (أ) أفقياً : فالكلمة فى النص تتعلق بموضوع الكتابة والمخاطب ، و (ب) رأسياً : إذ الكلمة فى النص موجهة إلى المادة الأدبية على نحو سابق أو تزامنى . بيد أنه فى عالم الخطاب

ويبدو لنا فى ذلك أنه ليس مهماً أنه فى هذه الأفكار حول مفهوم النص لا يرتكن ابتداءً – من ناحية نظرية العلامات – إلى جانب المدلول كلية ، سواء فى التصور التقليدى للنص بوصفه قيمة معنوية مستقلة – الذى أُسقط الآن من القاعدة – أو فى التخطيط المضاد للنص بأنه خليط من أصوات متعددة للمؤلف والقارئ . غير أن ما تغير هو الاختصاص أو سلطة التحديد حول العلاقة بين الدال والمدلول : فهذه تُسْحَب من المؤلف ، وتُسْنَد ، وإن كان بشكل جزئى،إلى القارئ المختص أو القارئة المختصة ، ومن ثم صار المدلول القيمة الممكن تغيرها ، التى لا تتحدد دائماً إلا فى عملية القراءة الفعلية .

ويقتصر المعسكر " المعتدل " للتصور النصى بنظرة إلى النص فى المقام الأول على إثبات صلات بنصوص أخرى ، وتصنيف أنواع الصلات . وفى ذلك يُشترط وجود النص المفرد بوصفه " عملاً " وإمكانية تحديده ، ويؤكدان ثانية بمفهوم تأثير متقلب (غير مقصود ؟) . وتحت عنوان " التناص " يُبْحَث عما هو مميز للعمل فى رأى بارت : " المنابع لــ ، التأثير على ، أسطورة البنوة (١٩٧١/١٩٨٠ : ص ٧٧) . وعلى العكس من ذلك يتعلق الأمر مع المعسكر "الراديكالى " بأن وحدة النص تذوب – وبخاصة : بمفهوم تكوين معنوى : فما يظهر لنا نصاً هو قطعة ، جزء من تيار لا نهائى للكلام أو للخطاب أو ملتقى تيارات نصية كثيرة ، أصوات كثيرة ، ومن يقرأ " نصاً " يغطس لفترة قصيرة فى

فى الكتاب يكون المخاطب متضمناً فقط بوصفه من الخطاب ذاته . فهو يلتحم مع هذا الخطاب الآخر (هذا الكتاب الآخر) هو بالنسبة إليه الكاتب الذى يكتب نصه الخاص ، بحيث يكون المحور الأفقى (الموضوع – المخاطب) والمحور الرأسى (النص – السياق) متطابقين للكشف عن حدث مهم : الكلمة (النص) هى تقاطع كلمات (نصوص) ، إذ يُعبر بها على أية حال عن كلمة أخرى (نص آخر) .ولدى باختين فضلاً عن ذلك هذان المحوران اللذان يطلق عليهما على التوالى حواراً وتعارضاً ، ولكنه لا يميزهما بشكل واضح . بيد أن ذلك يعد بالأحرى اكتشافاً ، إذ إن باختين هو اللغوى الأول الذى أدخل فى النظرية الأدبية : كل نص يُبنى شبيه بفسيفساء من الاستشهادات ، وكل نص ما هو إلا امتصاص (استيعاب) وتحويل من نص آخر . وحل محل مفهوم تداخل الذوات (الأفراد) تداخل النصوص (التناص) ، وصارت اللغة الشعرية على أية حال كأنها شيئان " .

هذا التيار أو يسبح معه فى تيار من التيارات الممكنة ... – هذه الصور اللغوية التى تصوغ خطاب التناص ، وتعد ابتداء غريبة جداً عنا فى جلائها السحرى ، وتطرح السؤال هل يمكن أن يوجد مثل هذا البناء الفنى حقيقة من أجل اكتساب المعرفة . على أية تبدو خلاصة التصورات المحال إليها فى أنى بوصفى قارئة / قارئاً ، وفى ضوء نصوص أخرى أشكل لنفسى بالقراءة نصى الخاص ، وهذا يقوض صورة العمل ، الذى أجراه المؤلف بقلمه . هذا يحطم المؤلف بوصفه أباً لعمله ومالكا له " (بارت ١٩٧١/١٩٨٠ : ص ٧٨) .

وعلى النقيض من ثبات " معنى الكلمة المحكم " الذى تصوغ صورته المفهوم التقليدى للنص – وبوجه خاص المفهوم التقليدى النقدى للنص أيضاً – فإن الكتابة والقراءة فى تصور التناص تبدوان عمليات دينامية ، تولد دائما شيئاً غير تام ، وغير دقيق ، وجديداً – فى حال التكرار فقط . (٢١) إن النص على الورق يجب تبعاً لذلك أن يُفهم بوصفه إشارة لمضمون دلالى كامن ، (٢٢) يرجع من جهة إلى عملية إنتاج (ولكنه لم يعد متطابقاً معها) ، ويمكن من جهة أخرى أن تُستَخدم حافزاً لعملية تلق ، ولكنه لا يحددها .

فأدى هذا التآكل المصور للنص بأنه معنى ثابت فى نتيجة قسرية إلى تحول لمفهوم النص من جانب المدلول إلى جانب الدال : ما الذى ما يزال مشتركاً بيننا ، حين نقرأ النص " ذاته " ، فقدنا الطمأنينة إلى معناه الثابت ؟ لم يعد مدلول العمل ، بل داله ، لأن " النص يمارس تراجعاً محدود للمدلول [le recul infini du signifié] : النص مُعَوّق ، مجاله مجال الدال " (بارت ١٩٧١ /١٩٨٠ : ص ٧٦) . النص مجرد " لعب للدوال " – هذا رمز إلى ما بعد الحداثة .

وعلى هذا النحو يُغيرً فى الوقت نفسه معنى مجاز التضفير ، النسيج الملازم لمفهوم النص من الناحية الاشتقاقية من بنية متعلقة بداخل النص – ذوبانية تناصية – إلى تصور لتشابك نصوص متباينة ، أجزاء نصية ، فروع نصية... إلخ ، يحل محل مفرد ، أى إلى تصور التناص . ولا يفتأ التصور

---

(٢١) انظر زوخسلاند (١٩٩٢ : ص ٨٠) .

(٢٢) ربما يلاحظ ارتباطاً بهذا " الكمون " للنص أو لمعنى النص أيضاً الرجوع إلى تفسير فرويد للأحلام بالتفريق بين مضمون كامن ومضمون متحقق للحلم .

الراديكالى للتناص نتيجة لذلك أيضاً يؤكد أن النصوص ليست شأناً " أفقياً " . (٢٣) وربما تفهم انطلاقا من نقطة الالتقاء هذه أيضا الاستجابة التى يقابلها ما بعد النقدية بإمكانات وسيطة جديدة للنص الالكترونى / المتشعب Hypertext وشبكة المعلومات الدولية Internet التى لها علاقة بدرجة أقل بلذة المستخدم القائمة على الواقع العملى مما هو بإحساس تقارب الأرواح بالنظر إلى أن هذه الوسائط الجديدة تزعم تحقيق ذلك – تقنياً – الذى عُدَّ وفق فهم تصور التناص جوهر مفهوم النص ، الذى مُحِى فى المادية الأفقية لوسيط نصوص مكتوبة أو منطوقة.(٢٤) " مجاز النص هو مجاز الشبكة (réseau) " . (بارت ١٩٧١/١٩٨٠: ص ٧٨) .

ويمضى " موت " العمل – كما لاحظنا مع تنصيب القارئ – إلى " المكان " الصحيح لتكوين المعنى ، فأمامنا تغير جذرى فى أهمية المواقع فى نموذج التواصل يمكن أن يوجز فى عبارة : يموت النص ، ويحيا القارئ . وبقدر ما نفهم تطور خطاب التناص ، فإن هذه العبارة على أية حال تشكل مرحلة وسطى ، وأخيراً يقال مرة أخرى ويوثق تاريخياً : يموت النص ، يحيا النص ! وفى

---

(٢٣) فى هذا السياق أيضاً يواجه المرء تلقياً نقدياً بوجه خاص لدى سوسير ، يستند ضمن ما يستند إلى النصوص ، التى تعد هامشية تماماً بالنسبة لتلقى دى سوسير اللغوي – نحو أشكال الأناجرام " الجناس التصحيفى " مثلاً . فأفكار دى سوسير حول " مفردات تحت مفردات (هكذا عنوان النشر الجزئى لأشكال الأناجرام الذى شرحته جين ستاروبنسكى) – بقدر ما نفهم هذا فهماً صحيحاً – لا تضع أفقية المفردات فى النص فحسب موضع تساؤل، بل " توالى " العناصر الصوتية فى مقطع ما أيضاً – هذا على الأقل بالنسبة للوحدات الأساسية المنضوية Hypogramme " المفردات التيمية التى يفهم دى سوسير تحتها شكلاً مميزاً للاناجرام فى الأدب (اللاتينى) القديم (ستاوربنسكى ١٩٨٠ : ص ٢٣ ، و ٢٤ وما بعدها).

(٢٤) هذا على النقيض من مجازات العمل فى " الكائن الحى " . انظر حول ذلك أيضا مجازات التناص التى نقابلها فى أماكن أخرى كشبكة ، ونسيج ، وخيوط الكمأة ، وجذر ...إلخ التى تشكل خطاب التناص .

الواقع،وهذا مهم للغاية النص هنا ليس " النص " نفسه . ويحمل إلى القبر هنا النص بوصفه عملاً ، ويعاد تتويج النص بوصفه نصاً ، نصاً متداخلاً . (٢٥)

إن إعادة التنصيب هذه للنص هى نتيجة لأنه – فى خطوة تالية تُجْعَل القضية ، ليس للعمل فقط ، وإنما الآن لذوات المؤلف والقارئ أيضاً : فمن جهة تفهم هى ذاتها – هكذا عن كريستينا ولا كان أيضاً – على أنها نصوص أو نصوص متداخلة ، أى نقاط التقاء للأصوات والنصوص ، وتُحلل بهذا المعنى بوصفها " مواضع " قصدية ثابتة . ويُفهم هذا – الذى يخص جانب القارئ – على أن القراءة تعنى تفاعلاً بين النصوص التى يأتى بها أو يمثل بها قارئ / قارئة ، والنص الذى يمتلكه القراء فعلاً – هذا هو التعبير المناسب . (٢٦)

ومن جهة أخرى ينتج " اختفاء " المؤلف والقارئ عن طريقة قراءة محددة فى نظرية دى سوسير اللغوية ، حيث تخضع الذات المتكلمة المفردة للنظام اللغوى (اللغة) ، وتبعاً لذلك لا يكون عند تحقيق هذه اللغة فى الكلام السيد "فلان" أو السيدة " فلانة " حقاً عبر المفردات الخاصة . ويُدَعَّم هذا التفسير لنظرية دى سوسير اللغوية بمساواة لاكان بين البنية اللغوية وبنية اللاوعى بمفهوم التحليل النفسى، وبوجه عام بالمزج بين علم اللغة والتحليل النفسى . (٢٧) هنا يتضح التلقى الفرنسى المميز لدى سوسير أو البنيوية المختلف للغاية عن التلقى الألمانى والأمريكى (القديم) و– نتيجة لذلك – تصور آخر للسيميوطيقا بشكل مطابق أيضاً . ويعنى افتراض بنية مطابقة للغة واللاوعى ، بعبارة أساسية ، أن

---

(٢٥) لتعليم هذا الفرق يكتب لفظ " نص " كبيراً غالباً (هنا تحته خط) فى أعمال رولان بارت (فى الأصل الفرنسى ، وفى الترجمة الإنجليزية أيضاً) .

(٢٦) زوخسلاند (١٩٩٢ : ص ٨٠) .

(٢٧) انظر حول الصياغة الآتية لدى زوخسلاند (١٩٩٢ : ص ٢٧) : حين ، كما يقول لا كان ، تطابق أبنية الوعى واللغة بعضها بعضاً ، فإن هذا يعنى أن الذات المتكلمة لا تمتلك اللغة بشكل مستقل ، بل تخضع ذاتها لأبنية اللغة وقواعدها ، حيث لا تدرك ما تقول . الذات المتكلمة ليس مالكة معنى منطوقها ، ولا تستطيع أن تقبض على هذا المعنى على الإطلاق، بل هو ذاته تأثير الحدث اللاشعورى على ذلك المسرح الآخر " تأثير نظام رمزى بنيته اللغة .

المتكلم أو المتكلمة يعجب / تعجب لكلامه / لكلامها الخاص ، ويجب على الأقل أن يواجهه على نحو لا عقلانى إلى حد ما مثلما يواجه حالمٌ ذكريات حلمه .

وهكذا حين تموت الذوات – المؤلف القارئ أو تَخرج من التصور – "الأنا الذى يكتب النص ليس ذاته على الإطلاق شيئاً غير ورقة أنا " (بــارت ١٩٧١ / ١٩٨٠ : ص ٧٩) – يجب أن تُجعَل الأنشطة المؤسسة للنص المؤلف والقــارئ (الكتابة والقراءة) الآن فى عملية معكوسة خواصَ النص أو أشــكال مظــاهره – التى يرسو عليها النص مرة أخرى بوصفه أشبه بكيان أكثر قوة ، بعد أن جعلته العملية مؤلفا تكويناً معنوياً ثابتاً ، مستقلاً ، موضوعياً . فلم يعد " نتاجــاً " بــل "إنتاجية " ، لم يعد " كتاباً " ، بل " كتابة " . [٢٨] إن النص كتابة بمفهوم ما هــو قضوى ، بمفهوم الضرورة المستمرة ، ما هو غير ثابت ، إنــه إنتــاج مســتمر للمعنى ، آلة دلالية [٢٩] – يُجاز مجاز لنا هنا . وهذا – كما تــوعز علــى الأقــل صياغات كثيرة – بلا شك فى معنى مستقل ، غير تابع لفرد محدد . ويبــدو أنــه يحل التمثل القديم للنص على أنه عمل تناص جديد للنص على اعتبار أنــه أكثــر إنتاجية (خلاقاً) .

إلى هذا الحد تكون إعادة بنائنا لنقاط تصور التناص الجوهرية والمحايدة أيضاً من وجهة نظر لغوية نصية . ونريد الآن فى الجزء الختــامى أن نصــوغ الأسئلة والاعتراضات – فى خمس نقاط – التى هى فى الحقيقة محل اهتمامنا من الجانب اللغوى النصى .

٥ـ وجهات نظر واعتراضات

(أ) مفهوم دينامى للنص

تفتقد نظرتنا كثيراً من الدينامية التى تلازم خطاب التناص ، بخاصة فــى عطائه البلاغى – المجازى أيضاً ، فى اللحظة التى يُفرق فيها – بمفهوم علم لغة

---

(٢٨) الفصل الأول من كتاب دريدا " حول ثقافة الكتابة (١٩٦٧) ، وهو : " نهاية الكتاب وبداية الكتابة " . (١٥)

(٢٩) يذكر هذا بالنحو التوليدى بوصفه " آلة اللغة " التى لا تنتج فى الحقيقة – علــى النقــيض تماماً– المعنى ، بل اللغة فقط .

النص الحديث – على نحو منطقى للغاية بين نص على الورق (دال) ونصوص بوصفها أبنية معنوية فى رءوس الناس (مدلول) . (٣٠)

ينطلق علم لغة النص الحديث ، على نحو ما نقرأ فى عرض هاينه مان / فيهفجر (١٩٩١ : وبخاصة ص ١٢٥ : ١٢٨) من فهم " دينامى " و " إجرائى " للنص ، لا تكون النصوص وفقاً له مثلاً معنىً ، وظيفة فى ذاتها ، بل هى دائماً ذات صلة بسياقات التفاعل فقط ، والنصوص أيضاً ليست متماسكة فى ذاتها ، بل بالأحرى حسبما يكون المشاركون فى الفعل ، " الذين يؤسسون العلاقة فى النص، ويحققونها فى بنية النص ليعيدوا بناءها فى عملية فهم معقد ، تتفاعل فيها بشدة معلومات النص والمعرفة الموجودة من قبل " . وبعبارة أخرى : على الأقل فى بعض نقاط لدينا حقيقة الإحساس بأن ما قيل فى خطاب التناص يمكن أن يوجد أيضاً فى علم لغة النص الحديث – وإن كان فى إطار مفهومية أخرى ، فى إطار "خطاب " آخر .

ونريد من جانب آخر أيضاً أن نحذر من توفيقاً متسرعاً : ولذا يجب مثلاً أن تتساءل نظرية معرفية للنص ، هل من الصواب أن ينطلق فيما يتعلق بالنص فى الدماغ من بناء نصى أو معنوى ثابت ومحكم – كما مُثِّل حتى الآن – يمكن بوصفه نتاج عملية فهم للقارئ أن يزعم خاصية التماسك الدلالى أو هل لا ينبغى حقيقة أن نتدبر مفهوم النص الذى يعد أيضاً بوصفه نصاً فى الدماغ دينامياً ، وغير حاد وعابراً أساساً ، ومن ثم ربما لا يُشَك فى تصور لمعنى " موضوعى " للنص فحسب ، بل يشكل جذرى فى أشكال النمذجة لمعنى (ذاتى أيضاً) للنص بوصفه قيمة ثابتة ، ما يمتلكه المرء ، إذا فهم النص لذاته . وربما وُجِدت تصورات مضادة : الفهم بوصفه عملية غير تامة أساساً ، ومعنى النص كالتواصل بوصفه " حدثاً " بوجه عام . (٣١) **والتماسك النصى ليس نهاية المطاف، بل هو محرك وقيمة توجيهية لعملية الفهم .. – نقل تصور " التشويش " من مستوى علم دلالة الكلمة إلى علم دلالة النص .**

---

(٣٠) انظر نوسباومر (١٩٩١) .

(٣١) انظر حول ذلك حديثاً تصور " التواصل بوصفه حدثاً " (هذا فى مؤتمر دولى عن اللغة الألمانية IDS ، أُخبِر عنه فى كتاب " اللغة الألمانية ١٩٩٥/٢٣ ، ٢ .

(ب) حول علاقة الفرد باللغة

نعد محاضرات دى سوسير التى يقوم عليها تحليل لاكان النفسى التى أدت إلى اختفاء المؤلف والقارئ إشكالية أو سوء فهم – أو بعبارة أكثر حذراً : توعز الأفكار التى تُقدَّم فى سياق الحجر على المؤلف والقارئ بسوء الفهم هذا : ويستنتج هنا من نظرة عميقة فى مسألة أن اللغة معرفية ضمنية ، [٣٢] أن استعمال هذه اللغة لصياغة المعنى أيضاً لا يمكن أن تسيطر عليه أو تضبطه الذات، وأن اللغة إذن تكتسب السيطرة على الذات المتكلمة ، فى تحققها أيضاً بوصفها كلاماً .

ولا تبدو هذه النتيجة من منظور لغوى مقنعة ، فيمكن أن يكون جزء لا بأس به منها مديناً لمسألة أن لا يفرق بين اللغة والكلام ، بين النظام والأداء فى إطار تصور التناص بشكل أساسى وصارم . ولذا فصحيح أنه لا أحد منا يستطيع أن يعد هو ذاته لغته – مثلماً لا يستطيع أن يعد تكوينه الثقافى الأساسى : فنحن نولد فى جماعات لغوية ، ومن ثم داخل لغات مفردة محددة أيضاً . وقد حصلنا هذه اللغة تلقائياً من زمن ، قبل أن نصير على وعى بعملية التحصيل ، ومن ثم على كل حال نحصل أيضاً على إمكانية أن نؤثر فيها [٣٣]. ومع ذلك لا يجوز أن يُنقل على نحو مماثل إلى استعمالنا لهذه اللغة تصور " كينونة التسليم " للغة ، الذى يمكن أن ينشأ بناءً على هذه الحقيقة (ويمكن أن يقوى أيضاً فرض النحو الشامل (العالمى) ، القائم على أساس بيولوجى ، الممثل فى الوقت الحاضر فى بناء النظرية اللغوى) . [٣٤] فلا تتحدث اللغة من خلالنا ببساطة ، بل نحن الذين

---

(٣٢) زوخسلاند (١٩٩٢ : ص ٢٠) : هذه القواعد والأبنية [للنظام اللغوى ، للغة عند دى سوسير] تستخدم لا شعوريا عند للكلام .

(٣٣) لدى زوخسلاند (١٩٩٢ : ص ٢١) فى بحث عن ليفى شتراوس . هذه الصورة للماس الكهربى عادت من المعرفة الضمنية إلى إخضاع الذات ، إنها تبدو فى إطار مناقشة التناص نموذجاً مقبولاً للمحاجة (الاستدلال) .

(٣٤) يعمل بول دى مان أيضاً هذا الماس الكهربى للغة على الاستعمال اللغوى ، ومن الأخير راجعا إلى اللغة ، حين يزعم من خلال مثال قصيدة وليام بتلربييتس ' بين أطفال المدرسة أنه ليس من الممكن اخر الأمر تقرير اذا ما السوال الدى صيغ فى خاتمة القصيدة ، وهو

نتحدث اللغة ، وليست اللغة هى التى تستعملنا ، بل نحن الذين نستعملها . ونحن فى ذلك بعيدون كل البعد عن أن نفترض أننا بوصفنا متكلمين ومتكلمات نملك أداءنا اللغوى بشكل غير مقيد كليةً . وحتى نكون – كما أوضح مؤخراً – فى تأكيد – هلموت فايكله(٣٥) – مقيدين فى استعمال لغتنا أيضاً إلى قيود براجماتية – اصطلاحية متنوعة ، فإننا مع ذلك لسنا أولئك العبيد (العبدات) للخطاب على نحو ما يشكل ذلك تصور التناص .

إن العلاقات تتطلب إيضاحات تكون أكثر اختلافاً وقوةً من أنها يجب أن تُقدم على سبيل المثال توازياً بين اللغة والتصور النفسى التحليلى للاوعى . (٣٦)

(جـ) النص – المقصد ـ الفعل

لقد اعتدنا بوصفنا علماء لغة متخصصين أن نضع النصوص فى نموذج اتصال معقد بدرجة أكثر أو أقل ، وأن نعلق فى ذلك على معيار التناص أهمية

كيف يمكننا أن نعرف الراقص من الرقص ؟ يمكن أن يُفهم الآن فهماً بلاغياً (بحيث يعنى السطر إلى حد بعيد مثل التأكيد أنه ليس من الممكن التفريق بين الرقص والراقص) أو إذا ما كان يُقصد هذا السؤال " حرفياً " ، أى أنه فى الواقع سؤال عن إمكانية هذا التفريق (دى مان ١٩٨٨ ، ص ٣٩ وما بعدها) . وبغض النظر عن أن الغموض للموضع النصى المستشهد به قابل للمناقشة ، فإنه من الخطأ بالتأكيد ، إذا استنتج دى مان من ذلك عامل عدم تحديد أساسى فى اللغة ، لا يمكن ضبطه ، ومن ثم يضع بنية المعنى اللغوى موضع تساؤل أساساً : " لأنه ما لزم السؤال ، فإنى أسأل ، إذا ما لم نستطع أن نقرر بشكل نهائى إذا ما كان السؤال يستفهم أم لا . " وما أهمله دى مان تماماً فى هذا الموضع هو حقيقة أنه ليست اللغة ، بل اللغة فى الاستعمال هى أساس كل إنجاز محدد للتواصل والفهم ، وأنه ليس لكل متكلم / مؤلف تحويل أوجه الغموض التركيبى إلى معنى مفرد باستعمال وسائل لغوية أشد تبايناً (أفعال الصيغة ، والأدوات ... الخ) .

(٣٥) فايلكه (١٩٩٤) .

(٣٦) لهذا الأمر ضمن غيره علاقة تداول المعايير / بناء الطقوس .. الخ ، وبعبارة أخرى : عمليات اتصالية – اجتماعية – وفق فهمنا – لا موضع له فى تصورات تناص ما بعد البنيوية .

جوهرية ذات صلة (بإعادة) تركيب التماسك الدلالى ، ومن ثم لفهم النص آخر الأمر . ولذا فنحن نعجب إلى حد ما ، ونتحير تجاه حقيقة أنه يُقصى فى تصور التناص المؤلف والقارئ بشكل قاطع ، ويُذاب النص من تعقيده فى نموذج التواصل ، ويُنقل إلى مجال فضائى أو بتعبير أفضل حيز خالٍ من التفاعل . (٣٧) لم يعد النص يبدو نتاجاً لفعل لغوى للمؤلف ، ومن ثم تعبيراً عن مقصد منمط بشكل مستمر ، ويغيب كذلك القارئ الذى يمكن أن يلحق مقصداً معيناً (وربما كان خاطئاً) بالنص (أو بمؤلفه) . وكذلك بالنسبة لمنظور الملاحظ " الخارجى " لم يعد أى إلحاق وظيفى ممكناً بناء على حذف جذرى للتضمين الاتصالى للنص .

هذا الترك لنظرية محورية لعلم لغة النص فى سياق تصور النص الخاص بالنقد الأدبى لا يدهش (نا) . وربما يصير منطقياً يُبرهن على الاختلاف الآتى : إن نظرية النص اللغوية النصية موجهة فى المقام الأول إلى تفاعلات يومية ، ومن ثم إلى نصوص الاستعمال أيضاً . وتهتم نظرية النص اللغوية النصية فضلاً عن ذلك بفهمها البراجماتى للنص ، فى المرتبة الأولى بوظيفة النصوص فى سياقات فعل محددة . وفى المقابل يُظن – وثمة

---

(٣٧) يستخدم ر . بارت (فى تل كيل ١٩٧١/٤٧ : ص ١٠١) ، نقلاً عن بروتينج ١٩٧٦ : ص ١٨٣) مفهوم التناص بوجه خاص بشكل جدلى ضد مفهوم السياق ، وذلك على النحو الآتى : "إن مفهوم النص المتداخل له أولاً صيغة جدلية : فهى تساعد على مقاومة قانون السياق . وتفسير ذلك: أن كل فرد يعلم أن سياق أية رسالة (فيما يخص مادتها) يقلل من الجدلية (...) ، حيث يجب الأخذ فى الاعتبار حقيقة السياق (من ناحية فقه اللغة وعلم اللغة) . إنها دائما بداية إيجابية ، مختزلة ، وشرعية ، قائمة على شواهد الواقعية " . وهكذا حُرِم السياق هنا ، الذى أعلى علم اللغة من شأنه بالنظر إلى نصوص فى الاستعمال اليومى بوصفه حالة تحول براجماتية إلى معنى مفرد ، على يد بارت من هذا الشأن ، وبنظرة إلى أعمال أدبية بوصفها عامل تحويل إلى ضحالة .

صياغات مفردة تبدو مؤكدة لهذا الظن - [٣٨] أن مفهوم النص يجعل تصور التناص موضوع نصوص أدبية بشكل نمطى أساساً - وربمـا دون غيرهـا أيضاً .

ربما كان هذا ليس بمنطقى ، على الأقل لم تُجعل هذه الإشكالية للحد موضوعاً أو لم تناقش صراحة فى الكتابات المختصة بقدر ما نرى . الحقيقة على كل حال هى أن تحليلات النص النقدية الموجهة تناصياً تركز علـى قاعدة ضيقة لنصوص رفيعة للغاية ، أكثر صعوبة فى الغالب حتى لا يُقال شئ .

وفى ذلك يبدو أن هذا القانون للوهلة الأولى لا يستند إلى حدود تقليدية بين الأجناس - فالنصوص النظرية (فرويد ، وبنيامين وغيرهما) ، والعروض التصويرية والأفلام أيضاً ... إلخ توضع على درجة ما مع نصوص " أدبية " لا خلاف عليها . [٣٩] هذا الموقف ضد موضوعات البحث يعكس ما يكون على مستوى التنظير ، الرد الحاسم للحدود القديمة بين الأجناس ، بدءًا من تلك التى بين الفن واللافن والأدب واللا أدب . ويبدو لنا فى الحقيقة أن كل ما له سمو يُتَناول بقراءة - تناص ، ومن ثم يخضع لعملية قوية للتشكيل الجمالى، ويعنى هذا من الناحية اللغوية النصية أن يُقصى المقصد وجانب الاتصال وجانب الفعل .

وما يزال هنا الكثير فى حاجة إلى إيضاح ، غير أنه يبدو لنا الآن أن بعض الأشياء فى تصور التناص مفتت أيضاً بالنسبة للنصوص التى لا نرغب فى أن نعدها فى البداية بشكل واضح من النصوص الأدبية ، مثل نصوص وسائل الإعلام - ومن ثم بالنسبة لموضوع كلاسيكى لعلم لغة

---

(٣٨) تتحدث كريستيفا مثلاً عن " لغة شعرية " انظر الهامش ٤ ، ولفهم ريفاتير التناص على أنه آلية متميزة للقراءة الأدبية (ريفارتير فى : " أثر النص المتداخل " فى : La pensée "الفكر " أكتوبر ١٩٨٠ ، نقلاً هنا عن جينت ١٩٩٣ : ص ١١) .

(٣٩) رولان بارت (١٩٧١/١٩٨٠ : ص ٧٥) : لا يرد النص إلى حد مع الأدب (الجيد) ، فلا يمكن أن يدرك جزءاً من تدرج أو حتى تقسيماً بسيطاً للأجناس . ما يشكل النص ، على العكس من ذلك (أو بدقة) هو قوته المدمرة بالنظر إلى تقسيمات قديمة " .

النص البراجماتى . [٤٠] ويمكن ، تبعاً لإشارة من هارلـد بـورجر [٤١] ، أن يرى المرء فى نصوص الأخبار " موت المؤلف ، بحيث يصير من الصعوبة بمكان بشكل متزايد فى الطبيعة الحديثة لوسائل الإعلام أن يُلحق نـصُ مـا بمؤلف محدد للغاية ، ومن ثم لمقصد محدد للغاية . ويجب فـى الحقيقـة ، لأنه لم يعد من الممكن الإجابة عن السؤال " من يتكلم (المتكلم) " مع خبـر ما، أن يكون لصحته تأثيرات شديدة على تلقى هذا الخبر ، وعلى الثقة فيه (مصداقيته) . ولأن هذه بالأحرى – على الأقل لدى " الجمهـور العـريض " هى الحال ، فإن له قوة تدميرية نظرية وعملية (سياسية) ضخمة للغاية[٤٢]. وهكذا يمكن أيضاً أن تكون إشكالية التضمين الاتصالى للنصـوص بالنسـبة لنصوص غير أدبية مثمرة أو ضرورية : فإطلاق المبدأ البراجماتى " النص فعل " ، وإعادة ربط تحليل الـنص بتحليـل التفاعـل ، ومقاصـد المـتكلم (المتكلمين) ، وتوقعات المتلقى (المتلقين) إلخ ربما أعاد حتى الآن النظـرة اللغوية أيضاً إلى الجانب الشكلى للنصوص أو إلى وظائفها التفاعلية غيـر المميزة . ومن هذا الجانب يُسَجِّل مثلاً السؤال عن وظيفة النصوص بوصفها " خازنات معرفية " أو عن أنواع النصوص بوصفها أشكال تكـوين مميـزة لمعرفة اجتماعية ، وبوصفها أشكالاً جيدة للمعرفة ، على نحو مـا ناقشـها جيرد أنتوس فى إسهامه فى هذا الجزء ، [٤٣] تحولاً محدداً لأوليـة توجـه الفعل فى علم لغة النص الحديث أيضاً .

وفى الحقيقة : لا تجعل أسلبة النص إلى قيمة لا تحرم مـن مكانـة المؤلف، ولا تُترك للقارئ فى قراءات أخرى ومتجددة ، السؤال لا يكون عن

---

(٤٠) بنيت أولافيكس ذلك (فى هذا الجزء) فى نصوص غير أدبية أخرى .

(٤١) بورجر (١٩٩٥) .

(٤٢) يسرى ما يماثل ذلك على " الاتصال " عبر الانترنت الذى يزداد أهميةً . ولأنه يمكـن أن يكون ذا صلة وثيقة نظرية وعملية بحق ، ولأنه ليس من البساطة الإجابة عن السـؤال " من يتكلم فى قانون ما " : المشرع – يمكن أن يوجد حول ذلـك لـدى ديتـريش بوسـه (١٩٩٢) بعض إشارات .

(٤٣) على نحو محدد يصدق ذلك أيضاً على إسهام أولريش يوشل (فى هذا الجزء) .

قيمة الفعل للنصوص فقط ، بل السؤال عن إعادة الربط الأخلاقى أو عن المسئولية الاجتماعية للنصوص ولها أيضاً يبدو ، وهو ما يبدو ثانوياً ، وإن لم يكن مهملاً على الإطلاق . ويجعل فصل النص عن تكوين المقاصد ومواقف التوقع والدلالات المطالبة - منه قيمة ما تزال على أية حال موضع نظر من الناحية الجمالية ، ولكنها لم تعد كذلك من الناحية الإخلاقية . وحين يُنظر - كما نفعل ذلك - إلى علم اللغة على أنه " علم للإنسان " ، فإن هذا أثر تصور للتناص الذى يهون .

(د) القراءة : حول مأخذ لا التزام ما بعد الحداثة . صمود النص

كان ضرورياً على نحو ممكن لدفع النص الأدبى بوصفه قيمة معنوية مستقلة من قاعدته اختزاله فى مجرد " لعبة الدوال " و " الخليط من الأصوات " المنتشر . وفضلاً عن ذلك نقر أنه يمكن أن تُقدم لنص على الورق فى كل عصر - وبحق فى عصور مختلفة - " قراءات " أو " نصوص فى الدماغ " عدة ، مختلفة . السؤال هو هل يمكن أن تعنى مثل هذه " الحرية " المكتسبة فى الفهم ، فى التفسير أو الاختلاف المتاح فى القراءة اللا التزام ، بل يجب أن تعنى اللا التزام . ويأخذ ايلجتون (١٩٨٨ : ص ١٢٩) على الأقل على اتجاهات محدودة لما بعد البنيوية هذا اللا التزام بوصفه نتيجة النبذ الجذرى لكل معنى ثابت للنصوص ، لكل معرفة مؤكدة ، لكل ما هو وراء العلامات حول الواقع المفترض ، ومن ثم كل حقيقة .

ومن منظورنا يعد هذا اللا التزام للقراءة فيما بعد الحداثة المؤكدً بشكل ساخر من جهة والمقوَّم بشكل سلبى إلى حد بعيد من جهة أخرى افتراضاً (نظرياً أو ايدلوجياً) ، يجب أن يصطدم نقله إلى كل حالة فردية محددة بشيئن : الأول وفى البداية بالقارئة نفسها أو القارئ نفسه الذى يضع تشكيله الاجتماعى والثقافى والتاريخى حداً للرغبة فى اللا التزام (أو بتعبير إيجابى : الحرية المطلقة) فى الفهم والإيضاح ، والثانى بصمود النص ، الذى لا يلقانا ببساطة بوصفه حشداً من العلامات مشكلاً أفقياً بصورة حتمية ، وإلا كان غير منظم ، بل يُقَيدً بوصفه بنية لغوية ذات بناء معقد ، متدرج " لعبة الدوال " من خلال هذا

البناء (الملازم لكل منطوق لغوى !) وبألفاظ أخرى أعم : لا يمكن أيضاً لقـراءة جمالية أى لجانب – الدال ، أدبية مقدمة إلى الصدارة أن تعقب الاستلزام البنـائى ولا الاجتماعى للغة (ويعنى هذا أيضاً : عقب شروط الفهم بين عدة أشخاص) .

ويمكن هنا فضلاً عن ذلك اللجوء إلى حجة المقابلة بالمثـل الكلاسـيكية والقول بأن : قراءة ملتزمة بتصور التناص أيضاً تُسوغ فى الخطاب النقدى بشكل جدلى . ويمكن بالنسبة لها أيضاً أن تدعى أن بها إلـى درجـة معينـة التزامـاً متجاوزاً للأفراد ، على الأقل مقبولة يمكن تحقيقها بين عدة أشخاص . ولا يمكن لحجج فى مثل هذا الخطاب أن تبدى دعوى صلاحيتها إلا من جـانبين : جانـب النص على الورق من جهة ، وجانب تناص القراء الخاص بزمن مـا (والخـاص باهتمامات ما أيضاً !) لا مهرب منه آخر الأمر من جهة أخرى .

وبعد فهذه هى النقطة المذكور الأخيرة التى تحتاج فى رأينا فى علم لغـة النص أيضاً ، وبخاصة بالنظر إلى التساؤلات فى علم لغة نصى تاريخى أو "تاريخ الاستعمال اللغوى" إلى درس نظرى أكثر تفصيلاً .

(هـ) لهجة باريس [٤٤]

يحيرنا بوصفنا لغويين متخصصين وبشراً أيضاً اسـتعمال مجـازى لافت النظر وموجود بشكل عام للقوة ، والسلطة ، والمـوت ، يختـرق خطـاب التناص بأكمله . وهو يبدو لنا غير مستقل عن المواقف النظرية ، ولا سيما مـا يختص بالعلاقة بين الفرد والمجتمع أو بين الفرد واللغة (انظر النقطة الثانية أيضاً فيما سبق) .

وهكذا يبدو الحديث عن ذوبان أو موت الذات – بدءاً من المؤلـف ، بـل والقارئ أيضاً – يستنبط أيضاً وبشكل مباشر من النظرة العميقة إلـى اجتماعيـة الفرد . [٤٥] وتبدو هذه الاجتماعية بدورها متجسدة بوجه خاص فى اللغة ، التـى يجب أن يخضع الفرد لنظامها الرمزى – هذه طريقة التعبير المختصة . وبدايـةً

---

(٤٤) ندين بهذه المصطلح إلى إسهام كونراد ايليش فى نقاش فى حلقة دراسية حول علـم لغـة النص فى مارس ١٩٩٦ فى هاله .

(٤٥) انظر عمل زوخسلاند (١٩٩٢ : ص ٣٥) الذى أحال إليه لا كان هنا .

يشكل " الدخول فى النظام الرمزى " للغة البشرَ بوصفهم ذواتا ، [٤٦] حيث يُلحق هذا المفهوم بوضوح باشتقاقه اللاتينى : subicere = unterwerfen =(خضوع) . [٤٧] ويطرح علينا السؤال الآتى : هل " لا يُضاف هنا إلى تساو خطير للشروط الاجتماعية الخاصة بقانونية الطبيعة (ومن ثم بمفهوم رولان بارت ١٩٦٤ ببناء الأساطير) ، لأنه ليس من مفهومنا عن الاجتماعية (التشَكُل الاجتماعى – وعلى نحو ما قرأنا " الواقعة الاجتماعية " لدى سوسير أيضاً – الخضوع المطلق لشروط لا يستطيع الفرد فى إطارها أن يغير شيئاً ، بل فى المقام الأول لديه جانب إمكانية التوافق ، ومن ثم القدرة على التغيير . ويندرج ضمن هذا فضلاً عن ذلك بشكل مستمر أيضاً إمكانية الاختيار ، أى حرية أن يختار بوعى أو بدون وعى من قائمة محددة بشكل مسلم به من الوسائل اللغوية – ولا تكون الطبيعة الاستراتيجية ولا المشخصة للحدث اللغوى محتملة دون هذه الإمكانية (وأحيانا أيضاً : الحتمية) للاختيار . نقول مرة أخرى : حين أتكلم فأنا لا أنطق اللغة (فحسب)– [٤٨] وحتى حين يتقدم دائماً النظام الرمزى للغة على الفرد بوصفه مكتسباً فى تكوين الكائن الحى ، فإنه بذلك ما يزال لم يقل شئ عن الشروط والإمكانات لنقل اللغة بشكل قصدى من خلال الفرد إلى الامتلاك وإلى الاستعمال ، وتغييرها على أية حال أيضاً .

وفى وقت متأخر فى هذا الموضع صب النقاش حول مفهوم التناص فى الخطاب النظرى الاجتماعى أو السياسى ، الذى لا نستطيع هنا وفى هذه اللحظة أن نديره ، ولكنه فى رأيى يجب أن يُدار . [٤٩]

---

(٤٦) زوخسلاند (١٩٩٢ : ص ٣٨)

(٤٧) زوخسلاند (١٩٩٢ : ص ٣٨)

(٤٨) زوخسلاند (١٩٩٢ : ص ٣٨)

(٤٩) يُحال هنا على سبيل المثال إلى ايجلتون (١٩٨٨ : ص ١٣٠ وما بعدها) .

المراجع

Antos, Gerd (1997): Texte als Konstitutionsformen von Wissen. Thesen zu einer evolutionstheoretischen Begründung der Textlinguistik. - In diesem Band. 43-64.

Antos, Gerd/Brinker, Klaus/Sager, Sven/Heinemann, Wolfgang (Hgg.) (in Vorbereitung): Text-und Gesprächslinguistik. Ein internationales Handbuch zeitgenössischer Forschung. - Berlin: de Gruyter (= HSK).

Barthes, Roland (1957/1964): Mythen des Alltags. - Frankfurt/M: Suhrkamp. 1964. [franz. Original „Mythologies" 1957].

- (1971/1980): From Work to Text. - In: Harari, Josue V. (ed.): Textual Strategies. Perspectives in Post-Structuralist Criticism (London: Methuen) 73-81 [franz. Original „De l'oeuvre au texte" 1971).

Beaugrande, Robert-A. de/Dressler, Wolfgang (1981): Intertexrualität. - In: dies.: Einführung in die Textlinguistik (Tübingen: Niemeyer) (= Konzepte der Sprach- und Literaturwissenschaft 28) 12f. und 188-215.

Biere, Bernd Ulrich (1991): Textverstehen und Textverständlichkeit. - Heidelberg: Groos (= Studienbibliographien Sprachwissenschaft 2).

Bierwisch, Manfred (1966): Strukturalismus. Geschichte, Probleme und Methoden. - In: Kursbuch 5/1966.

Brinker, Klaus (1993): Textlinguistik. - Heidelberg: Groos (= Studienbibliographien Sprachwissenschaft 7).,

Broich, Ulrich/Manfred Pfister (Hgg.) (1985): Intertextualität. Formen, Funktionen, angl. Fallstudien. - Tübingen: Niemeyer (= Konzepte der Sprach- und Literaturwissenschaft 35).

Brütting, Richard (1976): „écriture" und „texte". Die französische Literaturtheorie „nach dem Strukturalismus". Kritik traditioneller Positionen und Neuansätze. - Bonn: Bouvier (= Abhandlungen zur Kunst-, Musik- und Literaturwissenschaft 213).

Burger, Harald (1995): Medientexte als Intertexte". - In: unizürich. Magazin der Universität Zürich 4/1995, 15-17.

Busse, Dietrich (1992): Recht als Text. Linguistische Untersuchungen zur Arbeit mit Sprache in einer gesellschaftlichen Institution. - Tübingen: Niemeyer (= RGL 131).

Dahlerup, Pil (1991): Dekonstruktion. 90'ernes litteraturteori.- Kopenhagen: Gyldendal.

Derrida, Jacques (1967): De la grammatologie. - Paris: Minuit.

Ducrot, Oswald/Todorov, Tzvetan (1972): Dictionnaire encyclopedique des sciences du langage. -Paris: Seuil.
Eagleton. Terry (1988): Einführung in die Literaturtheorie. - Stuttgart: Metzler (= Sammlung Metzler 246).
Feilke, Helmuth (1994): Common sense-Kompetenz. Überlegungen zu einer Theorie des „sympathischen" und „natürlichen" Meinens und Verstehens.- Frankfurt/M.: Suhrkamp.
Fix, Ulla (1997): Kanon und Auflösung des Kanons. Typologische Intertextualität - ein „postmodernes" Stilmittel? Eine thesenhafte Darstellung. - In diesem Band, 99-110.
Foucault, Michel (1969/1988): Was ist ein Autor? - In: ders.: Schriften zur Literatur (Frankfurt/M.: Suhrkamp) [franz. Original „Qu'est-ce qu'un auteur?" 1969].
Genette, Gerard (1993): Palimpseste. Die Literatur auf zweiter Stufe.- Frankfurt/M.: Suhrkamp.
Heinemann, Wolfgang/Viehweger, Dieter (1991): Textlinguistik. Eine Einführung. - Tübingen: Niemeyer (= RGL 115).
Holthuis, Susanne (1993): Intertextualität. Aspekte einer rezeptionsorientierten Konzeption. Tübingen: Stauffenburg.
Jakobs, Eva-Maria (1991): Intertextualität und Wissen. - In: Feldbusch, Elisabeth (Hg.): Neue Fragen der Linguistik. Akten des 25. Ling. Koll. 1990, Bd. 2 (Tübingen) (= LA 271) 55-59.
- (1994): Intertextualität in der Printmedienwerbung. - In: Spillner. Bernd (Hg.): Fachkommunikation (Frankfurt/M.: Lang) (= forum Angewandte Linguistik 27). 1 88-1 89.
Kristeva, Julia (1967): Bakhtine, le mot, le dialogue et le roman. - In: Critique 239, 438-465. [deutsch: Bachtin, das Wort, der Dialog und der Roman. In: Ihwe. Jens (Hg.): Literaturwissenschaft und Linguistik. Ergebnisse und Perspektiven. Bd. 3 (Frankfurt/M: Athenäum) (~ Ars poetica Texte, Bd. 8/III) 1972. 345-375],
- (1968): Problemes de la structuration du texte. - In: Linguistique et litterature. Spezialnummer von La nouvelle critique, November 1968. 55-64. [Probleme der Textstrukturation. In: Ihwe. Jens (Hg.): Literaturwissenschaft und Linguistik. Ergebnisse und Perspektiven. Bd. II/2: Zur linguistischen Basis der Literaturwissenschaft, I (Frankfurt/M: Athenäum) (= Ars poetica Texte, Bd. 8/II/2) 1971,484-507].
- (1969): Semeiotike. Recherches pour une semanalyse.- Paris: Seuil.
- (1969/1981): Le langage, cet inconnu. Une Initiation a la linguistique. - Paris. [Erstausgabe 1969 unter dem Pseudonym ..Julia Joyaux" publiziert],
- (1 974): La re'volution du langage poetique. - Paris: Seuil.

Lachmann. Renate (1984): Ebenen des Intertextuaütätsbegriffs. - In: Stierle. Karlheinz / Warning, Rainer (Hgg.): Das Gespräch (München: Fink) (= Poetik und Hermeneutik 11) 133-138.
Lindhoff, Lena (1995): Einführung in die feministische Literaturtheorie. - Stuttgart/Weimar : Metzler.
Mai. Hans-Peter (1991): By passing Intertextuality. Hermeneutics. Textual Practice, Hypertext. - In: Plett (Hg.) 1991,30-59.
de Man. Paul (1988): Allegorien des Lesens. - Frankfurt/M: Suhrkamp.
Nussbaumer. Markus (1992): Was Texte sind und wie sie sein sollen. - Tübingen: Niemeyer (= RGL 119).
Pfister. Manfred (1985): Konzepte der Intertextualität. - In: Broich/Pfister (Hgg.) 1985. 1-30.
- (1991): How postmodern is intertextuality?- In: Plett (Hg.) 1991, 207-224.
Phillips, Gary A. (1991): Sign/Text/Différance. The contribution of intertextual theory to biblical criticism. - In: Plett (Hg.) 1991, 78-97.
Plett, Heinrich F. (1991): Intertextualities. - In: Plett (Hg.) 1991, 3-29.
- (Hg.) (1991): Intertextuality. - Berlin: de Gruyter (= RTT 15).
Püschel, Ulrich (1997): „Puzzle-Texte" - Bemerkungen zu einem Textbegriff. - In diesem Band. 27-42.
Sager, Sven (1995): Hypertext und Kontext. - In: Jakobs, Eva-Maria/Knorr, Dagmar/Molitor- Lübbert, Sylvie (Hgg.): Wissenschaftliche Textproduktion. Mit und ohne Computer (Frankfurt/M.: Lang) 209-226.
- (1995): Intertextualität und Interaktivität von Hypertexten. Referat auf der GAL-Jahrestagung 1995 in Kassel.
Starobinski, Jean (1980): Wörter unter Wörtern. Die Anagramme von Ferdinand de Saussure. - Frankfurt/M. etc.
Stierle, Karlheinz (1984); Werk und Intertextualität. - In: Stierle, Karlheinz/Warning. Rainer (Hgg.): Das Gespräch (München: Fink) (= Poetik und Hermeneutik 11) 139-150.
Still, Judith/Worton, Michael (1992): Introduction. - In: dies. (Hgg.): Intertextuality. Theories and practices (Manchester/New York: Manchester University Press) 1-44.
Suchsland, Inge (1992): Julia Kristeva zur Einführung.- Hamburg: Junius.

هايكه تيتس (هالّه)

مستقبل علم لغة النص (*)
ملحوظات موجزة حول نقاش

فى نهاية مؤتمر لثلاثة أيام حول " مستقبل علم لغة النص " أُقِيم نقاش بدأ على المنصة (بكلاوس برينكر ، وكارل ديتر بوننتنج ، وكونراد ايليش ، وفولفجانج هاينه مان ، وهورست زيتا ، وبرنارد سوينسكى) ، ولكن سرعان ما امتد أيضاً إلى جلسة كاملة . وينبغى هنا أن يُضطّلع بتناول بعض جوانب النقاش الذى تفرع من جهة الموضوع ، ثم مناقشتها بالنظر إلى تحديد وضع على لغة النص ووجهته .

١ـ بعض خصائص عامة لعلم لغة النص الحديث

يبدو أن الأمر فى علم لغة النص يتعلق فى الفهم الذاتى للغويات واللغويين بمجال محدد بوضوح بدرجة أكثر أو أقل بحدود واضحة المعالم مع مجالات مجاورة . وفى الواقع يُعد التنوع الموضوعى للمقالات وتباين طرائقها المنهجية مع ذلك دليلاً على أن تساؤلات وأشكالاً من اختصاصات متداخلة وأشكالاً لمناقشة موضوع النص تلَقَى قبولاً متزايداً . ويثبت الاشتراك فى خطابات علمية غير لغوية حول موضوعات متعلقة بالنص بأنه مثمر للغاية ومثير ، ويدخل فى هذه الأثناء ضمن بديهات مناقشة علمية ، على نحو ما بُرْهِن على ذلك بشكل مقنع فى بعض الإسهامات .

وبناء على ذلك لا يتحرك علم لغة النص فى الوقت الحاضر بأية حال من الأحوال فى سياق برادجماتى (**) ضيق ، بل يتسم بجهود اندماج لغوية داخلية ، واستعمال مجاوز لفرع علمى .

(*) عنوان المقالة هو :
(مستقبل علم لغة النص)
Heike Tietz (Halle)
Die Zukunft der Texlinguistik
من ص ٢٢٣ : ٢٣٠ من الكتاب السابق ZTL .

(**) اضطرت هنا لاستعمال لفظ معرب للصفة paradigmatisch ، لأن المؤلفة تقصد معنى خلاف ما شاع بجدولى أو استبدالى أو رأسى أو تصريفى .... الخ ، ألا وهو الانحصار أو ضيق المجال أو الأفق فى رأيى .

ولكن هل ما يزال يوجد فى هذا الإطار المفتوح والممتد الاستقلال أصلاً لعلم لغة النص ؟ ليس من المستغرب حين يُتَساءل بصورة استفزازية عن المواقف تجاه علم لغة النص ، التى تعد بديهية ، وفروض تطوره بوصفه فرعاً علمياً ، حتى يمكن نتيجة لذلك إقامة (تقديم) تأكيدات جديدة بالنسبة لتحديد موضوع هذا الفرع العلمى وبناء نظريته ومنهجيته . ما معنى حقيقةً أنه لا يوجد فى ألمانيا كرسى تدريس وحيد خاصةً لعلم لغة النص ، وأنه فى المراجع المتخصصة الكلام فى الواقع عن اتجاه براجماتى وإدراكى وليس عن اتجاه لغوى نصى ، وأن علم لغة النص فى الوقت الحاضر أو بوجه عام ليس سوى كما يقال، مرحلة انتقالية فى تطور علم اللغة كانت ضرورية لرفع ظاهرة النص فوق عتبة وعى اللغويين ؟ هل نواجه " نموذج انطلاق " ، يظهر فى الوقت الحاضر فى تيارات أخرى أم أن علم لغة النص علم مستقل فعلاً ذو مهام بحثية مميزة ، لا يمكن التخلى عنها بالنسبة للتطور اللاحق لعلم اللغة ، ومنظورات مناسبة داخل هذا العلم (ڤولفانج هاينه مان) [1] ؟

ويجد المرء إجابة عن هذين السؤالين ، حين يعى خاصية تميز علم لغة النص عن علوم أخرى : فلا تنجم حيوية علم لغة النص عن رفضه وعناده ، بل عن انفتاحه على مجالات عمل علمية أخرى . فعلى النقيض من مجالات أخرى (مثل علم الأصوات) يُفهَم علم لغة النص – على نحو مماثل للأسلوبية – بأنه علم غير مؤسَّسى ، يستقى تساؤلاته بناءً على وجود موضوعاته فى كل مكان من كل المجالات المُتَصوَّرة . وبذلك يعقب علم لغة النص تطوراً يزيد على الحدود المتخصصة التى تنشئ النماذج لدى سوسير ، تطوراً لا يختص بالعلوم الإنسانية فحسب ، بل بالعلوم الطبيعية أيضاً . إنها مغايرة أى الأهداف العملية التى تؤدى إلى عقد ائتلافات علمية دينامية شديدة القوة ، وقابلة للتغير على نحو بالغ الشدة، لا توجد إلا فى وقت محدد . وسواء أحُدِّد ذلك بأنه علم لغة النص أم علم النص

فهذا ليس هو الأساس . المسألة هى لعل توجد هذه العلاقات فى العمل ، وهل يمكن أن يتحول فى الحدث العلمى تحديداً (كونراد ايليش) . وانطلاقاً من قوة

---

(١) يتعلق ذكر الأسماء بالإسهامات فى النقاش فى أثناء محادثة المائدة المستديرة .

محركة نحوية نصية من قبل يتحدد علم لغة النص – مثل بحث الكتابة أو تحليل الخطاب أيضاً على سبيل المثال– بشكل متزايد عبر تساؤلات تنتج عن متطلبات مجالات متنوعة وحاجاتها ، وعن التطبيق (الواقع العملى) أيضاً ، وليس عن تبعية " مطالب " محددة بشكل ثابت .

٢ـ أفكار حول مفهوم النص

تتجلى إحدى نتائج صور التركيز شديدة التابين للموضوعات وطرائق المعالجة المنهجية المميزة فى كل منها التى بدت متميزة فى النقاش المتجاوز حدود الإسهامات الفردية ، فى التحلق حول مفهوم مناسب للنص ، يُلائم الموضوع المعقد ، وكذلك الاهتمامات البحثية المختصة . ويبين هذا الهدف معضلة علم لغة النص : ففى إطار فهم متجاوز للنماذج يُوصَى بأساس موحد ومفهوم ملزم فى الطرائق على الأقل .

ومع ذلك ففى أعمال بحثية محددة تثبت مفاهيم (تعريفات ؟) مميزة للنص، تبرز أو تعزل أحياناً مكونات محددة للموضوع ، النص ، على أنه مفيد إلى حد بعيد.ولكن فى مقابل ذلك تهمل أعمال أخرى ذلك .

وعُنِى هذا الجانب الأخير بوجه خاص بنقاش واسع وأحياناً حاد جداً ، أدى إلى اضطراب الفهم السابق ، ويظهر علم لغة النص ، مقارنة بالأسلوب ، بمفهوميته Begrifflichkeit الثابتة بوضوح ، ومجموعة أدواته Instrumentarium الممكن تثبيتها نسبياً ، بصورة جوهرية أكثر سداداً فى تحليلاته وتساؤلاته ونتائجه (برنارد سوينسكى) .

ويعد علم لغة النص حتى الآن تابعاً إلى حد بعيد للاستعمال الفنى (غير العادى) للنص Metaphorik أكثر من كونه مرتبطاً به ، وقد عرف هذا المفهوم الأصلى للنص استقبالاً واسعاً ، ويوضح كيف يمكن أن تكون المجازات معينة وقادرة على تطوير فرع علمى . ولكن لا يجوز أن يعنى هذا أن توضع التشكيلات المجازية وصور القياس موضوع معرفة (خبرة) محددة بالموضوع ، وأن تظهر كأنها معرفة بالموضوع من قبل (كونراد ايليش) .

وفى موضوع آخر يوضع مفهوم النص بوجه عام موضع تساؤل ، حين يشار بالنظر إلى المتلقين إلى أن أى نص ينشأ من جديد لدى كل قارئ تقريباً . غير أن هذه المشكلة تصير نسبية مع قلب هذا التساؤل ، حين يسأل عن أسباب ما يأتى : لماذا برغم أن كلٍّ أو كثيراً جداً من المتلقين يفهم النص ذاته على نحو مشابه لا يكون الحديث إذن عن ذوبان للنص ، ومن ثم لمفهوم النص (فولفديتريش هارتونج) .

بيد أن هذه الأسئلة يجب أن تمضى مع أفكار جديدة أساسية حول طبيعة مفهوم للنص مناسب لتلك الحاجات . ففى تاريخ علم اللغة وعلم لغة النص قُدِّمت محاولات كثيرة كهذه وجهود مكثفة . ولكن إذا أراد المرء أن يتعرض لموضوع تحديدات محدودة فإنه يجب أن يتوصل إلى شكل من أشكال الفهم ، تُفحَص فيه الطرائق الحالية لتأسيس مفهوم للنص بشكل نقدى ، وعلى نحو أكثر إفادة فى الاشتغال المحدد فى النصوص ومعها ، وليس من خلال تحديدات مجددة (كونراد ايليش) .

وفى ذلك يُدرك مفهوم النص على نحو متعلق بذلك الاهتمام والموضوع البحثى فى إطار علامات مختلفة . ويمكن فى المناقشة أن يُتحقق من بعض هذه الجوانب والمنظورات إلى النص .

١- **جانب نقل المعرفة** . مع دعوى عرض عمليات مرتبطة بالنص على نحو ملائم للتفسير، وليس ملائماً للوصف فقط تتحرك جوانب امتلاك المعرفة وإعادتها، والاكتساب اللغوى إلى المرتبة الثانية والثالثة ، وكذلك إنتاج النص وتلقيه إلى القلب . الهدف تصور أنها فى الإمكان إعادة بناء هذه العمليات وتقديمها مرتبطة بنظرية للنص (جيسبرت كسلنج).

٢- **جانب الشكل** . لا يمكن أن تدرك النصوص فى جموحها من الناحية المنهجية فى ظل تعقدها التام حين تختزل فى جوانب فردية مكررة . فإذا أرد المرء أن يقتنع بها فيجب أن يدرك على سبيل المثال قدر المستطاع جوانب مختلفة كثيرة لشكلها، وأن يناقش مفهوم الشكل ومفهوم مادة النص . ولا يجوز أن يُحَد

المنظور الشكلى كثيراً بتحليلات لغوية ، نحوية – دلالية معروفة ، بل يجب أن يُوَسَّع من ظواهر أدائية عبر أشكال معينة للفعل إلى أشكال تنظيم المعرفة مثلاً فى النص . ويجب أن تلقى أشكال مرئية ، تؤدى دوراً كبيراً فى النصوص ، والسؤال ما وسيط النص وما تأثير وسائط (وسائل) جديدة على إنتاج النصوص وتلقيها اهتماماً أكثر من العلم . وبناءً على ذلك يستطيع المرء إذن فى إطار تضمن نقاش جدلى أن نتوجه إلى مسائل التشكيل والإعادة وامتلاك هذه الأشكال وإعادة استخدامها بشروط اجتماعية متغيرة (جيرد أنتوس وكريستوف زور).

وتحت شعار " تقنية تقوية الذاكرة الثقافية " تدرك النصوص فى علم الأدب الحديث أخيراً بأنها مواضع الذاكرة الثقافية ، وارتباطاً بذلك بالنظر إلى النصوص انطلاقاً من منظور لغوى بوصفها مواضع تمثيل مميز على أنها مضامين معرفية مميزة للغاية (أنجليكا لينكه) .

٣- **مجال النص وتكوينه** . انطلاقاً بين تضمين براجماتى واضح للنصوص فى مجالات استخدام محددة تُفهم النصوص وتُتَحصل عبر سياقات (علاقات) الفعل، وتخصيصات الوظيفة ومقاصد التأثير . وتُوَضَّح تعميمات ، متجاوزة النص المفرد ، حول العلامات النمطية الأصلية للنص والنصية . وتُجْعَل قابلة للتحقق منها بالنسبة لعملية التعليم والتعليم . وفى تلاق مع نصوص محددة فى مجالاتها النصية المختصة ، تُحَوِل إلى موضوعات مشكلات مثل المركز والهامش والشفاهية والكتابية ، وكذلك المناسبة (كارل ديتر بوننتج ، وهورست زيتا) .

وبعد أن وُضِّح مفهوم تشكيل النص فى البداية بأنه مسألة نحوية أو دلالية أو جدلية. أدَّت بصورة متزايدة جوانب براجماتية ومتعلقة بنظرية الفعل بوجه خاص ، جوانب إنتاج النص وتلقيه دوراً . ووُجِد فيما يتعلق بتلقى النص السؤال : ما العوامل التى يُوجَّه من خلالها الفهم الوظيفى للنص ، فهم المعنى . وتبدو الإحالة أساساً مشتركاً ، يمكن انطلاقاً منه أن تُستعمل مفاهيم منظورية متباينة للنص . وهكذا يجب أن يكون فى إمكان مفهوم موحد للنص بناء الإطار

النظرى لتحليلات بمفهوم مادية النص ولإعادة بناء خصائص للنصوص ، ليست ملموسة مادياً ، مثل صياغتها المميزة وتضمينها البراجماتى وتنظيمها . وبذلك يصير – على الجانب الآخر من تعريفات فردية للنص – الجهد المشترك من أجل نظرية جديدة للنص أكثر من حتمى (كونراد ايليش) .

٣ـ تضمين علم لغة النص فى سياقات عليا

يرتبط بتأملات فى الصورة ذاتها لعلم لغة النص وتحديد مكانه استعادة وعى قوى فى دائرة تأثير عملية ومباشرة لعلم لغة النص بأهداف اجتماعية ، عليا مع الاشتغال العلمى بأوجه طرح مشكلات لغوية نصية . ويشكل المصاعب فى ذلك التوجه إلى مسائل اكتساب اللغة فى مرتبة الاستعمال المختلف للنصوص، والمطالبة المرتبطة بذلك بالقابلية التعليمية لمعارف لغوية (نصية) ، وليس أخيراً الجهود لتأهيل الدراسين فى إطار تعديل فى التعليم العالى للكتابة العلمية .

وهكذا تتزايد أصوات مرتفعة تدافع عن إدراك أقوى لتساؤلات اجتماعية وحاجات عملية للمعيارية ، وتطالب بمعارف قابلة للتعليم غير عمليات عقلية لإنتاج النص وتلقيه . فالعلم ليس آخر الأمر إلا نوعاً من مركب إجابات عن أسئلة البشر وحاجاته التى تتطور فى اتجاه محدد . الفيصل بقدر أقل هو هل تطور علم لغة النص أم لا ، بله الفيصل إنما هو هل يستطيع العلم أن يستجيب أيضاً لاهتمامات اجتماعية وعامة .

ويوجد فى التعليم وغيره تأكيدٌ مهم ومطابق لذلك لبعض الإسهامات ، ذو تأثير إيجابى بأن علم لغة النص لم يعد يتورع عن أن يصدر أحكاماً معيارية إلى جانب أحكام وصفية يُوصَف بها ، وأن يدلى بتوصيات (هورست زتيا) .

بالنظر إلى التعليم العالى يوصى بدمج تلقين (أكثر شمولاً) للكتابة العلمية فى شروط إنتاج النص الحديثة . فالطالبات والطلاب يجب أن يؤهلوا من خلال تعليمهم أيضاً لأن يكتبوا كتابة علمية فى فترة متأخرة ، ضمن الشروط المعاصرة للدراسة (مع مواقف صعبة للمكتبات وقواعد مرجعية كثيرة) وفى إطار استفادة

فاعلة قدر المستطاع من عروض الاتصال الحديثة (الحاسوب ، وشبكة المعلومات الدولية وبنوك المعلومات) (كارل ديتر بونتينج) .

إن لعلم لغة النص مستقبلاً ، حين تجد موضوعاته المعرفية ، أى النصوص ، انعكاساً ودرساً اجتماعيين . هنا يكون لعلم لغة النص وثاقة صلته الاجتماعية . غير أنه لا يستطيع أن يؤدى هذه المهمة إلا حين تؤسس تحليلاته الموضوعية وغيرها تأسيساً أفضل ، أى تُقوى بشدة تجريبيته Empirizität حين يتسنى له أن يدخل فى الحديث العلوم المختلفة المتعلقة بالنص بعضها مع بعض ، وحين يقوى جعل الموضوع التساؤل العادى الذى يعد النص بالنسبة له ظاهرة نمطية أصلية ، ولكنها ليست الوحيدة .

إن النصوص تحتاج إلى أن تُنشأ ، وإنشاء النص يقتضى أن يُتعلَّم ، ونشهد فى الوقت الحاضر فى الجامعات نتائج نقص (ضعف) تقويم هذه الإشكالية. هنا لعلم لغة النص مهمة مباشرة للغاية سواء فى البحث أو فى التعليم العالى ، ربما تشتمل أيضاً ، بالنسبة للموقف فى ألمانيا على تضمينات خاصة بسياسة التعليم . وينبغى على سبيل المثال أن ترتبط بذلك طموحات للوصول إلى أشكال تعاون جديدة بين المدرسة والجامعة . هنا توجد مهمة اجتماعية ذات قوة انفجار ضخمة، ومتزايدة أيضاً ، وذلك بمعنى كفاءة ديمقراطية لاشتراك كثيرين قدر المستطاع فى عمليات اتخاذ قرار اجتماعية . هذه التساؤلات مع نتائجها بعيدة المدى لم تؤخذ فى الاعتبار حتى الآن فى التعليم إلا بالكاد أو فى سياقات أخرى فقط (كونراد ايليش) .

٤ـ موجز

وفى الختام ينبغى أن يضطلع بمحاولة بيان طرق ممكنة فى صورة أشبه بالعناوين واتجاهات متميزة وقدرة لم تُستنفد بعد على الاشتغال بالموضوع ، النص :

* تقرير (فرض) بحث الأسس اللغوية النصية وتطوير نظرية للنص
  - تضمين جوانب براجماتية وإداركية مجاوزة
  - إنجاز متعلق بتحليل الفعل لنظرية العلامات بمنظور نظرية النص

- علاقة نظرية النص بنظرية (لتمثيل ونقل) المعرفة
- إقامة نموذج إطار بمراعاة المستويات المختلفة للنص والنصية
- علاقة بين مادية النص وعمليات إدراكية لإنتاج النص / وتلقيه
- جهود لإعادة بناء وظيفي – موحد لتكوين النص فى أثناء عملية الفهم
- إعادة بناء الاكتساب اللغوى فى مرتبة استعمال النصوص

* حوافز جديدة فى النقاش حول مفهوم للنص
- مناقشة نقدية لمفاهيم للنص تقليدية ومحفزة من ناحية اللغة اليومية
- تجنب محاولات تعريف مختزلة لا تناسب ظاهرة النص
- توجه بعيد المدى إلى ما هو مميز فى علم لغة النص مع نظرة نقدية إلى صعوبات تطور هذا العلم (نحو النص ، والبراجماتية)
- النص فى تشكيله على المستويات المتباينة ، وتنظيم هذه الأشكال
- بحث تعريفات منظورية للنص مرتبط بموضوع البحث المختص والأهداف المحددة (جوانب الإنتاج والتلقى ، والفهم ، ومشكلات تحليل النص ...الخ)
- طرق استقرائية لاستنتاج سمات نمطية أصلية للنص على أساس تحليلات وظيفية للنص
- تضمين إنتاج النص فى سياقات (علاقات) الفعل (دور المقاصد ، ومجالات الاتصال ، وأنواع النص / نماذج النص ، والاستراتيجيات ، ونماذج الصياغة)

* إشكالية أنواع النصوص
- بحوث حول علاقة أنواع النص (النصوص) بنماذج النص (النصوص)
- وصف مجالات محورية للنص وأنواعها النصية الأساسية من منظور خاص بنظرية الفعل .
- مزيد من الجهود حول تفسير تجريبى لمخططات كلية لأنواع النصوص

* وثاقة صلة اجتماعية لعلم لغة النص
- الكشف عن حاجات عملية واجتماعية فى استعمال النصوص والاستجابة القوية لها

- الاشتراك فى عمليات اجتماعية لامتلاك القدرات والمعرفة واستعمالها فى إنتاج النص وتلقيه
- ربط البحث اللغوى النصى بعمليات التعليم والتعلم
- مناقشة جوانب معيارية لعلم لغة النص
- تضمين أفكار تعليمية وخاصة بالتعليم العالى فى تصورات مشكلات التأهيل للكتابة (العلمية فى المدرسة والمدرسة العليا (المعهد))
- تضمين شروط إنتاج حديثة ووسائط (وسائل) جديدة فى التعليم والبحث
- البحث عن أشكال تعاون جديدة بين المدرسة والمعهد (/ الجامعة)

زدنيك هلافسا (براغ)

نحوَ تعريف للنص (*)

تشتمل نظرية ملائمة للنص بوضوح على ملحوظات تتعلق بجوانب مختلفة للاتصال الاجتماعي . ولكن من الضرورى قبل أى شيء لاختيار المشكلات الأكثر صلة ولاكتشاف تدرجها إيضاحُ المفهوم المحدد للنص . فإذا وجب أن يصير ذلك موضوعَ بحث لغوى حقاً ، فإنه يجب أن يجرد من كل خواص متغيرة وعَرَضية ، ويُتَصوَّر بوصفة ظاهرة نظامية " نمط النص " الذى يُنجز فى "منطوقات خاصة للنص " ، بشكل مختلف على نحو ما تكون صور الانجاز هذه ، فهى مقولبة (متخذة نمطاً) وفقاً لمبدأ معين غير متغير .

ومن الواضح أن البحث عن مستوى " مميز " للنصوص مسالة شاقة . وبالإضافة إلى أنه ربما كانت الحاجة إلى تنميط نظامى طموحة الغاية إلى أن تكون ملائمة بمراعاة كل المتواليات التى تُعرَف بوجه عام بالنصوص . فثمة متواليات كثيرة لوحدات لغوية مغلفة فقط بتعريفات ، مثل " النص – هو شكل ومادة شئ ما مكتوباً أو منطوقاً (معجم وبستر، نشر سنة ١٩٦٩) . ومع ذلك فهى فقط تلك التى تُحسب ، فعلى سبيل المثال " نصوص " جويس لا تستطيع أن تقوم بنقطة بداية لوصف شامل لكفاءة " مبدعة- لنص " مشتركة لمتحدثى لغة محددة.(١)

بيد أنه حتى إذا قيلت فكرة " النص بناء مجرد " فإنه ليس واضحا إلى حد بعيد ما الذى ينبغى أن يعد مبدأه المنظم . هناك على الأقل تصوران مختلفان

(*) عنوان المقالة هو : Zdeněk Hlavsa (Praha)
Towards a defintion of a Text pp.41 -45
من الكتاب السابق ذكره (PTG) الجزء الأول .

(١) غالباً ما يطالب بأن المتوالية توصف بأنها نص على أساس معايير غير لغوية – انظر بتوفى (١٩٧١) ودايك (١٩٧٢) .ويعد هاوزنبلاس (١٩٦٤) بوضوح المصطلح غامضاً بشكل كاف للتحرر من تبنيه بمعنى متخصص ، أى أن هذا مسار واحد فى تطور الخطاب .

تماماً يمكن أن يُسجلا : الأول يغزو مثل هذه القوة إلى علاقات تركيبيــة عليــا ، والآخر إلى وحدة المقصد الاتصالى . ووفقا للأول النص هو متولية متماسكة من الجمل وفى التصور الأخر هو برغم ذلك وحدة مكملة باعتبار وظيفتــه خاصــة ، ونتيجة لذلك يقف مستقلاً عن النحو رأى صارم sensu stricto (ربمــا كُــوِّن النص من جملة مفردة ، أى إن " الجملية " و " النصية " خاصــيتان لمســتويات مختلفة) . ويمكن بالكاد أن يفضيا إلى تعريف تناغم فقط إذا ما لم يتضاد جانبان لظاهرة مفردة : ففى المتقدم يُركِّز على البناء الداخلى ، وفى المتأخر يؤكد على " الصغر والتمام " . وبالإضافة إلى ذلك فإن كلا الجانبين متشابك داخلياً (برغم أنهم غير متكافئين) : فالعلامات الداخلية تكون كليات تامة لامتــدادات مختلفــة ، ولا يمكن إن ينفصل التمام عن الربط النحوى cohesion ، أو حتى يوجــد بدونــه. ولهذا السبب يُتَطلع إلى نهج توفيقى (وسط). ويبدو أنه يَعِــد بتعريــف أكثــر صراحة ومطاوعة فى الوقت نفسه " لنصوص منمطة " .

إن مفهومه المحورى هو فيما يتعلق بشرط الاستقلال : فإذا قدمت جملة S بوصفها وحدة ممكنة للغة ما فإنها قادرة إما للتعبير عن معلومة مستقلة أو تؤدى وظيفة على هذا النحو بشرط أن تُنفذ قائمــة مــن الشــرط ش١ ، ... ، ش ن . (وينبغى أن يُلفت النظر إلى أن شرط المعلومة المستقلة يجب ألا يكون متماثلاً مع القبول) . فمن بين الجمل الآتية ربما تعد الجمل ١و٤و٦و٩ فقط مســتقلة بهــذا المعنى .

(١) الكلام (*) سمة مألوفة للحياة اليومية حتى أننا نادرًا ما نتردد فى تعريفه.

(٢) يبدو كأنه طبييعى للمرء مثل السير.

(٣) وبعد فثمة حاجة إلى تفكير للحظة لإقناعنا بأن هذه طبيعة ، ولكنها واقع مضلل .

(٤) عملية اكتساب الكلام أمر مختلف تماما عن عملية تعلم المشى .

(٥) فى حالة الوظيفة الأخيرة ، الثقافة لم تجلب بشكل جاد للعب .

(*) وضعت خطاً تحت الوحدتين الدلالتين المحوريتن فى هذه المتوالية ، حتى يمكن للقارئ فهم التحليل الذى سيعقب هذه الجمل . (المترجم)

(٦) الكائن الحى الطبيعى مُقَدرٌ له أن يمشى ، ليس لأن الأسن منه يريدون أن يساعدوه ليتعلم الطريقة ، بل لأن تكوينه العضوى مُعَد منذ المولد ليستخدم كل تلك المعطيات من طاقة عصبية وتكيف عضلى مما يقضى على المشى .

(٧) لتضع هذا باختصار ، المشى وظيفة بيولوجية متأصلة للإنسان .

(٨) ليست هذه لغة .

(٩) حقًا أنه بمعنى معين الفرد مُقَدرٌ له ، ولكن ذلك يرجع إلى الظرف الذى ولد فيه فى كنف مجتمع من المؤكد إن يقوده إلى تقليده .[٢]

وتتوافق الشروط مع قيود متعددة الأشكال ذات طبيعة (أساسية خاصة) لغوية وغير لغوية (ولا شك أنها توضح بعض حالات متاخمة للقبول أيضا) .

وفى قائمة ش يمكن أن تكون قائمة فرعية شَف متطابقة : فهى تحصر شروطًا يمكن أن تنفذها الجمل S^c مضافة ، مثل الجملة المعطاة S سابقة و/ أو لاحقة . بهذه الطريقة من الممكن أن يُعرِّف النص بأنه مجموعة من الجمل منظمة أفقياً ، شروطها الفرعية C^t الخاصة بها – أيا ما كانت – متضمنة داخل هذه المتوالية (كجملة ليست مرتبطة (متحدة) بأى شرط فرعى C^t أو كمتوالية من جمل ، وكل الجمل S^c الخاصة بها) . ولهذا السبب خاصية النص المنمط ألا تُعزى للمتواليات ١-٩ فقط ، بفضل عمل سابير الخلاق (مع تكييف بسيط للمؤلف الحالى) ، ولكن – بفضل الخواص التركيبية للجمل المنظمة – للمتواليات الأخرى، على سبيل المثال ٤-٥-٦-٧، ٦-٨-٩ ، ١-٢-٣-٩، و ١-٢-٣-٤-٦، لأغلب المتواليات الناتجة عن إقصاء متكرر للجملة الأخيرة فى المتواليات المذكورة ... الخ . يعتمد الأمر كليةً على النظرية المختارة التى يعد من شروطها

(٢) أسهم ك.ى. هايدولف بصورة ملائمة للغاية فى المشكلة بالإشارة إلى أنه مع تركيز عال على الاكتساب فإن الجملة الرابعة لاتقدم معلومة مستقلة . ومن المحتمل أن يستخدم الأمر ذاته فى كل الحالات حيث يوجد نوع من التنغيم . " وضع كلمة فى تضاد " . بالتناقض تكون علاقة بمشترك آخر مفترضة . هذا العنصر لايمكن أن يُتضمن فى الجملة ذاتها لأن العلاقة تقابل خطى منسوب التنغيم . وهكذا ينتج الشرط C^t عن تنغيم متقابل .

C[1] الشرط النحوى أو اللغوي بأية حال . وتبعا لذلك يجب أن تعد النصوص " منمطة " .

ومن البديهى ، مع ذلك أن تُقصَى شروط تمنع من تعميم الوصف ، مثل شروط يمكن تنفيذها بكلمات مفردة فقط . فإذا اختيرت معان معجمية لتكون أداة وصفية خالصة ، فإنه يجب أن تصاغ على الأقل فى مصطلحات مكونات دلالية..إلخ . وفى الداخل يقبل الإطار عادة بالنسبة للمكون الدلالى للنحو ، ويُطور التجريد إلى حد ما إلى وظائف دلالية عامة للغاية مثل الفاعل ، والملكية.. الخ. فمن مقصد المؤلف أن يبين أنه فى مثل مستوى التعميم تظهر الشروط الفرعية بشكل واسع إذا صيغت الأدوات الواصفة بوضوح (٣)

وعادة ما تربط الشروط الفرعية بأجزاء خاصة من الجملة المعطاة ، مثل : بعد ، الوظيفة الأخيرة ، لتضع هذا باختصار . ومع ذلك فعناصر الجمل المرافقة بالوسائل التى تنفذ بها أكثر اختلافاً : فهى كلمة واحدة (هى (هو) فى ٢ مرتبطة بهذه الطريقة بـ (كلام) فى ١ ، ووظيفة فى ٥ بالمشى فى ٤) وعبارة (جزء من جملة) (الشرط مرتبط بهذه الطبيعة) تنفيذ بـ " يبدو .. طبيعياً للمرء " ، وجزاءان من جملة (بعد فى ٣ تُنفذ بـ (١-) ٢-٣) . ويعد تفسير علاقة ج – ج م فى مستوى أكثر تجريدا مع ذلك أكثر نظامية . فهو يشمل بوجه خاص على مادة إحالية . وفى الحالات الأكثر بساطة يحتاج إلى تحديد إحالى للمتغيرات : فإذا أدرج فى موضوع متغير ما ضمير مثل (هو (هى)) فإنه يحتاج إلى وضع شرط فرعى يكون به تحديد إحالى بين (هو (هى)) ومتغير الجملة الفرعية ، معاً مع نظام الجملة الفرعية ملزماً ، بل ربما تربط هذه العلاقة عناصر أكثر تعقيداً . فإذا استُخدم متغير (هذه الطبيعة) (أو تشكيل أكثر عمومية هذه) ، فأنه يُحتاج كشرط فرعى إلى بنية دلالية محددة إحالياً س خ ص (س لها خاصية ص) فى جملة سابقة . وتمثل السياق (١-) ٢ وربطها بـ ٤ علاقة ما تزال شديدة التعقيد ، بل قابلة للتفسير . وفى الجملة ٢ قيل الكلام والسير ليكونا متطابقين مع اعتبار

---

(٣) فى المنهج الذى استخدم فيه مفهوم " صياغة دلالية " ، ووسعت كنمط دلالى إلى الجمل انظر : دانش – هلافسا – كورنسكى (١٩٧٣) .

للشكلانية : فالتحليل المفتــرض هــو ى م ع (س١ خ ص١) ٨ (س٢ خ ص٢)[٤] ولكن الجملة ٢ متبوعة بـ ٤ ، حيث يُرفض فيها بوضوح تحديـد إحــالى لـــ (ص١≠ ص٢) . وتشكل هذه المتوالية نصاً فقط بفضل بعد فى ٣ ، بالعلاقة (١-) ٢ بـ ٤ ، وتنفيذ الشرط الفرعى C^t مترابطاً بـ (بعد) . حتى علاقة وظيفة بـــ سير يمكن أن توضح بتحديد تحليلها بإجراء PROCESS .

وفى " شروط الاستقلال " تؤدى دوراً كبيراً مؤشرات إحالية تشـير إلـى الزمن المحال إليه . ومن المحتمل أن تقضى بنظامٍ للجمل . وربما يُقرر تحديد احالى بعض قيود تفترضها بقية الموضوع – الحديث ، بالاشتراك مع سمة دلالة (±محدد)، عادة ما تُعزى إلى الأسماء ، أيضاً . فإذا عُيِّنَـت هـذه العلاقــة بـين العنصرين ج د ، و ج ز ، فإن المتواليــة تكـون نصــاً ، فقــط إذا كانــت ج ز [محددة+].

ومن جهة أخرى توجد مشكلات ، لا يستطيع المنهج المفترض (وربما اى منهج آخر قائم على معايير أكثر صرامة) أن يفسرها . وهى على سبيل المثــال "السلوك غير المنمط " للمتكلم نفسه : لاحظ أن س ١ (الكلام) ، و س٢ (السير) غير متطابقين مع متغيرات موازية فى ٤ (الحاجة إلى الكلام ، تعلم المشــى) ، ولكن المتكلم يعاملهما كأنهما متطابقان . ويرجع عيب المنهج فى هذه الحال إلــى حقيقة أنه فى وصف علاقات إحالية توضع فى الاعتبار المطابقة فى مقابل عــدم المطابقة ، ولكن فى تكوين متواليات تفهم عادة على أنها نصوص ، ربما تظهــر علاقات أخرى بوضوح . والمثال المقدم إذا نُظر إليه من جهة بنائه ليست نصاً ، أما من جهة كفاءة المتكلم فهو ما يزال نصاً . وعلى العكس من ذلك تدرك بعض متواليات بوجه عام بوصفها ليست نصوصاً دون وجــود دليــل داخــل المــنهج المفترض ، مثل المتوالية ١-٢-٦-٧ . وربما يطالب المرء بأنه بالنسبة لـــ ٧ الشرط الفرعى C^t سار حيث يمكن أن يُنفذ بأى امتداد متوقع للسياق المتقــدم ، ولكن ما الطول المتوقع حقيقةً ؟ فالموضوع المعين فى ١ (الكلام) متروك ، ومع ذلك فالقاعدة المنتهكة نحوية بالكاد .

---

(٤) " يأخذ مالك التوجه العقلى (م٤) ى كلاً من س أو س ٢ ، وله الخاصية صٍ١.

ويُعد تأثير المنهج قائما على افتراض أنه بالنسبة لأية جملة من الممكــن أن تُقرر شروط يمكن وفقاً لها أن تقوم بوظيفة وحدة اتصالية مستقلة . ولشــد مــا يتردد أنه من المعتاد أن يُنجز ذلك لأن الجملة بوصفها وحدة محتملة للغة نادراً ما تكون مختلفة عن شرطها الفرعى . وربما نقول إنها تتضمن برعماً لوحدات أعلى تربط بها . وتكون الشروط وثيقة الصلة متضامةً مع الملمح السابق ذكره [محدد] الذى يتحقق بأدوات إجبارية أو نظام الكلمات وفى هذا الربط من المحتم التأكيــد بأن نوعين من التحديد يجب أن يميزا بوضوح ، همــا تحديــد (فــرد) إشــارى (ظاهرى) ، وتحديد إحالى (نصى) .

وهناك أسباب عدة لهذا المطلب : ففى بعض اللغات يكون التحقيق مختلفا، فمثلا فى التشيكية (tenhle (ten (هنا) و(tamhle (ten (هنــاك) معلمــان للوظيفة الأولى ، و onen(آخر) و(ten = " هذا للمذكر / الجذر ") فى الغالب ايضاً للوظيفة الأخرى . وtento (هذا " للقريب ") فقط غير معلمــة مــن هــذه الناحية . وهكذا فالاختلاف وثيق الصلة باستعمال قواعد ممتدة للمركبات الاسمية: فوسائل التحديد الاحالى فقط ربما تكون متصلة بأعلام وأسماء ؛ بوسائل يكــون التحديد بها ضمنياً ، أى الإشارة إلى مجموعات عنصر واحــد ، atmosphere (الجو) وinnocence (براءة) و mankind (البشرية) . وحتى الاســتعمال غير الإحالى لمركبات اسمية ربما يشار إليه بمركب هذا النمط . ومع ذلــك ففــى هذه السياقات ثمة قيد آخر سار : فى موقع اسم يجب أن يدرج عنصر معجمــى آخر : قارن : جون مراقب – هذا الضابط يراقــب النظــام (أو مراقــب يراقــب النظام)، ولكن ليس : * هذا المراقب النظام . ولهذا السبب يجب أن يُفرَّق بعناية بين إحالة بوصفها أداة تكوين للنصوص ، وبوصفها استعمالاً لمركب تجاه واقع غير لغوى.

ويمكن أن يكون بحث مُفصَّل لنصوص منمطة بداية بعيدة النظر ، تشير إلى نظرية للنصوص بوجه عام . ويربط المنهج الموصوف إذن هذه النظرية بنحــو مقيد بالجملة ، كان قد طُوِّر إلى شيء غاية فى الدقة .

المراجع

Daneš, F. , Z. HLALVSA , J . KOŘENSKÝ : Postavení slovesa v structuře česke věty , Českoslo – venské Přednášky Pro VII . mezinár . sjezd slavistů ve Varšavě , Praha 1973 , S . 129 bis 139

DIJK , T . A . VAN : Some Aspects of Text Grammars , The Hague – Paris 1972

HAUSENBLAS , K. : On the characterization and classification of discourses , Travaux linguistiques de Prague 1 (1904) , S . 67 – 83

PETÖFI , J . : Transformationsgrammatiken und eine ko – textuelle Texttheorie , Frankfurt / Main 1971

ماكس بفوتسه ودجمار بلاى (درسدن)

نمط النص نمط تواصل (*)
تقويم لوضع البحث

إن مسألة بناء أنماط النصوص،أى وحدات لغوية منطوقة ومكتوبة مستقلة نسبياً " ذات محيط أكبر " تعد حلولاً لمهام اتصالية [1] ، موضوع فروع عملية عدة ، وليس بدءًا من الفترة التى عُنِىَ فيها علم لغة بقوة بالتصنيف , وتُذكر فى هذا السياق البلاغة القديمة وبلاغة العصور الوسطى وعلم الشعر والأسلوبية التى دَرست من وجهات نظر مختلفة نصوصاً منطوقة ومكتوبة (أشكال الكلام ، وأنماط الاتصال) [2] . وبوجه عام عولجت أنماط مثل النص والوصف ،

(*) عنوان هذه المقالة هو :
Max Pfütze und Dagmar Blei (Dresden) : Texttyp als Kommunikationstyp – Eine Einschatzung des Forschungsstandes, PP. 185-195.
من كتاب : Problelme der Textgrammatik II (Hrsg.) von F. Daneš und D. Viehweger Studia Grammatika XVIII, Akademie-Verlaa, Berlin 1977.

(١) يتوجه دون وجه حق فى رأينا ضد مساواة النص بنتيجة كل تحقيق لغوى ١ . پ جلبرين فى مقاله حول مفهوم " النص " فى كتاب : علم اللغة النص Textlinguistik, Materialien der wissenschaftlichen Konferenz, Teil I, Moskau 1974. (بالروسية) ص ٦٨، حين يقول : " النص نتاج بدائلِ لغوية مكتوبة ، وليس تثبيتاً لكل منطوق " .

(٢) أشارت أعمال سوفيتية أحدث حول تُصنيف النصوص بقوة إلى النهج ، انظر من ذلك م . ب براندس : تحليلات أسلوبية Stilistische Analysen (am Material der deutschen Sprache), Moskau 1971 ص ١٠٢ (بالروسية) ، وانظر أيضاً م . بفوتسه : البحث والتعليم والنشر بالاشتراك مع علماء سوفيت Mit sowjetischen Wissenschaftlern gemeinsam forschen, lehren, publizieren; in: Sprachpflege 8/1974, S.162، ومتابعاً إشارات م . براندس يبنى ن . ف بسمرتانيا الشكل الكلامى " الوصف الدينامى " وخصائص اللغوية (رسالة دكتوراه) ، كييف ١٩٧٢ ، وأ . ف . سينوفئيفا : خصائص تركيبية – تكوينية للكلام المحلى فى عمل نثرى فنى (على مادة رواية أ . سجهر : ثورة صيادى سانت بربارة (رسالة دكتوراه) موسكو ١٩٧٣ على هذه الطرائق .

والخبر (الإبلاغ) ، والشرح (الإيضاح) وأنماط أخرى [٣] . وقدمت أحيانا معـــايير نفسية غير لغوية لهذه الأنماط . وهكذا يسرى على النص ملمح النشاط (الفعل)، وعلى الوصف الاشتغال بالموضوعات ، وعلى الرؤية (الشرح) الاشتغال بـــسلوك الموضوعات والأنشطة . ويرتبط النص بالتذكر والخيال ، الوصـــف بالأحاســيس الخارجية والشعور الوجدانى ، والرؤية (والانفعالية أيضاً) بالعقل (والحس) . [٤]

وينبغى على علم لغة النص أن يُذَكِّر بطرائق بناء أنماط النصوص ، إذ إن النصوص التى نشأت عن كلام منطوق هى فيمـــا يبـــدو " نمـــاذج اتـــصال " [٥] اجتماعية .

وقد عالج (علم) الأدب أنماط الكلام هذه التى ترجع إلى البلاغة ، والتـــى تُوصَف بأنها نتيجة لشكل منطوق أو مكتوب ، وأنماط نصية فى الوقـــت نفـــسه أيضاً ، عالجها بوصفها وحدات مستقلة ، تامة نسبياً ، بوصفها خاصة اتصالية – دلالية للنصوص[٦] . وتجعل الإشارة إلى أجزاء مُعَلَّمة نمطياً فى الملحمـــة التـــى يصفها پتش مثلاً بأنها خبر ، وتصوير ، ووصـــف ، ورؤيـــة [٧] ، تجعـــل هـــذا واضحاً. وهكذا لم تُدرس فى الأدب " وظائف اتـــصالية " للفونيمـــات والمفـــردات والمركبات والجمل فى عمل فنى فحسب ، بل لمركبات نصية جزئية أيضاً .

ويرد فى الأدب إلى جانب هذا التنميط لأشكال اتصال لغوية تنمـــيط وفـــق جوانب أخرى أيضاً ، تُدرَك نتائجها بوصفها " أنواعـــاً " و " أجناســـاً أدبيـــة " . وتتضمن هذه الأنماط بوصفها عناصر تأليف اتصالية ، وكذلك أنمـــاط اتـــصال :

---

(٣) انظر مثلا فويـــت Mysli ob istinnom značenii i soderžanii yitoriki, Charkov 1855 وف . رنيه : علم أسلوب نموذجى ألمانى نظرى ، شتوتجارت ١٨٩٥ ، ص ٣٧٤ ، استشهد بكلا العملين وفق م . پ . براندس ص ١٠٢ .

(٤) م . پ . براندس ص ١٠٢ مع إحالة إلى ف . رينه ص ٣٧٤ .

(٥) أ . نوبيرت : النظرية والتطبيق فى علـــم الترجمـــة ، فـــى :_ Linguistische Arbeits berichte 7 , Leipzig 1973 , S . 133

(٦) هـــ . ايزنبرج : نظرية النص وموضوع النحو ، فى : Linguistische Studien des Zentralinstituts für Sprachwissenchaft der Akademie der Wissenchaften der DDR , Reihe A, H. 11 , Berlin 1974, S.10.

(٧) ر . پتش : طبيعة فن النص وأشكاله ، ط ٢ ، هالة (ساله) ١٩٤٢ ، ص ٣٣٢ ، ويمكن أن توجد مرة أخرى على نحو مماثل فى أعمال أخرى فى الأدب أيضا هذه المفاهيم ومفـــاهيم مشابهة .

الخبر والوصف والنص .... الخ . ومن هذا الجانب يجب فى رأينا عند دراسة المواقف الأساسية الماركسية – اللينينية بالنسبة لتلقى الأدب أن تُتَضمن بقوة نتائج علم اللغة الوظيفى فى ألمانيا الديمقراطية ، وعلم لغة النص الوظيفى وبحث التأثير الاجتماعى للغة . ولا يوجب ذلك فقط حقيقة أن مجموع (كم) الوظائف الاتصالية للجمل المفردة أقل من الكل ، أقل من الوظيفة الاتصالية للنصوص (الجزئية) داخل نص كبير ، عمل أدبى على سبيل المثال (٨) .

وإلى جانب علم الأدب اشتغل علم الصحافة أيضاً بأنماط الاتصال أو أنماط النص . وتحصى هنا أجناس صحفية مثل الخبر والتعليق والدراسة والمراجعة وأنواع أخرى من الوسائط (الوسائل) الصحفية (٩).

وأخيراً ينبغى أن تأخذ بحوث تنميط النص فى الاعتبار أيضاً نتائج من المجال التربوى – المنهجى ، تشتمل إلى حد بعيد للتصنيف على سمات غير متغيرة لأنماط الاتصال، فى استمرار معالجة نماذج الاتصال اللغوية المنقولة .

---

(٨) ويمكن أن تستخدم هذه الاستكمالات مثلاً فى العمل الأساسى لـ م . ناومان (الإدارة والتحرير الكلى) والمجتمع والأدب والقراءة – تلقى الأدب من خلال رؤية نظرية ، برلين / فايمار ١٩٧٥ ، وبخاصة ص ٣٠١ وما بعدها – ويمكن أن تقدم مثيرات لذلك أيضاً بحوث حول الجزء التأليفى لأنماط الاتصال الأساسية فى نصوص قصصية ، لـ م . پ براندس ومدرسته ، وبخاصة أيضاً م . پ براندس بيرونكوفا : تدريبات فى الأسلوبية الوظيفية للكلام الألمانى ، موسكو ١٩٧٥ ، ولا سيما فى المقدمة الأساسية ص ٥ وما بعدها . وانظر أيضاً ما سبق ، هامش ، وكذلك م . بفوتسه (محرر) : سلسلة علم لغة النص ، المعهد التربوى بدرسدن ، درسدن ١٩٧٠/١ حتى ١٩٧٦/٥ مع مراجع إضافية . وديتر بلاى : حول العاطفية فى الريبورتاجات – محاولة لتأسيس لغوى نصى عام (رسالة دكتوراه ، أ) ، المعهد التربوى بدرسدن ١٩٧٥ ، وف. شميت / وهـ . هارنيش : متولات بحث التأثير اللغوى الماركسى – اللينينى ومناهجه ، فى : W.Schmidt (Hrsg.), Sprache und Ideologie. Beiträge zu einer marxistisch – leninistischen Sprachwirkungsforschurg, Halle (Saale) 1972, S.65 ff.، وله أيضا : خطط الاتصال وطرائقه ، فى : Linguistische Studien des Zentralinstituts für Sprachwissenschaft der Akademie der Wissenschaften der DDR, Rehe A. H. 8 Berlin 1974, S. 30ff.

(٩) انظر حول الأجناس الصحفية E-DUISKA (Hrsg.), Wőrterbuch der sozialistischen Journalistik, Leipzig 1973, S. 84f. ، حول أنماط النص فى علم الصحافة ، انظر ديتر بلاى ، حول العاطفية فى الريبورتاجات ، انظر أعلى ، هامش ٨ .

وبوجه عام يتعلق الأمر بأنواع العرض : الخبر ، والوصف ، والتصوير ، والإيضاح . [10]

ومنذ أن انقاد البحث اللغوى بقوة فى السنوات الأخيرة من / المعرفة القائلة إن الكلام / الكتابة ، أى الاتصال لا يتحرك فى حدود وحدات لغوية من كلمة (تحقق الوحدة المعجمية) وجملة (تحقق الوحدة النحوية) فقط ، بل إن الاتصال بوجه عام يوجد فى محيط نصوص منطوقة ومكتوبة ، فإن علم اللغة يتجه بقوة نحو بحث النصوص ، وأبنية الأنماط المرتبطة بذلك . والآن يعد النص بوصفه تحقيقاً للغة موضوع بحث متعدد الطبقات ، يمكن ويجب أن ينظر إليه من جوانب مختلفة . وتبعاً لذلك خُصَّ بناء الأنماط أيضاً بوجهات نظر متباينة ، لها جميعها تبريرها طالما تُعنَى أخيراً بشكل دائم بعلاقات اللغة – الاتصال ونظام مجتمع محدد .

وليس من الممكن أن تُتَناول كل اقتراحات تنميط النص . وينبغى بدلاً من ذلك أن يُحاول أن تُحَدد فى نظرة أشد عمومية ملامح طرائق بحث علم اللغة التى تُولى هدف أبنية تنميط النصوص أهميةً .

ويدرك الاتجاه الأول النص على أنه علامة لغوية ، تتركب من مجموعة علامات (جمل) أخرى . ويُبرز بوجه خاص العلاقات بين عناصر النص المرتبة أفقياً أى تُبحث علاقات داخل النص . ويتعلق الأمر فى ذلك بعلاقات نحوية ودلالية وأحياناً اتصالية أيضاً لجمل مفردة . وتعد من هذه المجموعة بوجه خاص أعمال ترمى بصراحة إلى أهداف نحوية نصية . وثمة خصوصية تلاحظ فى ذلك وهى : يفترض بعض ممثلى نحو النص أنه توجد أيضاً نصوص مكونةً من جملة واحدة.[11] نحن لا نريد أن نتابع هذا الرأى ، بل ننظر إلى النصوص على أنها أبنية لغوية ، تعد محصلة حل مهام اتصال معقدة . وتسعى الأعمال التى تهتم

---

(10) انظر المراجع حول هذه المشكلة ، لدى م . بفوسكر : تنميط النصوص ونوع العرض من منظور علم لغة النص الوظيفى ، فى : Wissenschaftliche Zeitschrift, Pädagogischen Hochschule Dresden 1973, H.2, S. 39ff.

(11) انظر ضمن غيره هـ . ايزنبرج : نظرية النص وموضوع النحو ص ١٤ ، ١٧ ومواضع أخرى .

بإماطة اللثام عن أنماط تنصيص شكلية (أنماط المحور ، تنصيص الجمل وتضافرها) إلى الكشف عن ثوابت تركيبية فى النصوص [١٢].

وفى دراسات أخرى يمكن أن تُدرج بدرجة معينة فى أعمال الكشف عن أنماط من خلال وسم السمات عند النظر إلى العلاقات بين الجمل - يُنطلق حقيقةً من أوجه ربط بين الجمل فى أجزاء معنوية أكبر للنص ، من فقرات . ويفرق هنا مثلاً بين " فقرات أحادية الموضوع " ، " وفقرات متعددة الموضوعات " ، [١٣] (*) بوصفها أنماطاً نصية ، ارتباطاً بالموضوعات المعالجة فى النص .

وأخيراً يُعد من هذه المجموعة من المحاولات للوصول أبنية أنماط النصوص تضمين " وظائف اتصالية " لجمل مفردة . ويدرك ايزنبرج [١٤] مثلاً تحت ذلك تقريباً ما نفهمه مع " طرق الاتصال " ، و" أفعال اتصالية " [١٥].

---

(١٢) تعد من ذلك آراء حول التقطيع : حول البنية النحوية لنصوص المقال لـ ب . جروتسكى وك . ١ . هايدولف ، وهـ . ايزنبرج ، جوانب المعالجة اللغوية للنصوص ، فى : Texlinguistik 2, Pä dagogische Hochschule Dresden 1971, S. 145ff. ، وإ. اجريكولا : علاقات دلالية فى النص وفى النظام 3. bearb. Aufl, Halle (Saale) 1975 ومواضع أخرى كثيرة .

(١٣) ل . فريدمان : حول مشكلة وحدات لغوية ذات نظام أعلى ، فى : Deutsch als Fremdsprache 5, Leipzig 1970, S. 320 f ، وله نفسه : بعض خواص فقرات متعددة المعنى ومُكوناتها فى الألمانية المعاصرة ، فى Zeitschrift fur Phonetik, Sprach ssenschaft und Kommunikationsforchung H. 4/5 Berlin 1972, S. 281 ff. ، وله نفسه : خواص وظيفية لجمل مستقلة بوصفها مكونات فقرة ، فى : Deutsch als Fremdsprache 5. Leipzig 1972, S. 298 ff.

(*) يقصد بالفقرات أحادية الموضوع (monothematische Absätze) أى الفقرات التى تدور حول موضوع أو معنى واحد . أما الفقرات المتعددة الموضوعات (polythematische Absätze) فهى الفقرات التى تدور حول أكثر من موضوع أو أكثر من معنى .

(١٤) انظر هـ . ايزنبرج : النص وموضوع النحو ص ٤٤ ما بعدها ، لا نستطيع هنا لأسباب تتعلق بالمكان أن نفصل علاقة " شروط موقفية ، ومقاصد اتصالية ، ووظائف اتصالية ، وتمثيلات عميقة " . ويبدو لنا أن العلاقة بين وظيفة اتصالية ومقصد اتصالى يجب أن تبحث بحثا أكثر دقة حتى يوضح الفرق مثلا بين وظيفة اتصالية (الطلب) (ص ٥١) ومقصد اتصالى (النداء) (ص ٥٨) - ويُصَعّب تعدد المفاهيم أيضاً فى مجال علم الاتصال من مناقشة موجزة لمفاهيم مناسبة .

(١٥) حول هذه المفاهيم انظر ما يلى ص ١٩١ وما بعدها من الأصل .

وفى هذا الموضوع نريد أن نحاول أن نـدرك بعـض جوانـب ومنـاهج وممثلين واقترحات تنميط متنوعة ، على نحو اختيارى ، حيث لا نـدعى الكمـال لمحاولة كهذه .

جانب	معاير منهجية	ممثلون	نمط النص
مضمونى – دلالى	فصل وحدات موضوعية	فريد مان سيلمان [١٦]	وحدات كلام أجـزاء كـلام موضوعية
نحو – دلالى	اختيار عمليات	ايجر يوخت [١٧]	نص فردى / جمعى نص طبعى / فنى نص غير كامل
تركيبى	تجزئة تضافر .... الخ	ارنولئد [١٨]	أنمـاط متدرجـة (سلّمية)
نحوى نصى مع وظيفة اتصالية	ربط جمل مفردة	ايزنبرج	أنمـاط اتـصالية وظيفيـة للجملـة بوصفها عناصر نص

ومن منظور " الأسلوبية الوظيفية " يُسهم بوجهة نظر أخرى فى تنميـط النصوص . وينتج عن تشيم النصوص وفق " أساليب وظيفية " مثل : أسـلوب الكلام العلنى ، وأسلوب العلم ، وأسلوب الصحافة والنـشر ، وأسـلوب الكـلام اليومى ، وأسلوب الأدب الرفيع " [١٩] مجموعات نصية مميزة ، أى منطوقـات

---

(١٦) انظر ت. إ. سيلمان : بنية الفقرة فى نثر جوته النظرى والقصصى ، فى : Weimarer Beiträge 4/1968 , S . 853 ff .

(١٧) انظر ج . ف . ايجر / ف . ل . يوخت : حول بنـاء تنمـيط للـنص ، فـى : - Text linguistik Materialien der wissenschaftlichen Konferenz , Teil I . S . 103 ff .

(١٨) انظر إ . ف . ارنولئـد : تفـسير الـنص بوصـفه إمكانيـة تـردج أجزائـه ، فـى : Textlinguistik Materialien der wissenschaftlichen Konferenz . S. 28 ff .

(١٩) حول مفهوم " أسلوب وظيفى " انظر نيابة عن المؤلفات السوفيتية إ . ريزل و إ . شندلز " الأسلوبية الألمانية " ، موسكو ١٩٧٥ ، التى تتخذ فى الجزء الأول : القضايا الأساسية فى نظرية الأسلوب ص٥ وما بعدها ، موقفاً من مشكلة تصنيف الأسلوب ، وتستخدم للإفـادة المراجع السوفيتية والتشيكوسلوفاكية الكثيرة ونـشريات ألمانيـا الديمقراطيـة أيـضاً ، ونشريات أخرى .

نمطية اتصالية معقدة ، نُظمت وفق سمات أسلوبية عنـد النظـر إلـى الوظيفـة الاتصالية التى عليها أن تؤدى طريقة الاستخدام هذه الأسلوبية المميزة للغة فـى مجالات اجتماعية معينة . وبذلك تصير العناصر المميزة لأنماط الأسلوب الوظيفية فى رأينا إلى عناصر أنماط النص ، حيث تعد النصوص من وجهة نظرنا باستمرار محصلة حل مهام اتصالية ، ولذلك تُستعمل طريقة الاستخدام الوظيفيـة المميـزة للغة [٢٠].

ونريد فيما يأتى أن نستثمر نَهج تضمين أقوى بجوانـب اتـصالية وفـى النظرات اللغوية للغة [٢١] ، ونعرض بعض وجهات نظر يمكن أن تُستخدم رأيـى فى تنميط نصوص وفق مهام الاتصال . وكلما اشتد إدراك البحث أهمية الاتـصال والمطالب الاتصالية بصلاحية الاتصال للهوية الشخصية الاجتماعية ، صار أكثـر إلحاحاً أن نولى هذا الجانب أيضاً فى البحث وللتطبيق التربوى أهمية أكبر [٢٢].

وعند السؤال عن إطار الارتكاز بالنسبة لاختيار مركب السمات وبحثهـا لبناء أنماط النص فى إطار جانب اتصالى نستند إلى فهم لمصطلح الاتصال ، كمـا فسره عالم النفس السوفيتى فيجوتسكى Wygotski وواصل تطويره علم النفس وعلم لغة النفس السوفيتيين . ويعرض الاتصال وفق هذه المفاهيم بوصفه جانبـاً محدداً لنشاط إنسانى بوجه عام [٢٣]. ومن ثم فإن للنشاط الاتصالى أيضاً ، مثـل

---

(٢٠) انظر حول هذا المفهوم أيضا هـ . شميت : مضمون النص والأسلوب والترجمة (رسالة دكتوراه ١) جامعة كارل – ماركس ، ليبنرج ، فرع علم اللغة النظرى وعلم اللغة التطبيقى، ليبنرج ١٩٧٣ ، وبخاصة ص ١٢٢ وما بعدها .

(٢١) انظر ضمن غيره الاتصال اللغوى والمجتمع ، لكوكبة من المؤلفين بقيادة ف. هـارتونج ، برلين ١٩٧٤.

(٢٢) انظر ضمن غيره ف . شميت : مواقف لغوية لنظرية بناء لغـة الأم وتهـذيبها ، فـى : Zeitschrift für Phonetik, Sprachwissenschaft und Kommunikations forschung, H.6, Berlin 1974, S. 520 ff. – وله نفسه : قـضايا أساسـية نظريـة ومنهجية لتدريب معلمى اللغة الأم ، فى : Potsdamer Forschungen , Reihe A , H . 13 , Potsdam 1975 , S . 13 ff

(٢٣) صارت واضحة الصلة بالتأثير الواضح لـ . ل . س فيجوتسكى ، وخلفائه لمفهوم النشاط فى الاتصال فى علم اللغة المعاصر منذ السبعينيات ، وصارت باستمرار الأساس النظـرى لبحث العلاقة بين المجتمع– واللغة – والاتصال . وتقدم بصورة انتقائية بعض المؤلفات التى ترتكز على هذا التفسير للنشاط الخاص بالاتصال : ف . هارتونج ، تدريس اللغـة الأم =

كل الأنشطة الإنسانية ، آخر الأمر أساسه " فـــى النــشاط المــادى الموضـــوعى الاجتماعية للبشر [٢٤] . ومن خلال تضمين الاتصال ، النشاط الكلامى " فى النشاط العملى الإنسانى بوجه عام تصلح للاتصال أيضا كل تلك السمات المميزة التى تعد خاصة بكل نشاط . وهكذا يحيل علم اللغة النفسى إلى جوانب ثلاثة للنشاط الــذى ينشأ عن حاجة إلى التحفيز والهدف والإنجاز . [٢٥] ويُبرز فى ذلك أيــضا فعــل النشاط المفرد يبدأ بحافز وخطة ، وينتهى بنتيجة مع الوصول إلى هدف حدد فى البداية ، ولكن يقع فى الوسط نظام دينامى لأفعال وعمليات محددة ، موجهة إلـــى هذا التحقيق [٢٦]. وقد قدمنا هذه الأفكار مفصلة لأن طرائق كثيرة لعلــم اللغــة الاتصالى " ترجع آخر الأمر فى بحث أوجه أطراد الاتــصال اللغــوى إلـــى هــذه المواقف الأساسية لعلم النفس السوفيتى [٢٧]. وفى ذلك يجب فى رأينا أن يُلاحظ

= والوظيفة الاجتماعية للغة ، فى Deutschunterricht , Berlin 1970 , S . 222 ff ، وله نفسه : البراجماتيــة اللغويــة الماركــسية خلفيــة لــشرح ظــواهر أسـلوبية فــى : Wissenschaftliche Zeitschrift, Pädagogische Hochschule Erfurt / Mühlhausen, Ges.u. sprachwiss. Reihe H. 2/1970, bes. S.67 ff. ، ف.هارتونج (إشراف) ، الاتصال اللغوى ، والمجتمع ، انظر ما سبق ، هــامش ٢١ ، ف. شميت / هـ . هارنيش : مقولات بحث تأثير لغوى ماركسى – لينينى، مناهجــه ، ص ٦٥ وما بعدها ، ولها أيضاً : خطط الاتصال وطرائقه ص ٣٠ وما بعدها . ف. شميت : قضايا أساسية نظرية ومنهجية لتدريب معلمى اللغة الأم ص ١٣ وما بعــدها . وحــول التأصــيل النفسى لبحث لغوى فى علم لغة الاتصال أو علم لغة النص ، ونظرية النشاط أيضاً س . ل. روبنشتاين: أسس علم النفس العام ، ط ٧ برلين ١٩٧٢ ، ص ٩٩ ، وص ١٠٤ ، وبخاصة ص ٦٦١ وما بعدها وص ٦٩٣ وما بعدها ومواضع مشابهة .

(٢٤) انظر الفهم الماركسية – اللينينية لمفهوم – النشاط فى : ج. كلاوس / م. بور (محرران) : المعجم الفلسفى ، جزء ٢، ص ١٠ Neubearb.Aufl. Berlin 1974, S. 1203 ff

(٢٥) أ. أ. ليونتيف : اللغة – الكلام – النشاط الكلامى ، شتوتجارت / برلين / كولن / مــاينتس ١٩٧١ ، ص ٣١ ، وله نفسه : وحدات لغوية نفسية وتوليــد منطوقــات لغويــة ، بــرلين ١٩٧٥، ص ١٦٤ وما بعدها .

(٢٦) أ . أ ليونتيف : اللغة – الكلام – النشاط الكلامى ، ص ٣١ ، وله نفسه : بعض جوانــب نفسية لمرحلة البداية عن تعلــيم اللغــة ، فــى . Deutsch als Fremdsprache, H. 3 Leipzig 1971 , S. 151 ff :

(٢٧) استكمالاً للمراجع المذكورة فى هامش ٢٣ يُحال إلى أفكار مستكملة نظريــاً حــول هــذه المشكلة لدى م. ب. براندس / م بيرونكوفا : تدريب للأسلوبية الوظيفة للكلام الألمــانى ص ٥ وما بعدها .

بالنسبة لتنميط وظيفى اتصالى للنص ، على نحو ما نريد أنه نفهمه تصنيفاً لمهام الاتصال ، المصطلحات : الهدف والحافز والخطة والنظام لأفعال وعمليات بوصفها منطلقا ، على نحو ما فُهِم من علم اللغة الوظيفى أيضاً [٢٨]. سوف نعود إلى ذلك مرة أخرى .

وبالنسبة لتنميط النص فى إطار جانب اتصالى انطلاقاً من نهج لغوى نفسى لنظرية النشاط تُسهم معارف مهمة أخرى . ويتعلق ذلك بوجه خاص بمفهوم الموقف بوصف مجموع الشروط – اللغوية وغير اللغوية التى تعد ضرورية وكافية لتحقيق الفعل الكلامى وفق التى رسمناها [٢٩]. فموقف الاتصال له بالنسبة للتنميط الوظيفى الاتصالى للنص أهمية كبيرة من حيث إن كل "الشروط الخارجية ، أى كل العوامل التى تصف [٣٠] قطاعاً محدداً من واقع الحياة الاجتماعى الذى يبرز واقعة اتصال ، تؤثر فى بناء أنماط النص تأثيراً كبيراً ".

ويرى أ. أ. ليونتيف A. A. Leontjew الارتكاز إلى هذه الجوانب اللغوية النفسية شرطاً مهماً لتنميط وظائف لغوية ، وحيث يُبرز " معيار الإفادة الوظيفية لوحدة لغوية " لتنميط اتصال لغوى [٣١]. يمكن إلحاق طرائق التنميط القائمة على أساس تواصلى من منظور تدريس اللغة الأم . ونقصد النظر فيما

---

(٢٨) انظر ف. شميت : قضايا أساسية نظرية ومنهجية لتدريب معلمى اللغة الأم ، وبخاصة ص ١٧ وما بعدها . ويُبنى على أساس علم اللغة الوظيفى علم لغة النص الوظيفى أيضاً الذى يسهم فى حل مسائل تنميط النص . انظر ضمن غيره م . بفوتسه : أفكار أساسية حول علم لغة نصى وظيفى ، ص ١ وما بعدها . وله نفسه : ملحوظات حول علم لغة نصى وظيفى ، وفى Wissenschaftliche Zeitschrift, Pädagogische Hochschule Erfurt / Muhlhausen Ges. U, sprachwiss.Reihe, H. 2/1970, S. 79 ff. ، ود. بلاى : حول العاطفية فى الريبورتاجات ، وبخاصة ص ٧١ وما بعدها ، وص ١٥٤ وما بعدها .

(٢٩) . أ. ليونتيف : اللغة – الكلام – النشاط الكلامى ، ص ١٢٤ .

(٣٠) الاتصال اللغوى والمجتمع ، ص ٢٧٣ ، وانظر أيضاً : ف. هارتونج : الاتصال اللغوى (طبيعته ، وظيفته فى المجتمع الاشتراكى ومهام تدرس اللغة الأم فى : Deutschunterricht,H.L, Berlin 1971, S. 46 وله نفسه : تدريس اللغة الأم والوظيفة الاجتماعية للغة ، ص ١٤٥ ، وله أيضاً : حول خاصية الاتصال اللغوى ، فى : Potsdamer Forschungen, Reihe C, H.4, Potsdam 1971, S. 92 ff. شميت/ هـ . هارنيش : جوانب براجماتية لتوجيه عمليات الاتصال فى : Textlinguistik 2, Pädagogische Hochschule Dresden 1971, S. 99 ff.

(٣١) أ. أ. ليونتيف : اللغة – الكلام – النشاط الكلامى ، ص ٧٢ .

يسمى أنماط العرض ، طرائقه أو أشكال التقديم التى نرغب أن نصفها بشكل اختيار بمفاهيم الخبر والوصف والقص والتصوير والشرح . ونعنى هنا بالأشكال والطرائق الأساسية الفكرية – اللغوية للاتصال الاجتماعى التى تستعمل فى الأدب الفنى ، وبخاصة فى النثر ، وفى مجالات للنشاط العملى والنظرى عند حصول للواقع أيضاً [٣٢]. ويصف البحث السوفيتى أنواع العرض وطرائقه بأنها " عناصر تأليف أساسية ، وأشكال الكلام وأشكال التأليف الاجتماعى [٣٣]. ويبرز بذلك المكانة الخاصة لأنماط التأليف هذه بوصفها معايير فى النشاط الكلامى ، فى الاتصال . ويعد هذا فى رأينا نهجاً مهماً لعلم اللغة الوظيفى ، ومن ثم لعلم لغة النص الوظيفى ، من حيث ينظر هنا إلى وحدات لغوية أكبر من الجملة ، من عناصر لبناء منطوقات لغوية ، نصوص مركبة .

ونرى أن : المرء يجب أن يدرك أنواع العرض بوصفها أنماطاً نصية مشروطة وظيفياً التى تصاغ من خلال هدف مشروط اجتماعيًا ، ومن خلال بنية اتصال محددة ، وكذلك من خلال تأليفها ومن خلال الجهد المستخدم من أجل وظيفة الاتصال [٣٤].

وقد بين علم النفس السوفيتى كيف رأينا أنه للتشكيل الفعلى للنشاط الاتصالى يجب أن تخطط كل عوامل تحقيقه . ويتحدث العلم المختص عن وضع "استراتيجية اتصال " لحظة اتصال . [٣٥]

---

(٣٢) انظر ف. فلايشر : حول التفريق الأسلوبى الوظيفى فى لغة الكتابة الألمانية ، فى : Sprachpflege 11/1969, S. 228 . وفى اصطلاحات ف. شميت وجماعته توصف أنواع العرض وطرائقه بأنها طرائق اتصال " انظر ف. شميت / كر . شميت / م . شتارز حول نظرية العلم وتطبيقه " تعبير منطوق وتعبير مكتوب ، فى : نصوص دراسات حول الأسلوبية ماركسية – لينينية باعتناء خاص للاشتغال بتعبير منطوق وتعبير مكتوب Pädogogische Hochschule Potsdam 1972, S. 105 ff ، وانظر أيضاً ف. شميت / هـ . هارنيش خطط الاتصال وطرائقه .

(٣٣) انظر ما سبق أيضاً هامش ٢٧ .

(٣٤) م. بفوسته : تنميط النص ونوع العرض فى ضوء علم لغة النص الوظيفى ، ص ٤١ .

(٣٥) حول هذه المفاهيم انظر ضمن غيره ف. هارتونج : حول طبيعة الاتصال اللغوى ، ص ١٠٥ وما بعدها . و ف. شميت / هـ . هارنيش : خطط الاتصال وطرائقه ص ٣٠ وما بعدها .

ويتحدث شميت وهارنيش بناءً على كل هذه الطرائق لنشاط الاتصال الاجتماعي عن " أنماط أهداف الاتصال " (٣٦)، وهو يساوى فى هذه الحال مصطلح " خطة الاتصال " . وفى موضوع آخر يوصى شميت بتنميط مهام الاتصال والنصوص ، مع تضمين طرائق الاتصال.(٣٧) حيث تقع تحته أنواع العرض وسبله السابقة الذكر أيضاً . ولما كنا نفهم من منظور علم لغة النص الوظيفى أنواع العرض بأنها أنماط نصية ، أى أنماط الاتصال (٣٨) ، فإننا نؤثر الموافقة على هذا النهج ، ونرغب فى إضافة بعض ملحوظات .

وعند النظر إلى أنماط النص على أنها أنماط اتصال يؤكد علم لغة النص الوظيفى رأى ليونتيف ، وهو أنه فى نهاية فعل النشاط تقع نتيجة النشاط الكلامى(٣٩) . ويعنى هذا بنقله إلى النص أن النص يمثل نتيجة وظيفة اتصال أو كما يقول ميشل وشتارز إن كل منطوق لغوى ، أى نص منطوق أو مكتوب ، هو دائماً نتيجة حل وظيفة اتصالية (وظيفة عرض) . ولا نستخدم مصطلح وظيفة اتصالية هنا لتلك الحالات فقط ، التى يطرح فيها على طالب أو إنسان بوجه عام مهمة المنطوق اللغوى بمفهوم طلب ، بل لكل حاجة تحفز أو توجب النشاط الاتصالى . (٤٠) وذلك واضح حين يؤكد أنه يوجد فى حياة الإنسان " تنوع فى الحدث الاتصالى " ، كم لا نهائى من وقائع اتصال محددة (٤١)، وأن أشكالاً متنوعة من منطوقات لغوية توجد عند حصول نظرى – عملى وفنى – تصويرى للواقع ، وأن أشكالاً أساسية فكرية – لغوية (أنماط الاتصال) وطرائق جوهرية (طرائق الاتصال ، الأنماط) محددة مشروطة اجتماعياً أيضاً تنشأ ، بل قد تكونت ، (٤٢)

---

(٣٦) ف. شميت / هـ . هارنيش : خطط الاتصال وطرائقه ، ص ٤٢ .

(٣٧) ف. شميت : قضايا أساسية نظرية ومنهجية لتدريب معلمى اللغة الأم ، ص ٢٢ .

(٣٨) انظر م. بفوتسه : حول نمط نص واتصال " خير (تقرير) " فى الشعر الغنائى ، فى : Textlinguistik 4, Pädagogische Hochschule Dresden 1975, S. 1 ff.

(٣٩) انظر أ. أ. ليونتيف : اللغة – الكلام – النشاط الكلامى ، ص ٣١ .

(٤٠) ج. ميشل / م . شتارز : المضمون والتعبير عند تقويم إنجازات لغوية ، فى : Deutschunterricht, H. 5,Berlin 1975, S. 261.

(٤١) ف. هارتونج (إشراف) : الاتصال اللغوى ، والمجتمع ، ص ٧١ ، وص ٢٦٩ وما بعدها.

(٤٢) انظر بفوتسه : النص ونوع العرض فى ضوء علم لغة النص الوظيفى ص ٤٠ ، وف.شميت : قضايا أساسية نظرية ومنهجية لتدريب معلمى الأم ص ١٧ ، وحول السؤال

وأنها فى أهميتها مرتبطة بمجالات نشاط البشر فى تشكيلها المعطى للمجتمع وجماعات الاتصال.[٤٣] واقترح شميت مستفيداً من المستوى المستحق المرتفع للمجتمع الاشتراكى المتطور فى كفاءة الاتصال ، والثقافة اللغوية للتلاميذ والشخصية الاشتراكية بوجه عام ، من منظور تحسين تعليم اللغة الأم وتهذيبها فى مدرسة التعليم العام، اقترح إنجاز تنميط أكثر حدة من الآن وفق المبدأ الاتصالى ، وفق مهام الاتصال . ويمكن وفق نموذج تنميط مقاصد الاتصال وخططه وطرائقه أن يُنطلق من أنماط وأنماط فرعية للنصوص تالية : [٤٤]

أنماط النص (وفق ف . شميت)

(مقاصد الاتصال أو خططه

إخبار (إعلام)	⟵⟶	تنشيط (تفعيل)
إخبار مؤكد لشئ		إقناع
إخبار مؤكد لحادثة		اقتناع
		حشد (للفعل)
		اهتمام
		إثارة وجدانية

أنماط فرعية

(طرائق الاتصال)

I إبلاغ ، زعم ، تقرير

II رواية ، وصف ، قص ، حكم ، تصوير ، إحالة

III إيضاح ، مقارنة ، اختصار ، تعميم ، استنتاج

عن قائمة كاملة لأنماط الاتصال وطرائقه ، انظر إسهامات نقاشية فى حلقة دراسية فى : دراسات لغوية للمعهد المركزى لعلم اللغة فى أكاديمية العلوم بألمانيا الديمقراطية Reihe A , H . 8 . Berlin 1974 , S . 115 ff

(٤٣) ف. هارتونج (إشراف) : الاتصال اللغوى ، والمجتمع ص ٧٢ ، وص ٥١٤ وما بعدها .

(٤٤) ف. شميت : قضايا أساسية نظرية ومنهجية لتدريب معلمى الأم ص ٢١ وما بعدها . ينبه المؤلف هنا نفسه إلى أن التقسيم إلى مجموعات لا يمكن أن يُقَيَّم إلا بوصفه فرضية عمل ، وأن يتضمن صعوبات كبيرة أيضا (مثلا الفصل والتبعية مع خطط الاتصال ، النقصان والطبيعة المتباينة للتعقيد مع طرائق الاتصال) – ونريد أن نضيف أننا نعد النمط النصى المعقد ، الإيضاح ، إيضاح طريقة الاتصال ، نمطا مهما ، ويدرج فى التصنيف .

IV تعليل ، إثبات ، رخص ، فضح

V تفسير ، تدليل

VI حفز ، رجاء ، نداء / استئناف ، طلب / دعوة ، توجيه ، أمر

VII سؤال

يعد مثل ذلك التصنيف فى رأيى صحيحاً بوجه عام لأنه مرتبط بالوظيفة الاتصالية للغة عامةً ، وبحل مهام اتصالية مباشرة ، ونرى أن هذا النهج بالنظر إلى جانب النشاط يمكن أن تستمر تتبعه بتضمين فرضية أن أى نص يعد نتيجة وظيفة اتصالية " نظاماً ديناميأ لأفعال وعمليات محددة " (٤٥)، وأن بناء ، بنية النص تنشأ نتيجة أفعال ، أى هذه المكونات للنشاط ، التى تتميز بهدف بينى مستقل (٤٦). ويمكن من ذلك ومن أفكار حول مفهوم النظام مع احتمال كبير بالنسبة لاستمرار البحث أن يُتوصل إلى حلول لمشكلات تنميط وظائف الاتصال ، وتُستخدم هذه الحلول فى تعميق طرائق تنميط للنصوص . نحن نقصد تلك المشكلات ، مثل التعقيد المتباين لأنماط النص الاتصالية ، وعلاقات النظام والعناصر داخل هذه الأنماط ، وكذلك مشكلات علاقة الجزء بالكل . ومن خلال تضمين هذه الجوانب يمكن أن ينشأ تدعيم معمق للعلاقات ، مثلاً بين نص مخبر بصورة موضوعية (نظام ، خطة اتصال) وعناصره (أو نظمه الفرعية) ، مثل الإبلاغ ، والإخبار ، والوصف ، والمقارنة ، والاختصار (عناصره ، نتائج طرائق الاتصال) (٤٧). وينظر فى ذلك إلى المفاهيم : الإبلاغ ، والإخبار ، والوصف ، والمقارنة ، والاختصار على أنها أوجه سير إجراء أفعال أو عمليات بالنظر إلى هدف وظيفة الفعل . ويتبين جانب علاقة العنصر بالنظام ، الجزء بالكل / أيضاً بالنظر إلى النهج البحثى لايزنبرج حول تحديد الوظائف الاتصالية للجملة . فايزنبرج Isenberg يتحدث عن " وظائف اتصالية ، تمتلكها كل جملة من جمل

---

(٤٥) أ. أ. ليونتيف : اللغة – الكلام – النشاط الكلامى ص ٣١ ، انظر ما سبق هامش ٢٦.

(٤٦) أ. أ. ليونتيف : وحدات لغوية نفسية وتوليد منطوقات لغوية ، ص ١٦٥ .

(٤٧) يرجع هذا المثال إلى ف. شميت : قضايا أساسية نظرية ومنهجية لتدريب معلمى اللغة الأم ص ٢٢– وفى الواقع أخرجنا من إلحاق أنماط نصية اتصالية بنظام علوى " نص مخبر بصورة موضوعية " القص والتصوير ، لأننا نرى أنه على الأقل فى هذين النمطين عادة ما تكون الوظيفة الشعرية – الجمالية شديدة للغاية . ويطمح إلى جانب الفاعلية .

النص على أساس بنية الاتصال [٤٨]. ويذكر المقاصد الاتصالية الآتية التى تتساوق مع طرائق الاتصال ، ووظائف اتصالية ، وأنماط النص الاتصالية ، كما بيّنّا، أى الإعلام ، والمناشدة ، والإيضاح ، والحكم ، والسؤال ، والحجاج ، والطلب ... الخ . ومع أن ايزنبرج يقصر وظائفه الاتصالية فى بادئ الأمر على جمل مفردة فقط فإننا لا نرى سبباً لئلا تمتد هذه الوظائف على نحو مماثل أيضاً كما فهمناها وبيناها ، لأن النص بوصفه وحدة تُركّب فى وظائفه الرئيسية من أجزائه أو أنظمته الفرعية الاتصالية ، ويُوصف " من خلال كم أجزائه ، ونوعها ، ونظامها، وكذلك من خلال العلاقات التى تقدم بذلك ، أى من خلال البنية " [٤٩]. وهكذا يمكن أن تقوم وظائف اتصالية للجملة مثل الإعلام والإيضاح والحكم .. الخ بوظيفة أجزاء اتصالية لنمط اتصالى للنص " الخبر" ،لأنه ينتج عن نظامها المتبادل وتبعية مسلكها الخاص بالنظام أن تكون جزءاً من خبر . ويجب على البحث اللاحق لتنميط الاتصال أن ينطلق من أنه إلى أى مدى يتسنى تقرير معايير الأنماط المفترضة علمياً بالنظر إلى تكوين الاتصال المحدد اجتماعياً ، وتطبيق قانون تحول تغييرات كمية إلى تغييرات كيفية على الأنماط الاتصالية . ويُلاحظ فى ذلك ما الشروط التى يجب فى إطارها ألا ننظر إلى وظائف اتصالية للجملة أو وسائل لغوية ذات وظائف اتصالية محددة ، تابعة لنمط الوظيفة الاتصالية ، أى جوهرها . ومن ثم قد يُحدد لماذا مثلاً لا تعد وظائف اتصالية للجملة ، مثل السؤال والتوجيه والرجاء مميزة للنمط النصى الخبر . وقدم شميت وهارنيش [٥٠] إشارة منهجية ليتسنى تحديد أنماط الاتصال من خلال تحليل النصوص . وهما يستندان حقاً إلى تحديد مقولة الحزبية فى النصوص ، غير أن

---

(٤٨) هـ. ايزنبرج : نظرية النص وموضوع النحو ، بخاصة ص ٥٧ وما بعدها ، وانظر هامشينا ٦ و ١٤

(٤٩) ج. كلاوس / وم . بور (محرران) : المعجم الفلسفى ، المجلد ٢ ، ص ١٢١٥ ، وانظر أيضاً العلاقة الآتية بنمط الاتصال " الخبر/التقرير " .

(٥٠) ف. شميت / هـ . هارنيس : حول جانب الأسلوبى لمقولة الحزبية ، فى : Wissenschaftliche Zeitschrift, Pädagogische Hochschule Erfurt/ Muhlhausen, Ges. U. sprachwiss, Reihe, H. 2/1970, S.51 ff. ، ولهما أيضاً : حول تأسيس بحث التأثير اللغوى الماركسى اللينينى فى : مجلة علم الأصوات وعلم اللغة وبحث الاتصال H. 5 Berlin 1970, S. 514 ff

هذا النهج يمكن أن ينقل بشكل جزئى إلى تحديد أنماط النص أيضاً. وفى الواقع يجب أن يُشار إلى أنه يجب أن تُستخدم لتحديد معايير خطط الاتصال وطرائقه التى قدمها شميت وهارنيش عوامل أخرى عند البحث .

وثمة أمر ذو أهمية لتنميط وظائف الاتصال ، أى النصوص ، يقول شميت: للاختبار يظل إلى أى مدى وعلى أى نحو يمكن أن يُنطلق عند تنميط وظائف الاتصال من مجالات نشاط واختصاصات اجتماعية (السياسة والاقتصاد ، والعلم ، والتقنية ، والفن ، والقوانين ، والعقود) قائماً [٥١]. ونرى أن وجهة النظر هذه يجب أن تُراعِى ضرورةً بالنظر إلى أداء مهام اتصالية معينة فى مواقف اتصالية محددة ، أنه بهذا يُستعمل جانب ممكن آخر لتنميط وظائف الاتصال . وهكذا فإن الوظيفة الاتصالية خبر (تقرير) أو أخبار (تقارير) جزء ، نظام فرعي بالنظر إلى نظام طرائق الاتصال . ولكن نمط خبر (تقرير) فى الوقت نفسه أيضاً جزء أو نظام فرعى لأنظمة أخرى ، مثل نظام مجالات النشاط الاجتماعى أو الاختصاصات ، مثل السياسة (تقرير العمل ، وتقرير المحاسبة ، وتقرير اللجنة ...الخ) ، والاقتصاد (تقرير الشحن ، وتقرير الغلال ، وتقرير السوق ... الخ) ، والعلم (تقرير المعرفة (الخبرة) ، وتقرير المرضى ...الخ) ، والتقنية (تقرير المخبر ، والاختبار ، والتحليل ... الخ) ، والفن (تقرير تصويرى، وتقرير الرحلة (السفر) ، وتقرير المعايشة ... الخ) [٥٢]. ولا تعد الإشارات الأخرى لدى شميت إلى القوانين والعقود ، فى رأينا ، ضمن هذا النظام لتنميط وظائف اتصال ، لأنها أجزاء أو أنظمة فرعية من اختصاص آخر ، مجال شئون القانون ، وقائمة على أساس أهداف اتصالية أخرى . ويدخل ضمن السلسلة أيضاً العهد ، والمرسوم ، والاتفاقية ، والأمر ، والعقد غير ذلك . ويمكننا فى إطار جوانب نظامنا لأنماط الاتصال الذى سبق عرضه أن نقول إن هذه الأنماط المتعلقة

---

(٥١) ف. شميت : قضايا أساسية نظرية ومنهجية لتدريب معلمى اللغة الأم ص ٢٢ .

(٥٢) انظر أيضاً س. هويسنجر ، تقرير وتقارير ، فى : Wissenschaftliche Zeitschrift Pädagogisches Institute Magdeburg, H.1, 1972, S. 69. ، وف . شميت / كر . شميت / م – شتارز : حول نظرية لنظام تعبير منطوق ومنطوق وتطبيقه ، ص ١٣٣ ، وم – بفوتسه : حول نمط النص ونمط الاتصال " تقرير " فى الشعر الغنائى ، ص ٨ وما بعدها.

بالمجال تعد من نمط الأعلام المؤكد للموضوع. ويمكن أن تلحق على نحو محتمل بالنظر إلى طرائق الاتصال بالمجموعات I و II و IV . (٥٣) غير أننا مع هـذه الآراء الأخيرة نجد أنفسنا أحيانا فى مصاعب إلحاق النصوص بأنمـاط الاتـصال على نحو أكثر عمقاً مما هى الحال مع ملحوظاتنا الأخرى .

بيد أننا نستطيع أن نقول باختصار إن بحوث أنماط النص بوصفها أنمـاط الاتصال ارتباطاً بجانب النشاط ونماذج اتصال اجتماعية وأشكال التأليف ، وأنماط الكلام ، وأنواع العرض ، والوظائف الاتصالية ، والعلاقات الخاصة بنظرية النظام والأشكال والطرائق الأساسية الفكرية – اللغوية ، على نحو ما فسرناها ، كلهـا تؤدى إلى نظام يعد مناسباً لتشكيل كفاءة الاتصال النشطة للشخصية الاجتماعيـة على نحو يمكن تعليمه . وينبغى أن يبين تقويمنا المسبق لحالة البحث أنه فى هذا المجال فى إطار علم لغة النص الوظيفى وبحث التأثير اللغوى ما يزال هناك الكثير من العمل الرائد لإنجازه ، بل وأن ترسم سبل للحل من جانب آخر أيضاً .

---

(٥٣) انظر ما سبق هامش ٤٤ .

كاريل هاوزنبلاس (براغ)

حول بعض مسائل أساسية في نظرية النص (*)

I- حول مفهوم النص أو أداة الاتصال اللغوية

١- تصدق معرفة وضع وصف ظواهر مورفولوجية ونحوية فى إطار أوسع ، بأن تُبحث ظواهر مورفولوجية علي أساس ظواهر نحوية وظواهر نحوية على أساس النص ، بقدرٍ فائق أيضاً على وصف النص أو أداة الاتصال اللغوية . هذا الرأى لا يشترك فيه فى الوقت الحاضر بأية حال كل اللغويين (انظر النحو التوليدى الذى تُحَد بحوثه بمجال الجملة) .

أما الإطار الذى نضع فيه بحث النص أو أداة الاتصال فهو الاتصال اللغوى، وفيه نختار من ناحية شركاء الاتصال ، وأداة الاتصال ، ونظام وسائل الاتصال ... الخ بوصفها مكونات الاتصال ، ومن ناحية أخرى عملية الاتصال . وفى كل فعل من أفعال الاتصال تجرى عملية الاتصال بشروط محددة للغاية . ويحدث إيصال المعلومات فى أفعال الاتصال من خلال التوليد ، والنقل (ومن المحتمل التثبيت والتخزين ، ومن خلال التحويل أيضاً ، مثل الترجمة .. الخ) ، والإدراك والتفسير لمركبات من إشارات متحققة (متجلية) مادياً ، لها طبيعة العلامات ، أى لمركبات تعمل بوصفها أبنية للتعبير والمضمون ، يُتَضمن فيها محتوى محدد للمعلومات . وقد أشار إلى هذه الحقيقة النحاة اليونانيون القدامى ، إذ كتبوا - دون أن يستعملوا المصطلح - أنه فى أداة اتصال " يقول شخص لشخص شيئاً " . ولا نحتاجٍ إلا إلى أن نوسع هذا الوصف بأنه " فى أداة اتصال يقول شخص لشخص شيئاً على نحو محدد للغاية بقصد محدد وبشروط محددة حول شئ ما بلغة ما " .

(*) عنوان المقالة هو : Karel Hausenblas (Prag)
Zu einigen Grundfragen der Texttheorie pp. 147 - 152
من الكتاب السابق ذكره . PTG 11

وقد اختير هذا التركيب من نظام من الوسائل ، يشترك فى ملكيته شركاء الاتصال إلى حد بعيد . ويمكننا أن نسم هذه الأبنية وفق موقعها فى نظام الاتصال، ووظيفتها فى عملية الاتصال بأنها أدوات اتصال Kommunikate ، ووفق طبيعة بنائها بأنها نصوص Taxte .

ملحوظة اصطلاحية : فى أعمال متأخرة لعلم اللغة التشيكلى تُوصف الوحدة التى أطلق عليها فى أعمالى الأخيرة Kommunikat (أداة اتصال) (بالتشيكية Komunikát) ، بمصطلح promluva (كمالدى ف . مايتوس) و jazkový projev (لدى ب . هافرانك) و enunciace (لدى ف . سكاليتشكا) وعلى النقيض من ذلك توصف بمصطلح النص – إذا استخدمت لذلك فى معنى تقليدى أضيق " أداة اتصال كتابى " – الطبيعة التركيبية المميزة لأدوات الاتصال ، نسيجها ، تبعية الأجزاء للكل وارتباطها به ، والطبيعة الأفقية (السينتجماتية) للنص (بمعنى أوسع) . إن للنص حدوداً ، أما أداة الاتصال على العكس من ذلك فليست محدودة . وفى الاستعمال العالمى الحديث لمفهوم النص لا يُعمل عادة بهذا الفرق ، إذ يفهم تحت نص أداة الاتصال (أيضاً) . وفى هذا المقال تكيفت مع هذا الاستعمال استثناءً .

٢- يُنظَر إلى النص من وجهة النظر الخاصة بنشأته على أنه إنجاز النشاط اللغوى " الفاعل " ونتاجه ، وإنجاز أنشطة الإنسان المرتبطة بذلك ونتاجها ، ومن وجهة النظر الخاصة بعمله على أنه موضوع إدراك المتلقى وتفسيره . فالنص يمتلك خصائص تعد مميزة لنتاجات البشر الموظفة اجتماعياً بوجه عام، هذا نحو مبدأ من مبادئ بناء النص ، مبدأ الأسلوب ، أسلوب النص .

٣- توجد حسب نوع الوسائل المستعملة نصوص لغوية (مع عناصر مصاحبة للغة دائماً) ، ونصوص غير لغوية ، ونصوص خليط (ذات غلبة إما للعناصر اللغوية أو غير اللغوية) . ولا نعالج هنا إلا نصوصاً لغوية سواء أكانت منطوقة أو مكتوبة . وفى النصوص المكتوبة يمكن مع بعض خواصها الأساسية تحديد سمات مميزة كثيرة إلى ذلك . ويجب على سبيل المثال أن تراعى هذه الفروق عند وصف أبعاد النص .

٤- وتقدم إشكالية النص جوانب عدة : الجانب الوجودى والجانب التركيبى والجانب الوظيفى . ومن الأفضل أن تُحدد بنية النص بمقابلة بنمط البنية الثانى الذى يرد فى مجال الاتصال ، أى بمقابلة ببنية نظام وسائل الاتصال (الذى يُسمى غالباً فى الأعمال الحديثة " اللغة " بالمفهوم الأوسع) .

وفيما يأتى أريد أن أشير إلى بعض فروق أساسية بين هذين النمطين للبنية :

٤-١ إن بنية نظام الوسائل متعددة الأبعاد . أما بنية النص فهى أحادية البعد (أفقية)، وفى الواقع أحادية البعد زمنياً ، موجهة إلى اتجاه . ويسرى هذا بجملته على نصوص منطوقة (لا يُمثل فيها صعوبة جزئية محددة للأفقية إلا وجود بعض ظواهر فوق قطعية " تطريزية ") . ومع ذلك فالأفقية فى العادة تعد أيضاً خاصية غالبة فى النصوص المكتوبة ، ففى سلسلة من أنماط النص ترد بُعدية ثنائية أو ثلاثية . إن النص يُبنى بتوالى العناصر . وينمو النص تدريجياً ، ويُبسط معنى النص أيضاً بشكل متتال بتوسيع ما يبلغ فيه وتغييره (عند بناء نص ، لا ينبغى أن يدرك بشكل مباشر ، إذ يمكن للمؤلف أن يؤلف الخاتمة أولاً ، ثم الجزء الأوسط ، ثم جزء البداية آخر الأمر) . وتمثل هذه الدينامية الإجرائية خاصة من الخواص الرئيسية لبنية النص . ومن ثم يجب أن يكون هدف البحث أن تُدرك هذه الدينامية بشكل كاف علمياً. وما تزال الأبنية المفهومية الضرورية لذلك لم يبت فيها .

٤-٢ إن النص له حدود – أما نظام الوسائل فلا حدود له .

٤-٣ فى كلا النوعين من البنية تؤدى العلاقات الرأسية (الجدولية) والأفقية (النحوية) دوراً مهماً ، غير أنها تعبر عن سريانها (استعمالها) على نحو مختلف : فالعلاقات الأفقية تبنى أساس النص (التى تبنى عليها بعد ذلك العلاقات الرأسية) ، وعلى العكس من ذلك تبنى العلاقات الرأسية أساس نظام الوسائل . ويُدمج البناء الأفقى هنا فى البناء الجدولى .

٤-٤ وفى النص تبنى الوسائل المختارة من النظام مركبات ذات قيم متباينة ؛ تكون فيها أنماط الجملة على سبيل المثال ممثلة معجمياً ، متحققة صوتياً أو خطياً ... الخ وفى النظام توصف أجزاء مفردة من هذه المركبات فى الجداول المناسبة لها .

٤-٥ للنص وحده معنىً كلى . فمعانى (وبوجه عام مضمون) المكونات تتوحد فى كُلٍّ مفيد ، وفى الواقع يمكن أن يكون المعنى الكلى ذا طبيعة شديدة التباين، إذ يمكن أن يكون غير واضح ... الخ . وفي نظام الوسائل لا ترد إلا معانى الوسائل المفردة ، وليس للنظام بوصفه كُلاً دلالة كلية (وليس له تبعاً لذلك أيضاً معنى كلى) .

٤-٦ إن النص مرتبط بموقف اتصالى ، وله مؤلف ومخاطب ، ويُقدم مضمونه من منظور - ذات معين ومنظور مكانى وزمانى ... الخ . ولا يصدق هذا على نظام الوسائل بوصفه كلاً .

٤-٧ لا يتضمن النص دائماً أيضاً عناصر نظامية ، ففى النظام لا توجد على العكس من ذلك عناصر ليست لها وظيفة يمكن أن ترد فى نصوص .

٤-٨ يمكن أن تُبنى من نظام ما نصوص عدة . وعادة ما يُبنى نص من خلال وسائل نظام ما ، ولكن ترد حالات أيضاً ، يُبنى فيها نص ما من خلال وسائل عدة أنظمة (ليس الشعر الركيك [*] فقط ، بل نصوص ذات اقتباسات فى لغات أخرى..الخ .

II- حول علاقة نظرية النص بالنظرية اللغوية

١- أُنشئ المصطلحان " اللغة " و " علم اللغة " فى أثناء عملية تطور البحث اللغوى التطبيقى وتدريس اللغة . ويجب أن يُعاد فهم مضمونهما فى إطار علم للاتصال اللغوى يُفهم على نحو واسع تماماً . ولا ينبغى على سبيل المثال أن ينظر إلى هذه الظواهر فقط على أنها لغوية ، يُعبر فيها عن فروق بين لغات (قومية) مفردة ، ولا يوجد فى " المجال فوق النحوى (ما وراء النحوى) لبناء النص أية فروق جوهرية (أو تقريباً) بين اللغات القومية المفردة ، ولكن للمرء صلة هنا أيضاً بظواهر لغوية .

٢- ولما كان الواقع اللغوى لا يكون متاحاً بشكل مباشر إلا من خلال نصوص فإن لعلم النص أهمية أساسية لعلم اللغة بأكمله أيضاً .

(*) ربما يقصد المؤلف هنا بمصطلح makkronische Poesie الشعر المؤلف بلغة لاتينية ركيكة.

٣- ويشكل الجانب المضمونى (بناء معنى النص) الجزء المتكامل للنص . ولذلك لا يمكن أن يصف علم اللغة مجرداً النص فى مجموعه ، وهو يقتصر على وصف بناء الجانب اللغوى للنص . ولهذا السبب يجب أن يتجاوز علم النص حدود علم اللغة (انظر حول ذلك بتفصيل أكثر III) .

٤- يجب ألا تبحث النصوص بشكل مجرد فقط ، إذ يجب أيضاً أن تجرى التعميمات الضرورية على المراحل المختلفة (الانطلاق من المفرد عبر الخاص إلى العام) . وسواء فى مخططات أشكال النص أو فى سلسلة من الظواهر فى نصوص جزئية للوسائل صلاحيةً لبناء نصوص معينة . ويمكن أن تعد هذه الوسائل من الوسائل اللغوية أو تنتظم فى نظام وسائل الاتصال .

III- حول علاقة نظرية النص بالنظرية اللغوية

١- تنتهى سلسلة " المستويات " تقليدياً بمستوى الجملة . فهل يمكن بناءً على ذلك أن يتحدث عن مستوى النص ؟ يتعلق حل هذه المشكلة بما نفهم تحت مستوى (فى النص وفى نظام الوسائل) . ويمكننا أن نقول إن مستوى ذلك المجال الذى توجد فيه تكوينات خاصة للبنية ، تُستخدم فيها وحدات أقل (تُشكل على مستوى من المستويات الأدنى) للتعبير عن وظائف محددة . وفى حالتنا يوفى الشرطان :

(١) النص ذاته هو التكوين الأعلى (الأشد تعقيداً) ، الذى يتحقق فيه الاتصال ، حين نغض النظر عن أوجه ربط معينة للنصوص ، مثل مجموعة من القصص، وحديث فيه إسهامات فى النقاش وما أشبه ذلك . وكما ذكر من قبل يجب أيضاً أن يفرق فى النص بين ما هو مفرد (النص بالتحديد) ، وما هو خاص (الأسلوب وأشكال أخرى للنص وكذلك خواصها المميزة) وما هو عام (خواص مشتركة للنص فى مقابل خواص نتاجات إنسانية أخرى) .

ولا يمكن أن يُقدم مضمون النص " دفعة واحدة " ، فهو تُحقيق فى "جرعات " معينة . ويُبنى النص ببساطة من خلال وحدات جزئية عدة ، تعد مستقلة وتامة نسبياً ، وتزود بإشارة النهاية (وفى النص المكتوب بإشارة للبداية أيضاً) (لا يحتاج النص بوصفه كلاً أن تكون هناك إشارة نهاية خاصة باستثناء إشارة النهاية للوحدة الجزئية الأخيرة) . ويطلق على هذه الوحدات النصية

الجزئية – ويمكن أيضاً أن يتكون النص من تلك الوحدة – فى أعمـال تشـيكية حديثة výpovědi (مفردها "vypověd " مؤنثة – ترجمتها حرفياً = أقـوال أو عبارات).

ولا يوجد فى الألمانية – حسب علمى – تعبيـر مناسـب لهـذه الوحـدة النصية، وفى الترجمات من التشيكية يستخدم مصطلح منطوق Äuβerungعادة. ولكن هذا يثير تصوراً (خاطئاً) ، وهو أن الأمر يتعلق بظاهرة لا تتبع إلا "الكلام ". وفى الروسية يوجد مصطلح vyskazyvanie الذى يستخدم فضلاً عن ذلك أيضاً بمفهوم النص الكلى ، أداة الاتصال . وحيثما لا يتوفر هذا المفهوم يُتحدث ببساطة عن جمل : يتكون النص من جملة أو من عدة جمل . وبـذلك تتكـرر الخاصـية النحوية للجملة ، وكذلك الخاصية النصية لهذه الوحدة النصية . ومن الأفضل أن يُخصص مفهوم الجملة للشكل النحوى المميز ، والشكل المحمولى لوحدة النص . وما يخص الشكل النحوى يمكن أن يكون لوحدة النص ؛ إما شكل جملة (بسيطة) أو ربط نحوى للجملة (جملة مركبة) . ومن المحتمل أن لا تظهر أيضاً فى شـكل محمولى، مثلاً أن يقوم المصدر المجرد بوظيفة وحدة نصية – وذلك فى أوصاف نثرية للحال : ليلة مظلمةٌ ، لا حركةَ .

ملحوظة : فى نصوص مكتوبة ، مستقلة عن نصوص منطوقة ، وتفيـد بقدر جوهرى من الطبيعة الثنائية البعد لهذه الأشكال النصية (لم يستفد حتى الآن من البعد الثالث للنصوص فى شكل جزء ضخم على الإطلاق تقريبـاً) . لا حاجـة لأن يُحقق المضمون المعلوماتى فى سلسـلة وحـدات نصـية جزئيـة بمفهـوم výpovědi– فعادة ما لا تستخدم تكوينات جملية أيضاً . انظر النصوص فى شكل استمارات وقوالب ... الخ . ويمكن أن ترِد بـين الوحـدة النصـية (الصـغرى) المذكورة والنص بوصفه كلاً ، تكوينات مختلفةٌ ، وهى تلك التى يمكن أن يُفرق بينها على مستوى التعبير كفقرات وفصول الخ ، وعلى مستوى المضمون كأجزاء (مثل الوصف ، والتأمل الخ) .

(٢) وتُستخدم فى تكوينات النص وحدات ذات طبيعة متباينة للتعبير عن وظـائف النص : فهى ليست نحوية ومعجمية فحسب ، بل بنائية (مجازات وصور ...) وموضوعية أيضاً (موتيفات بالمفهوم الأدبى ، وأمثلة فى نصوص تربويـة ، وأدلة فى نصوص عملية ، وغير ذلك) .

٢- يكمن الأصل فى عدم الإقرار بمستوى النص فى أن نظام وسائل الاتصال فى مجموعه يتبادل مع نظام تلك الوسائل التى تعد مميزة لجماعة إنسانية معينة . ولما كان هذا التميز من جانب والفروق من جانب آخر تظهر بشكل أشد وضوحاً فى علم الأصوات والنحو ، وكذلك فى المعجم ، فإن المستويات الدنيا فقط قد ضُمِّنت فى مجال مهام علم اللغة . وعولجت إشكالية مستوى النص – بديهى فى إطار نظرة خاصة – فى الأسلوبية والبلاغة والشعرية – وظلت بشكل غير نادر دون عناية .

IV يختص مفهوم " الموضوع " بالجانب المضمونى للنص . وما يزال لم يبحث إلى الآن ما يتعلق بخواصه العامة إلا بحثاً محدود للغاية . ويستخدم مصطلح "الموضوع " بمعان عدة :

(١) الموضوع هو مراد الإخبار ، بوصفه شيئاً واقعاً خارج النص .
(٢) الموضوع المكون الأساسى لمضمون النص (الفكرة الأساسية وما أشبه) .
(٣) الموضوع المكون المضمونى بوجه عام (الموضوع الأساسى ، الموضوع الفرعى) .
(٤) الموضوع المضمون الكلى للنص ، طرح الموضوع ، الجانب الموضوعى مقارنة باللغة والجانب اللغوى بوجه خاص .

وتعد كل هذه المفاهيم استاتيكية ، ومفهوم الموضوع بوجه خاص مهم من جانب إدراك دينامية بناء مضمون النص . ولذلك يُقصَد الآتى ...

(٥) منطلق ما يُسمى التقسيم إلى موضوع – وحديث (بالتشيكية " aktuální členční ") ، التلفظ الموضوعى – المحمولى لمضمون الوحدات الأساسية للنص (" výpovědi ") ، الذى يمثل التقنية المميزة لبسط مضمون النص . والموضوع هو ما يُقال عنه شئ (أى الحديث) ، والحديث ما يقال عن شئ (أى عن الموضوع) .. مع ذلك فإن هذا لا يتعلق بالوحدات الأساسية فحسب ، بل بالنص إجمالا أيضاً .

(٦) وهكذا يتشكل فى مرحلة البداية للنص الموضوع بوصفه مركباً مضمونياً ذو وظيفة أن يقدم للمتلقى توجيهاً فى البناء المضمونى للكل النصى . وتجرى

دينامية هذا البناء بين قطبين ، القطب الأول يقدم موضوع النص الذى سيكون مدار الكلام حوله ، ثم يتضمن الحديث فى النص ، بوصفه القطب الثانى ، نواةَ الإخبار (الإبلاغ) .

٢- بيد أن الأمر عادة ما يكون شديد التعقيد على أساس ظروف كثيرة . ويظهر بشكل أشد وضوحاً مركب الموضوع ومركب الحديث التابع له على مستوى كلية النص فى نصوص الوصف ، وبخاصة ذات الطبيعة العلمية ، حيث يصاغ الموضوع فى الجزء الأول بوصفه موضوعاً للدراسة ، وفى الجزء الختامى الحديث بوصفه حلاً لهذه المشكلة .

٣- وهكذا يمكن أن يُصاغ موضوع النص بشكل واضح ، ومع ذلك يمكن أن يُشتَمل عليه فى النص بشكل ضمنى . ويعد فى كلتا الحالتين ذا قيمة مضمونية وثيقة الصلة سواء عند إنتاج النص أو عند تفسيره أيضاً (انظر "المؤلف يلتزم (أو لا يلتزم) بالموضوع " وما أشبه) . وحين يصاغ الموضوع بشكل واضح (فى العنوان أو الموضوع مثلاً) يوجد توتر بين الموضوع المصاغ والموضوع الضمنى، وهو ما نعزوه لكل نص بوصفه جزءاً أساسياً من بنائه . (ولا تشكل استثناء نادراً النصوص الشعرية " بلا مبنى عليه – ويستخدم مصطلح " بلا مبنى عليه thematisch (a) " بالمعنى الوارد فى (٤) فيما سبق) . وفى بعض أنماط نصية ، شعرية وأدبية بوجه عام يُدرس فى إطار البناء المضمونى للكل الموضوعَ (والظواهر المضمونية الأخرى) على نحو متشعب ، إذ يُحجب ويتبادل ...الخ . ومع ذلك لا يكون كل ذلك ممكناً إلا لأنه خلف كل بناء وتفسير للنص تستقر قواعد أساسية معينة للبناء الدينامى للنص . ويدخل الكشف عن هذا ووصفه ضمن المهام الأساسية لنظرية النص . (ويمكن أن يلحظ الكثير عن المدخل الموصوف هنا إلى إشكالية للنص أو أداة الاتصال اللغوى فى عملى : Výstavba jazykových projevů astyl (بناء أداة الاتصال اللغوى والأسلوب) ، براغ ١٩٧٢ ، مع مختصر بالألمانية .

فرانتيشك دانش (براغ)

حول وضع مستوى للنص (*)

من الأسئلة التي عولجت بالتفصيل في مؤتمرنا السؤال عن وجود أو عن وضع النص أيضاً . وكما لاحظنا في موضـع آخر (دانش ١٩٧١ ،ص ١٢٧) يُستخدم مفهوم المستوى غالباً للغاية في أعمال لغوية ، بـل يُحـدد على نحو شديد التباين . وتُربط المستويات كثيراً جداً بالتصـنيف الطبقـي للنظام اللغوى (اللغة) . وفي حالتنا ينتج عن ذلك السؤال : هل يمكن أن ننظر إلى النص بوصفة جزءاً من النظام اللغوى .

ونص تعريف "اللغة" الكلاسيكي لحلقة براغ كما يأتي : اللغـة نظـام وسائل التعبير المناسبة لغاية (TCLPI, 1929,7). وينتج عن ذلـك أن كـل وحدات اللغة تعمل آخر الأمر – بشكل مباشر أو غير مباشـر – بوصـفها وسيلة اتصال : وليتسنى الاتصال يكمن إذن الهدف العام والأساسي لكل نظام لغوى ، الوظيفة الأساسية للنظام اللغوى في تعليل توافر إنتاج المنطوقـات (النصوص ، أدوات الاتصال). ونطلق على هذه الوظيفة الخارجيـة العامـة للغة . وظيفة المنطوق Äuβerurgsfunktion" . (تشترط وظيفة المنطوق الوظيفة العقلية). وفي التدرج الطبقي للنظام اللغـوى (تـدرج المسـتويات اللغوية) تنعكس الآن حقيقة أن لوحدات النظـام (الجزائيـة) بـالنظر إلـى الوظيفة الخارجية العامة بعداً متبايناً، فكثير منها لا يؤدى هذه الوظيفـة إلا بشكل غير مباشر وسيط (وتؤدى وحدات المستوى الأدنـى هـذه الوظيفـة بشكل غير مباشر للغاية) ، فقط كثير من وحدات المستوى العلوى ، مستوى الجملة يؤدى هذه الوظيفة بشكل مباشر ، غير وسيط، وبتعبير أدق : يمكن أن يؤديها . الجملة فقط ، حيث تستخدم في فعل كلامي، تصير أدنى منطوق،

(*) عنوان المقالة هو :

František Daneš (Prag)
Zum Status der Textebene pp.153-158

من الكتاب السابق ذكره PTG II .

أداة اتصال ؛ فهى تنقل للسامع معلومة فعلية للمتكلم ، تستخدم مقصد تعبير المتكلم بوصفة وسيلة اتصال مباشرة . ولا تؤدى وحدات المستويات الأدنى ألا وظيفة ثانوية ولغوية داخلية . ونصف هذه الوظيفة بأنها وظيفة بناء داخلية . ويمكن في وحدات مستوى أدنى بوصفها وسائل بناء تستخدم لبناء وحدات أكثر تعقيداً للمستوى الأعلى التالى (وترد بناءات أخرى أيضاً ، تظهر عند بناء وحدات أكثر تعقيداً ، ومع ذلك لا تحمل خاصية العلامات ، مثل الوسائل الصوتية ومبدأ الترتيب). وينتج عن ذلك أن العلاقة بين المستويات (من أعلى إلى أسفل) هى علاقة الوسيلة – الهدف (تحديد الوظيفة) . هذه العلاقة يجب أن تفرَق عن علاقة " الدال – المدلول" السيميوطيقية للعلامة اللغوية . وعلى كل مستوى – باستثناء المستوى الصفرى الفونيمى – للوحدات خاصية العلامات ، بحيث تكون لكل مستوى خطة تعبيرها الخاصة ، وكذلك خطة معناها . ومع ذلك " للخطط " وضع نظرى آخر توصفها مستويات (انظر حول ذلك فولكوف ١٩٦٧) .

وعلى هذا النحو يمكن أن تدرك مستويات النظام اللغوى بوصفها قسماً للوحدات اللغوية ، التى تظهر درجة بذاتها للتعقيد الرأسى الوظيفى)، وتؤدى فى الوقت ذاته وظيفة البناء ذاتها (انظر حول ذلك بتفصيل أكثر ١٩٧١، ص١٢٩) .

ونريد الآن بناء على هذه الخلفية النظرية أن نناقش بإيجاز مشكلة مستوى النص . ونريد ابتداء من أجل هدفنا أن نحدد النص بأنه منطوق لغوى ، يتميز بأن نقلَ المعلومة (الاتصال) يعد أساسه قصد (مقصد) المرسل ، الذى يقبله (يفهمه) ، أى المتلقى .(وتعد الشروط التركيبية للنص محددة فى التعريف من خلال مصطلح "منطوق لغوى").

وينتج عن ذلك أنه لا يفرق بين مصطلحى " نص" و"منطوق (لإدارة اتصال)". ويمكن أن يميز بين منطوقات دنيا (التى نريد هنا أن نطلق عليها ببساطة" أقوالا أو عبارات") ومنطوقات معقدة . ويحصل تعبير لغوى ما على وظيفة قول إما على أساس شكله النحوى المميز" المؤلف للمنطوق" (شكل الجملة)، وإما على أساس الموقف فقط الذى يستُخدم فيه من قبل المتكلم

(يضاف أيضاً فى كلتا الحالتين التنغيم).أما أقوال النمط الثانى فليست لها أشكال الجملة . ويمكن أن يدرك شكل الجملة بوصفة " النموذج النحوى للجملة " (أو نموذج التكوين الجملى) . ومن الواضح أن للأقوال الجملية وحدها وضع وحدات النظام اللغوى .

ويجب كذلك أن يُنبه فى هذا السياق إلى أن لوحدات النظام اللغوى صيغة وجود (مجردة) محتملة : فهى توجد بوصفها حقائق الوعى الاجتماعى لجماعة لغوية معينة ، ويستخدمها أعضاؤها فى أفعال كلامية فردية محددة (ومواقف كلامية) بقصد محدد للاتصال . وينتج عن ذلك فرق أساسى بين قول بوصفه " حدثا كلامياً ، وقول " فى الإمكان (أو فى شكل مجرد) ". وبينما لأحداث القول إحالة فعلية معينة دائماً ، فإنه ليس للأقوال فى إمكان " إلا احتمال للإحالة ، يرتكز على دلالتها (دلالة النظام "المعنى")[1] (وَجَدَ فرضى القديم هذا فيما بعد تأكيداً له عند بعض المناطقة ، ولاسيما ستروسَن، انظر ثلاثية : (١) جملة ،(٢) استعمال لجملة ،(٣) منطوق جملة).

وتؤدى بنا أفكارنا الحالية إلى نتيجة وسؤال أيضاً:

(١) هل من الضرورى لأن يفترض مستوى نصى للنظام اللغوى وجوبُ أن تفترض " النصوص فى حال إمكان " تجريد " بوصفها وحدات هذا المستوى ؟

(٢) ما الذى ينبغي أن ينظر إليه على أنه وحدة مستوى الجملة حين ترد الجملة بوصفها أصغر نص أيضاً ؟ وقبل أن نجيب عن هذا السؤال نريد أن نضع الحقائق الآتية فى الاعتبار :

(٣) الجملة هى الوحدة الأولى للغة التى يمكن أن تقوم فى تدرج المستويات اللغوية بوظيفة وحدة اتصالية ممكنة (منطوق ، أداة اتصال ، نص). ويظهر وضع نظام الفونميات والمورفميات وصيغ المفردات غير

---

(١) انظر حول ذلك صياغة تروست (١٩٣٦،ص٢٩١):بسبب معناها على خطة اللغة للكلمة القدرة على أن تعنى موضوعات (أشياء) على خطة الكلام .وقد حدد ديك (١٩٦٨،ص٧١) مفهوم القدرة الاحالية تحديداً موفقاً.

إشكالى ، وتُقبل دون شك لأننا نضع نصب أعيننـــا حقيقـــةَ أن هـــذه الوحدات لا تجد فى فعل كلامى (خارج إطار قول جملـــى) اســـتعمالاً تواصلياً مباشراً ومستقلاً .

(ب) تعد نماذج البناء (القواعد) بالنسبة لبناء الجمل (والتكوينات الجمليـــة) أكثر وفرة وأشد اختلافاً ومرونة (مقارنة بالنماذج التـــى تعمـــل علـــى المستويات الأدنى) ، بحيث تتيح بناء كم ضخم من وحدات ذات أطوال متباينة ودرجة تعقد أفقى (كمى) بشكل مختلف .

(جـ) بينما يُقَر لوحدات المستويات الأدنى دون صـــعوبات بأنهـــا علامـــات لغوية ، ويمكن أن يحدد معناها بسهولة،فإنه فى حالة الجملة التى تعد علامة شديدة التعقيد [٢] ، يُربط نهج مشابه بصعوبات كثيرة للغاية ، لم يُتقدم للتغلب عليها الآن بمقترحات كافية للحل .

(د) من أدنى إلى أعلى يصير عدد الوحدات على المستويات المفـــردة أكبـــر باستمرار ، وبينما يمكن أن يحُدد بالتقريب عـــدد المفـــردات (لأهـــداف عملية)، وهو ما تؤكده المعجمات (مع أن حدود أى معجم على أســـاس الأبنية المحتملة للكلمات،والكلمات المقترحة ، وكذلك الإبداعات الدلاليـــة تظل مفتوحة دائماً) ، فإن عدد الجمل لا يمكن تحديده .ولكن لما كان من الممكن أن يوصف الإنتاج المنظم للجمل (والتكوينات الجملية) بواســـطة نماذج الجملة والقواعد، التى تعمـــل علـــى كـــم وحـــدات المســـتويات الأدنى،فإن قائمةً لكل الجمل لا يمكن أن تُوضع، وليست ضرورية .(بيـــد أنه جانب آخر لا يمكن أن يوصف بناء الوحدات على المستويات الأدنى بهذه الطريقة التوليدية إلا بشكل جزئى).

(و) يقع عدد وحدات مستوى معين فى علاقة عكسية مع تكرار المســـتوى ذاته بوصفه جزءاً من وحدات مستويات أعلى .

وينتج عن ذلك أن تحسب الجملة له من ناحية محددة خاصيةً حدية. ويمكن بالتأكيد أن تحسب نموذج الجملة (أو نموذج التكوين الجملى) وأوجه

---

(٢) انظر حول ذلك جودل (١٩٦٦ ، ص ٤٨٩) .

اطراد أخرى لبناء الجملة من النظام اللغوى بمفهوم محتوى النظام لوحدات لغوية [٣] . ومع ذلك فقد يكون من الخطأ أن ينظر إلى الجمل (الأقوال الجملية) ، أى نماذج جملية مقيدة معجمياً ،على أنها وحدات الكلام فقط . وكما بينا ، لا تكون جملة ما وحدة كلام ألا حين (الأقوال الجملية) فى حال الإمكان من اللغة ، ولكن فى هذه الناحية نتخلى عن تصور دى سوسير للنظام اللغوى بأنه مخزون (رصيد) [٤] .

وقد أشار تروست (١٩٣٦) فى تأكيد إلى حقيقة أن وحدات المنطوق لا يمكن أن يكون لها الا سرياناً محتملاً : يرتكز الكلام على اللغة ، ويتجاوزها فى الجملة ، فى علاقته بالأحوال . وتهيئ اللغة الجملة، وترصد وسائل بناء الجملة(حتى المخططات الجملية العادية) ،ولكن الجمل فى ذاتها لم تعد تتبع اللغة المتكاملة . وللغة رصيد ثابت من الفونيمات والمورفيمات... الخ ، ولكن ليس للجمل : فالجملة المبنية بوصفها لغة متحققة ، إنجازاً لغوياً ، متخطية اللغة . ويكمن التحقيق الأساسى للموضوع المثالى ، اللغة فى التشكيل الخلاق للأحوال – فى الاستفادة من نظام الأبنية اللغوية فى كلام بجمل . وهكذا ليس التحقيق الأساسى للغة هو التحقيق

---

(٣) انظر حول ماتيوس (١٩٣٦) : " ... فى اللغة لدينا ... الجمل بوصفها نماذج مجردة ... يذكرنا هذا بفهم دى سوسير الذى فسره جودل (١٩٦٦ ، ص ٤٩٠) . فالجمل تتبع " اللغة " بقدر ما تكون نماذج الجمل مدركة فى الشفرة .

(٤) إن وضع الجملة لدى تشوموسكى أيضاً ليس واضحاً . ويبرز من آرائه أن الجملة تتبع اللغة (اللغة مجموعة من الجمل – انظر " أبنية نحوية ٢-١) ، ولكن لا يجوز فى ذلك أن تتماهى " اللغة " مع الكفاءة اللغوية ، ولا مع الأداء اللغوى (انظر : جوانب نظرية النحو ، ص ٨ و ٩) : يصف النحو التوليدى المعرفة اللغوية ، معرفة المتكلم / السامع باللغة ، أى الكفاءة اللغوية " ، بالنحو التوليدى ، أعنى بها ببساطة مجموعة القواعد التى تعزو أشكال الوصف التركيبى للجمل ... " (انظر حول ذلك نقد ليب ١٩٦٨) .

الخارجى فى الكلام الفردى الفعلى ، بل يمكن أن يكون للكلام وجود كامن (ص ٢٨٩) . وقد عنى سكاليتشكا أيضاً بهذه الإشكالية [٥] .

يمكن للمرء إذن أن يقرر أن تأسيس مستوى جملة فى النظام اللغوى يطابق شرطين لمثل هذا النهج: تمثل الجملة الإطار الوظيفى لاستخدام وحدات المستوى الأدنى اللاحق (أى لصيغ المفردادات) و(بالنظر إلى المستوى الأعلى) تمثل الجمل فى الوقت ذاته وسائل البناء لمستوى النص، لوحدات"ما فوق الجملة" ، لوحدات"متجاوزة الجملة ".

ومع ذلك يبدو خلافياً ما إذا كان مستوى النص أيضاً يطابق شروطنا لتأسيس مستوى مستقل . ولا تمثل حقيقةُ - أن الجملة أو التكوين الجملة (الجملة المركبة) يمكن (ولكن لا يجب) أن يقوم بوظيفة أدنى منطوق ، أى نص ، لأنه فى الأغلب لا يقوم إلا بوظيفة جزء من نص - الأساسَ لرفض مستوى النص ، لأن هذه الحقيقة توضح بأنه توجد فى اللغة ظواهر حدية أو ظواهر نقل ، وأن اللغة لا تبنى بناء " نموذجياً " ؛ فى حالتنا يتعلق الأمر " بالعمل المتزامن " لوحدة ما على مستويين متجاورين (يمكن آخر الأمر أن تقوم صيغة الكلمة أيضاً بوظيفة الجملة)[٦] .

بيد أن الفيصل هو حالة إذا ما كان لوحدات مستوى النص وظيفة مميزة . ومن الواضح أن وحدات النص تُكَوَّن من جمل ، وأن الجمل أجزاء وحدات النص، بحيث أن لهذه الوحدات درجةَ تعقد أعلى . غير أنه قد يتعلق الأمر خلاف وظيفة نص مميزة بتعقد كمى وأفقى فقط ، وليس بتعقد رأسى (وظيفى) .

---

(٥) انظر بوجه خاص سكاليتشكا (١٩٦٨ ، ص ٣٥) : يعقب هذا كله أن " اللغة " فى جملة أضعف كثيراً منها فى " كلمة " . ولكن من جانب آخر " كلام " الجملة أقوى من " كلام " الكلمة ... الاختلاف الأساسى بين جملة ومنطوق أطول هو الافتقار إلى النحو فى المنطوق الأطول . ولذلك يختزل اشتراك اللغة بشكل مُعلَّم ، وبالنسبة للنحو فالدعامة الأساسية للغة فى الجملة .

(٦) يوجد لدى دانش فى (١٩٧١) شرح مفصل للملامح " غير المثالية " للنظام اللغوى .

وقبل أن نصل إلى إجابة مؤقتة ، ينبغى أن يُعالج بإيجاز بعض حقائق ، تؤيد أو تعارض تأسيس مستوى نصى .

(١) بالنسبة لتكوين النص وعلاقات النظام بين جمل فى فقرة أو فى وحدات نصية أخرى ، توجد قواعد (ونماذج) . ولأوجه الاطراد هذه خاصية لغوية إلى حد بعيد (ومن ثم ليس من الحكمة أن نَسِمها بأنها نحوية أولاً) .

(٢) لا تثبت نماذج التركيب (الإطار الوظيفى) للفقرات وكليات نصية أخرى إلا بصورة أقل أساساً ، أقل تحديداً وأقل عمقاً ووحدة .وعددها أكبر أضعافاً منه مع وحدات المستويات الأدنى .

(٣) يعد تعيين وحدات النص أقل وضوحاً ، بل أكثر عشوائية (بل تكون تجزئة اللغة اليومية إلى جمل مفردة أيضاً واضحة فى الغالب) .

(٤) يعد موضع تساؤل أنه هل من الجائز أن ننظر إلى وحدات النص على أنها علامات لغوية (بالمفهوم التقليدى) .

(٥) أشرنا فيما سبق إلى أن جانب مخزون النظام اللغوى (خلافاً لجانب القاعدة والنموذج له) يختفى على مستوى الجملة .

ومع ذلك فقد يكون من الممكن أن يُنظر إلى كم لا نهائى بصورة محتملة لجمل لغة ما بمفهوم محدد على أنها جزء من مخزون اللغة [٧] . غير أن المرء لا يمكن أن يتصور إلا بصعوبة أن كم كل النصوص الممكنة (أو أجزائها وفقراتها...الخ) فى لغة معينة تُدرك بوصفها وحدات مخزون وسائل المنطوق النظامية .

(٦) نبه هاوزنبلاس (١٩٦٦) إلى تلك الحقيقة المهمة، وهى أنه لا يُعزى معنى (أى دلالة موقفية و/ أو دلالة يحتمها السياق) إلا إلى نص (أداة اتصال) ، فى حين ليس للوسائل العلاماتية للنظام اللغوى إلا دلالة مفهومية ، تحتمها البنية.

---

(٧) ليس من الواضح تماماً ، كيف يُحدد مفهوم " مخزون / رصيد " . وحين نعد الكم الكلى للجمل مخزوناً، فإنه لا يجوز لنا أن نقصر المخزون على وحدات تتوافر بوصفها وحدات مختزنة فى الذاكرة .

ومن المقبول فى رأينا أن يفترض فى تدرج مستويات النظام اللغوى مستوى نصى ، غير أنه يطرح بذلك السؤال الآتى : هل لم نتخلَّ بذلك عن تصور دى سوسير للنظام اللغوى . على أية حال لا يقع مجال النص خارج مجال علم اللغة بالمفهوم الحقيقى له . فدى سوسير نفسه قد أكد أنه : (ليس ذلك كل شئ... أن يُعزى إلى اللغة ، لا إلى الكلام ، كل أنماط الوحدات النحوية التى تُبنى وفق قواعد مقررة . (المحاضرات : الفصل الخامس ، ثانياً) . وبناءً على ذلك يُبين المقطع الأخير من هذه الفقرة أن تأسيس مستوى نصى من المحتمل هنا أيضاً أن يلقى دعماً معيناً : ولكن يجب أن يُقر بأن ذلك فى مجال لا توجد حدود واضحة بين الواقعة اللغوية التى تكون علامتها الاستعمال العام ، وواقعة الكلام التى تتبع الحرية الفردية ... ومن الممكن أن يقبل بعض علماء اللغة نحو النص بوصفه فرعاً لغوياً مقبولاً ، دون أن يقر مع ذلك بوحدات النص فى حال إمكان (فى حال تجريد). ولا يبرز الفرقَ بين " حدث النص " و " نص فى حال إمكان " بوضوح بأية حال مثلُ هذا الفصل على مستوى الجملة . ومع ذلك – لو أردنا أن نكون منطقيين – فمن الممكن والمسوغ ، بل الأولى من الضرورى أن يُسلم بوحدات النص هذه . (ثمة مسألة مفتوحة هى فى نظرنا العدد الممكن لمستويات النص : من المحتمل أن يوجد فرق بين " مستوى الفقرة " ، و " مستوى الخطاب " فى درجة متباينة للتعقيد الأفقى أكثر مما فى التعقيد الوظيفى)

قائمة المراجع

DANEŠ, F. (1971): On linguistic strata (levels); in: TLP 4, S. 127-144

DANEŠ. F.. K. HAUSENBLAS (1969): Problematika urovnej s točki zrenija struktury vyskazyvanija i sistemy jazykovych sredstv; in: Jedinicy raznych urovnej grammatičeskogo stroja jazyka i ich vzajmodejstvie. Moskva, S. 7-20

DIK. S. C. (1968): Referential identity; in Lingua 21, S. 70-97 GODEL, R. (1966): F. de Saussure's theory of language; in: Current trends in linguistics 3, The Hague, S. 479-493

HAUSENBLAS, K. (1966): Über die Bedeutung sprachlicher Einheiten und Texte; in: TLP 2, S. 59-7,0

LIEB. H.-H. (1968): Zur Kritik von N. Chomskys Theorie der Ebenen: in: Lingua 19, S. 341-385

MATHESIUS, V. (1936): On some problems of the systematic analysis of grammar; in: TCLP 6, S. 95-107

SKALICKA.V. (l 948): The need for a linguistics of la parole: in: Recueil Linguistiquede Bratislava, Bratislava S. 2- 38

TROST, P. (1936): Bemerkungen zum Sprachtabu; in: TCLP 6. S. 288-294

VOLKOV, A. G. (1967): .Uroven kak ponjatie teorii i kak javlenie struktury jazyka; in: Urovni jazyka. Tezisy dokladov. Moskva. S. 44- 46

فرانتيشك دانش (براغ)

حول البنية الدلالية والموضوعية لأداة الاتصال (*)

- يمكن أن يُفهم بطريقين ، إما نحوياً وتركيبياً محضاً بوصفه تسلسلاً من جمل (منطوقات) أو تحليلياً ووظيفياً بوصفه أداة اتصال شاملة ، يمكن في أغلب الحالات أن تُفرع إلى وحدات اتصال أصغر (ويمثل المنطوق إذن أصغر وحدة اتصال أساسية) .

ويمكن أن ينظر إلى هذين النوعين من تناول النص على أنهما متكاملان .

١ـحول البنية الدلالية لأداة الاتصال

١-١ بادئ ذى بدء يجب أن يُقرر ما الذى ينبغى أن يُفهم على المستوى الدلالى للاتصال على أنه وحدة اتصال أساسية .

لقد أشار ف . انجلز (١٩٦٣ ، ص ٣٦١) إلى أن " العالم لا يدرك بوصفه مركباً من أشياء جاهزة ، بل بوصفه مركباً من عمليات " . ويبرز كيكلسن (١٩٧٢ ، ص ١٤١) بحق أن الواقع المعطى بشكل مباشر يصور عمليات ، ووقائع ، وحقائق (أى وضع الأشياء ، الأحوال) فى حدودها المكانية والزمانية ، لأن المرء لا يجد التعبير اللغوى لهذه العمليات الخ فى كلمات مفردة ، بل فى جمل. ويقر بهذا الفهم الدينامى للعالم (وطبقاً لذلك للدلالة اللغوية أيضاً) ، الذى يصفه العلم الماركسى بأنه نمطي وأساسى ، علماء متقدمون آخرون . وهكذا فمن الأهمية بمكان أن ينتقد مثلاً أبو السبرانية ، ن . ڤينر بقاء الرؤية السكولاتية (الثابتة ، غير الدينامية) القديمة للعالم ، التى أُعْلِيَ فيها الاسم ، ولم يُعط الفعل إلا دوراً ثانوياً .

(*) عنوان المقالة هو : František Daneš (Praha)
Zur semantischen und thematischen Struktur des Kommunikats . pp. ٢٩ : ٣٩من الكتاب السابق ذكره PTG II .

وبناء على هذه الاعتبارات يصير واضحاً أن الوحدة الأساسية الدلالية الجوهرية تصور الصياغة المميزة لغوياً لحال معينة ، تنعكس فى وعى أعضاء جماعة إنسانية معينة . وأختار لهذه الوحدة المصطلح قضية (أو المعنى القضوى أو التسمية القضوية – انظر كيكلسن (١٩٧٢) ، وسربرنيكوف (١٩٧٢) ، وانظر أيضاً دانش (١٩٦٨)) . وبهذا المعنى تكون القضية بنية حملية دلالية ، تتكون من محمول وموضوع أو عدة موضوعات (مشاركين) . (يتعلق الأمر فى الغالب بمحمولات علائقية ، فلا توجد محمولات إجرائية فقط ، بل محمولات غير إجرائية أيضاً) . ويمكن أن تعمم الأبنية القضوية ، وتقدم فى شكل صيغة دلالية (ص د) . وتتكون الـ (ص د) من رموز لمركبات روابط (أو وحدات وظيفية أخرى) ومن رموز لمتغيرات المشاركين ، مثال ذلك : س ل ص ، هـ (س) . وبتعبير آخر : تمثل القضية صيغة دلالية ص د (مميزة) مثبتة دلالياً . [1]

وتقدم الجملة بوصفها شكلاً نظامياً مميزاً لمنطوق (بوصفها وحدة أساسية اتصالية) التعبير اللغوى الأساسى (الشكل اللغوى الأساسى) . ولكن يمكن أن يعبر عن قضية بشكل ثانوى ، أى ليس من خلال أشكال الجملة (ومن ثم فليست اتصالية) . وفى تلك الحالات يتعلق الأمر بتعبيرات اسمية مختلفة (التحويل الاسمى بالمفهوم الأوسع) ، لا تؤدى وظيفة منطوق ، بل تستعمل كمكونات منطوق الجملة . ويمكن أن يُفرق بين قضية فعلية وقضية غير فعلية . ويبرز من ذلك أن حدود القضايا لا يجب أن تتطابق مع حدود تحقيقات مفردة (منطوقات الجملة) : ففى منطوق الجملة (فى جملة بسيطة أو تكوين جملى " جملة مركبة ") يمكن أن تُكثف عدة قضايا .

١-٢ يستنبط مما قيل إلى الآن مفهوم القضية الأساسية والصيغة الدلالية وينتج السؤال الآتى : على أى نحو وبأية نتيجة يؤلف بينهما . [2]

---

(١) يوجد عرض أكثر تفصيلاً لأبنية ص د لدى دانش (١٩٧١) ولدى دانش ، وهلافسا ، وكورنسكى (١٩٧٣) .

(٢) انظر حول ذلك حديثاً محاولة هـ . فان دن بوم (١٩٧٥) .

وتعد قضية أساسية (بسيطة) تلك القضية التى تضم معانى موضوعية فقط، وليست " قضوية " فى مواضع المشاركين ، وبعبارة أخرى : تلك القضية التى تطابق صيغة دلالية أساسية .

وتعد صيغة دلالية أساسية تلك الصيغة الدلالية التى تتضمن ثوابت (علائقية) ومتغيرات أساسية فقط . وليست المتغيرات الأساسية هى تلك المتغيرات التى لا تعد صيغة دلالية .

ونريد أن نبين إمكانات الائتلاف للقضية بمقطع نصى فى بديلين :

١) i) سخَّن ڤولر الأمونيوم سيانيد . (ii) أكد أنه من خلال ذلك أنها تتحول إلى بولينه . (iii) هذه المادة لم تكن تعرف إلى الآن إلا منتجا للكائنات الحية .

٢) حين سخَّن ڤولر الأمونيوم سيانيد ، أكد أنه من خلال ذلك أنها تتحول إلى بولينه ، وهى لم تُعرف إلى الآن إلا منتجاً للكائنات الحية .

ويمكن أن تقدم البنية الدلالية القضوية لهذا المقطع النصى من خلال صيغة دلالية مركبة :

ص د (i) : س ف ((°ص ن خـ ١) ت (°ص ن خـ ٢))

ص د ١

ص د (ii) : {س م ع (ص د١ ف (ص ت ب)) ت س [م ع (ص د١ ف (ص ت ب))}

ص د (iii) ك م ع {حـ ف (و ب) ت (و ب))}

توضيح للرموز :

١- ثوابت (مركبات روابط ووحدات وظيفية أخرى)

ف = فاعل ، ك = كفاءة ، ت = تحويل (تغيير) ، م ع = ملكية عقلية ، و = وجود ، ــــ = نفى .

٢- متغيرات أساسية واستشهاد دلالى لها

س ~= ڤولر ، ص ~= أمونيوم سيانيد ، خـ١° ، خـ٢° ~ درجات متابينة لخاصية نسبية (ساخن) ، ب ~= بولينه ، حـ ~= كائنات حية ، ن ~ = كيان إنسانى غير محدد .

٣- رمز مساعد ص د لكل صيغة دلالية غير محددة

كل هذه الصيغ الدلالية الثلاثة تقدم ائتلافاً لصيغ دلالية أساسية ، ومع ذلك لكل بنية ائتلافية بناء متدرج : فيجب على المرء أن يحسب حساباً لدرجات من التعقيد الداخلى للصيغة الدلالية ، أو بتعبير آخر ، تتبع الصيغ الدلالية درجات متباينة للتعقيد . وفى مثالنا يتعلق الأمر بمبدأ ائتلافى لدمج (تشبيك) متكرر متعدد الدرجات للصيغة الدلالية .[٣] ويُطابق رقم درجة القضية رقم درجة الصيغة الدلالية التى تعد أساساً لها . ويُحدد رقم درجة صيغة دلالية وفق القاعدة الآتية : ص د^{ن} هى تلك الصيغة الدلالية التى تتضمن على الأقل ص د$^{ن-١}$ (فى موضع متغير) وليس ص د$^{ن+١}$. ويُنظر إلى ص د الأساسية بوصفها ص د^{٠} .

والآن ينبغى أن يُبين الدمج (التشبيك) المتكرر للقضايا بمثالنا :

رتبة O- ^{٠}قضية$_{١}$: الأمونيوم سيانيد فى حال درجة حرارة منخفضة نسبياً .

^{٠}ص د$_{١}$: ص ن خـ$^{٥}_{١}$

^{٠}قضية$_{٢}$: الأمونيوم سيانيد فى حال درجة حرارة مرتفعة نسبياً .

^{٠}ص د$_{١}$: ص ن خـ$^{٥}_{٢}$

^{٠}قضية$_{٣}$: وجود بولينه

^{٠}ص د$_{٣}$: و (ب)

^{٠}قضية$_{٤}$: تحول الأمونيوم سيانيد إلى بولينه

^{٠}ص د$_{٤}$: ص ت ب

رتبة ١-^{١} قضية$_{١}$: تسخين الأمونيوم سيانيد

^{١}ص د$_{١}$: (^{٠}ص د$_{١}$) ت (^{٠}ص د$_{٢}$)

^{١}قضية$_{٢}$: بولينة منتج كائنات حية

^{١}ص د$_{٢}$: حـ ف ((^{٠} $\overline{\text{ص د}}$$_{٣}$) ت (^{٠}ص د$_{٣}$)

رتبة ٢-^{٢} قضية$_{١}$: تسخين ڤولر للامونيوم سيانيد

---

(٣) يُعكس بمصطلح " دمج " هنا اللفظ الذى صاغه أو . ڤاينرايش " تشبيك " (على مستويات مختلفة) ، الذى أخذه كيكلسن أيضاً (" vkljúčenie ")

^{٢}ص د $_{١}$: س ف (^{١} ص د $_{١}$)
^{٢}قضية $_{٢}$: تحول الأمنيوم سانيد إلى بولينه من خلال التسخين
^{٢}ص د $_{٢}$: (^{١} ص د $_{١}$) ت* (ص د$_{٤}$)
^{٢}قضية $_{٣}$: المعرفة الحالية للبولينه بوصفها منتج كائنات حية فقط
^{٢}ص د $_{٣}$: ك م ع (^{١} ص د $_{٢}$)

رتبة ٣-^{٣} قضية $_{١}$: تقرير فولر بأنه من خلال التسخين يُحول الأمونيوم سيانيد إلى بولينه
^{٣}ص د $_{١}$: (س م ع (^{٢} ص د $_{٢}$) ت (س م ع (^{٢} ص د $_{٢}$)

ولا يمكن أن يستخدم مبدأ التشبيك بشكل لا يُحَد . ففى مثالنا تنتهى إمكانية التشبيك عند الدرجة الرابعة .. من طبيعة الصيغ ^{٢} ص د $_{١}$ ، و ^{٣} ص د$_{١}$ ، و ^{٢}ص د $_{٣}$ أنه لم يعد فى الإمكان أن تأتلف فى إطار ص د (صيغة دلالية) أعلى ، ويعنى هنا أن المرء لا يستطيع أن يبنى من القضايا الثلاثة المقررة قضية أعلى ، قد تشتمل على النص كله . وترتكز أوجه الربط النصى لـ ^{٢} قضية $_{١}$ + ^{٣} قضية$_{١}$ + ^{٢} قضية $_{٣}$ على علاقات دلالية تنتج نوعاً آخر بوصفها علاقات قضوية . (سوف نعود فيما بعد إلى هذه الإشكالية) .

٣-١ من البديهى إلا يُستنفد المضمون الدلالى الكلى لمنطوق الجملة فى المعنى القضوى : فالقضية تُعدل على نحو مختلف . ويمكن للمرء أن يدخل (بشكل تخطيطى) التعديلات (العمليات) الآتية : التحديد الكمى ، والتطابق ، والتدرج، والتنشيط ، والتعيين المنظورى . وفى سياق موضوعنا نريد الآن أن نعنى بإيجاز بالتدرج [٤] .

قد تبين أنه يمكن أن يكون لنصين مختلفين شكلاً (أى نص (١) ، ونص (٢)) معنى قضوى واحد هو نفسه . فيُبحث عن الفرق الدلالى بين (١) و (٢) (وبين بدائل نصية ممكنة أخرى) إذن فى مجال تدرج مكونات القضية . ويجب أن

---

(٤) انظر دانش ، ف . ك . هاوزنبلاس (١٩٧٤) .

يوضح فى الاعتبار إلى جانب هذا التدرج " القضوى الضمنى " التدرج " القضوى الداخلى" أى يعمل التدرج على مستويات مختلفة للرتب ، ويمتلك وسـائل تعبيـر مختلفة . فتوجد وسائل مورفولوجية ومعجمية ونحوية (وسائل البناء) .

أ) التدرج القضوى الضمنى (*) (بديل نصى (١))

رتبة O- ° ص د ٤ : ص ت ب

ليس ب ت ص ، أى العلاقة العكسية .

° قضية ٤ : ص تحول إلى ب (ولكن ليس : ب ينشأ من ص)

رتبة ١- ١ ص د ١ : (ص ن خـ ٥/١) (ص ن خـ ٥/٢)

غير محتمل من جهة التدرج

١ص د ٢ : حـ ف (و ب) ت (و ب))

١ قضية ٢ : ب كانت معروفة منتجاً لـ حـ (ولكن ليس : حـ (كانت معروفة) منتجاً لـ ب)

رتبة ٢- ٢ ص د ١ : س ف (١ص د ١)

٢ قضية ١ : تركيب مبنى للمعلوم (مع س فـى موقـع نحـوى ١ س ١ (نحوياً للفاعل)

٢ ص د ١ : (١ص د ١) ف (° ص د ٤)

٢ قضية ٢ : تركيب مبنى للمجهول

٢ ص د ٣ : ن م ع (١ ص د ٢)

٢ قضية ٣ : ب كانت ... معروفة (وليس : ن عرفته)

رتبة ٣- ٣ ص د ١ : س م ع(٢ ص د٢) ت (س٣ م ع (٢ص د٢))

٣ قضية ١ : تركيب مبنى للمعلوم (جملة مركبة) . للقضية المدمجـة – شكل جملة فرعية ، تحول فيها القضية ٢/٤ المدمجة إلى بناء المعلوم، والقضية١ فى شكل ضمير (من خلال ذلك تدمج فيها) .

---

(٥) يُشار بالرمز ب إلى المكون المبرز للتدرج .

ب) التدرج القضوى الداخلى

أ) بديل نصى (١) : ٢ ص د٠١ + ٣ ص د ١ + ٢ ص د ٢

لا تدرج (ثلاثة منطوقات جملية مستقلة)

ب) بديل نصى (٢) : ٢ص د ١ + ٣ص د ١ + ٢ ص د ٢

تدرج ذو طبقتين : ٣للقضية ١ شكل جمل مركبة (البنية الداخلية هى ذاتها انظر ما سبق رتبة ٣-) ؛ ٢ قضية ١ تحول إلى بناء للمعلوم ، وتعطف بوصفها جملة فرعية ، ٢ قضية٢ لا تحول إلى بناء للمعلوم ، ولا تعبر إلا بوصفها صفة اسمية

إمكانات أخرى (بشكل تخطيطى فقط)

جـ) ٢ ص د ١ + ٣ ص د ١ + ٢ ص د ٢ فى أثناء التسخين ... قرر فولر ... الذى إلى الآن

د) ٢ ص د ١ + ٣ ص د ١ + ٢ ص د ٢ فى أثناء التسخين ... قرر فولر ... أن... هذه المادة ....

هـ) ٢ ص د ١ + ٣ ص د ١ + ٢ ص د ٢

١-٤ فى هذا المقام نريد أن نحاول أن نعيد تفسير مفهوم " التكثيف " . يتعلق مفهوم التكثيف بالعلاقة بين المعنى والشكل فى تعبير لغوى . فحين يمكن أن تعبر عن بنية دلالية قضية هى ذاتها بأشكال عدة ، حيث يُقوِّم أحد هذه الأشكال بأنه الأساسى ، وبناءً على ذلك هو الأوضح ، فإننا نعد الشكل الآخر (أو الأشكال الأخرى) " مكثفات " ، ونصف التعبيرات اللغوية المطابقة بأنها " مكثفة " .

وحين نقوم فى حالة قضية ما شكل الجملة بأنه الشكل الأساسى ، الأكثر وضوحاً، فإنه تنشأ إمكانية أن يُدرك التكثيفُ على أنه التناسب بين عدد القضايا الأساسية وعدد القضايا المنشطة . فحين تتضمن مثلاً جملة مركبة ٨ قضايا ، ولكنه لا يتكون إلا من ٣ جمل (أى قضايا منشطة) ، فإنه ينشأ عن ذلك أن خاصية " التكثيف " فى هذه الجملة المركبة لا يمكن أن تقوم إلا بالنسبة ٨ : ٣ . ومن ثم يمكن للمرء أن يتحدث عن درجات مختلفة لتكثيف تعبيرات لغوية .

ويمكن أن يهذب هذا النهج بأن تُعزى " لمكثفات " مختلفة درجة متباينة للقدرة على التكثيف . (ونريد بذلك أن نميز بين الجملة الرئيسية والجملة الفرعية، وأن ننظر إلى أنماط مختلفة للتحويلات الاسمية على أنها درجات مختلفة " للاتنشيط " .

٢ـحول البنية الموضوعية لأداة الاتصال

٢- يرتكز فهمى للبنية الموضوعية " التيمية " لأداة الاتصال على التصور البراغى "للمنظور الوظيفى للجملة " (المسمى " التقسيم الفعلى للمنطوق " أيضاً) . وينبغى مبدئياً أن يفرق بين جانبين مختلفين لمنظور الجملة (أو "منظور الإخبار ") الأول يختص بالتمييز بين " موضوع (مبنى عليه) " (أى المتحدث عنه) – و " حديث (مبنى) " (ما يقال عن الموضوع) ، والثانى التمييز مرة أخرى بين " معروف " – و " جديد " . ولكن لما كان كلا الجانبين يتطابق فى أغلب الحالات (إلى حد كبير) فإنه يمكننا أن نستغنى فى تفصيلاتنا عن التفريق بينهما .

وتبعاً لذلك يمثل الموضوع (م) والحديث (ح) وظيفتى تواصل متباينتين متكاملتين لأجزاء دلالية مختلفة فى منطوق ما . ويرتبط تقسيم هاتين الوظيفتين إلى جزءين بالسياق والموقف المقدم ارتباطاً وثيقاً .

ونريد ألا ننشغل هنا بالتفصيل بمبدأ منظور الجملة ، ومع ذلك يجب أن نجيب عن سؤال له أهمية كبيرة من الناحيتين النظرية والعملية . ما المعايير الموضوعية لتحديد م و ح ؟ ثمة معيار فى رأيى يتمثل فى مسألة الإكمال . يلاحظ أنه يوجد لكل منطوق سؤال إكمال ، يستفهم (مع أداة الاستفهام) عن ح المنطوق- إنه الـ ح الذى يقدم " إكمالاً " للسؤال المَعْنِى . ويسرى الشئ نفسه أيضاً على كل الحالات التى يمكن أن تستفسر فيها جملة هى ذاتها بأسئلة إكمال عدة . وفى هذه الحالات تدخل الأسئلة المفردة ضمن منظورات الإخبار المختلفة لمنطوق الجملة ، التى ترتبط بسياقات ومواقف مختلفة . وباختصار يمكن أن يقال: إن كل جملة يمكن أن تُعزى إلى كم من أسئلة الإكمال ، التى تقدم كل الأنماط

الممكنة للسياقات ، وتبعاً لذلك أيضاً كل منظورات الإخبار المتباينة للمنطوق المعطى التى توضع فى الاعتبار .

٢-١ ما الدور الذى يؤديه منظور الإخبار بالنسبة لبناء النص ؟ من الواضح أنه من ناحية القيمة الاتصالية (المعلوماتية) لمكونات المنطوق يؤدى الـ ح دوراً حاسماً ، إذ يأتى بمعلومة جديدة (نسبياً) (ويقدم الإخبار بالمفهوم الأضيق) . ولكن بناء على البناء التركيبى للنص يعد الـ م أوثق صلة . ويجعله الحمل المعلوماتى الأدنى وسيلة بناء أساسية . ومن هذه الناحية يمكن أن ينظر إلى كل نص (وتقسيماته وأجزائه الفرعية الإجمالية) على أنه متوالية من موضوعات . ومن ثم تكمن البنية الموضوعية الخاصة للنص فى تسلسل الموضوعات وترابطها ، فى علاقتها المتبادلة وتدرجها ، فى علاقتها بأجزاء النص وكليات النص والموقف أيضاً . ونطلق على المركب الكلى لعلاقات موضوعية فى النص على <u>التوالى الموضوعى</u> (ت م) ، ويمثل الـ <u>ت</u> م " سقالة " بناء النص .

وإذا كان فرضنا صحيحاً وهو لكل منطوق م بوصفه نقطة (أساس) انطلاق ، فإن كل مؤلف يقف أمام السؤال : ما الموضوع الذى يجب أن يُختار لمنطوق الجملة اللاحق ، أو بتعبير آخر : وفق أى مبدأ تُختار الموضوعات المفردة فى تتابع من منطوقات ، ما العلاقات المتبادلة بين الموضوعات فى إطار فقرة وما علاقاتها " بالموضوع الأساسى " لهذه الفقرة ... الخ ؟ .

ولما كنت قد قدمت فى موضع آخر (دانش ١٩٦٨ أ ، ١٩٧٤ ، ١٩٧٤أ) عرضاً مفصلاً للأنماط الأساسية لأوجه التوالى الموضوعية ، يمكن هنا أن أقتصر هنا على نظرة عامة موجزة .

٢-٢ يمكن أن تُصنف أوجه التوالى الموضوعية وفق ٣ معايير :

(١) التقسيم الموضوعى:
- حديث (ح)
- موضوع (م)
- علاقة ح- م كاملة (أى منطوق ، <u>ط</u>)
- تتابع من منطوقات (فاصل نصى ، <u>ف</u>)

(٢) مكونات المعنى المقسمة موضوعياً } يُؤخذ بها (تتكرر) / تُستنبط

(٣) مكونات المعنى المقسمة موضوعياً } تتصدر مباشرة (تيمية الاتصال) / تقع على مسافة (تيمية البعد)

وينتج عن ذلك التصنيف الآتى :

ت م ذو رتبة أولى

(١) (أ) تيمية الاتصال لـ ح (توالٍ أفقى بسيط) :

$\text{م}_{\text{١}} = \text{ح}_{\text{أ-١}}$

(ب) تيمية البعد لــ ح

(٢) (أ) عودة (بسيطة أو متكررة لــ م (أو ت م ذو م متكرر) فى موضع اتصال :

$\text{م}_{\text{أ}} = \text{م}_{\text{أ-١}} \; (= \text{م}_{\text{أ-٢}} = \ldots)$

(ب) عودة م فى موضع بعد :

$\text{م}_{\text{أ}} = \text{ط}_{\text{أ-ن}} \; (\text{ن} > \text{١})$

(٣) (أ) تيمية الاتصال لــ ط (منطوق) :

$\text{م}_{\text{أ}} = \text{ط}\,\text{أ} - \text{ن}$

(ب) تيمية البعد لــ ط :

$\text{م}_{\text{أ}} = \text{م}_{\text{أ-١}} \; (\text{ن} > \text{١})$

(٤) تيمية ف (أو ت م ذو م شامل) :

$\text{م}_{\text{أ}} = \text{ط}_{\text{أ-١}} + \ldots + \text{ط}_{\text{أ-ن}}$

(٥) م يُستنبط من موضوع أعلى (أو ت م ذو م مشتق)

$\dot{\text{م}} > \text{م}\,\text{أ}$

مثل تطور ح منقسم

م ا = ح ا-١ + ... + م ا = ح ا-ن + ...(*)

<u>تحولات فى ت م</u> :

مثل " قفزة موضوعية (فى ت م ذى نمط (١ أ) يترك عنصر التوالى ، إذ يثبت أنه بديهى) ".

٢-٣ لا تستنفد إشكالية بنية النص الموضوعية (يطلق عليها انكفيست (١٩٧٣) "دينامية الموضوع ") فى تحديد الأنماط المختلفة للتوالى الموضوعى (لدى انكفيست " نماذج حركة الموضوع ") . ويشترط تصور الـ ت م أن مكون المعنى (مك ٢) المختار موضوعاً يقع بالنسبة لمكون معنى آخر متضمن فى الفقرة النصية المتقدمة (مك ١) فى علاقة دلالية مميزة ؛ هذه العلاقة هى إما علاقة تطابق حقيقة وإما علاقة قرابة دلالية . تتيح أن يستطيع المتكلم والسامع أن ينظرا إلى المكون (مك ٢) انطلاقاً من السياق على أنه معروف أو معطى . ويمكن أن يُقال إن مك ٢ يشار إليه من خلال مك ١ ، وأنه توجد مك ٢ ومك ١ علاقة تضمين أو استدلال دلالية (مباشرة أو وسيطة) مميزة[٦].

ويمكن (١) أن تُصنف العلاقات المذكورة تصنيفا فرعياً ، و(٢) أن تُسجل وسائل التعبير اللغوية للعلاقات . ونريد هنا أن نقدم نظرة عامة موجزة فقط .

(*) ربما شكلت الرموز عائقاً فى فهم هذا التصنيف ، ولكن المؤلف سبق أن أوضح هذه الرموز فى سياق حديثه.وربما يحسن أن أذكرها هنا مرة أخرى ليسهل على القارئ قراءة هذه المعادلات ، فالرمز (م) يشير إلى موضوع ، و (ح) إلى حديث و (ت م) إلى توالٍ موضوعى ، و (ط) إلى منطوق ، و (ف) إلى فاصل نصى و (أ) إلى عدم تكرر ، و (ن) إلى تكرار و (<) إلى أكبر من ، و (>) أصغر من .

(٦) يشترط انكفيست (١٩٧٣ ، ٧/١١) أن مك ٢ ومك ١ منظر إليهما على أنهما مكون دلالى واحد هو ذاته : " يمكن التطابق الموضوعى من مقارنة أجزاء من جمل مختلفة يمكن تحديدها موضوعياً وتقرير إذا ما أردنا أن ننظر إليها على أنها هى نفسها أو مختلفة " .

(١) علاقات دلالية : (أ) التطابق الدلالى (مفهومى) ، التطابق الإحالى الممكن ؛
(ب) العموم ، التضمن ، التضمن ، التقابل (التناقض) ، الكل – الجزء ،
(جـ) الفاعل – الأداة ، المتقبل – الأداة ، الحدث – الأداة ، والحدث – الفاعل ، والمكان (مثل : الحديقة) – الموضوع (مثل : الورود) ... ، (د) المجاز ، (هـ) علاقات ظاهرية (دليلية) .

(٢) وسائل التعبير : (أ) تكرير اللفظ نفسه ، أو جذر الكلمة ، مترادف (أو إعادة صياغة) ، تسمية موجزة ، ألفاظ إحالية (إشارية) ، (ب) لفظ أعم ، لفظ متضمن، لفظ متضمن مشترك ، لفظ ضد [٧]

ويمكن أن تُقدم البنية الموضوعية للنص فى شكل عرض خطى بوجه عام (انظر دانش (١٩٧٠ ، ١٩٧٤أ) ومصطلح انكفيست " خريطة الربط ") .

٣ـ علاقات دلالية بين جمل النص

أكدنا أن التنظيم الموضوعى للنص يجب أن ينظر إليه على أنه مبدأ مهم مشكل للنص (" مبدأ تنصيص ") . [٨] ومع ذلك توجد بين جمل النص أيضاً علاقات دلالية معينة ، تختلف العلاقات القضوية الضمنية (انظر ٢) . وقد خصت البحوث الحالية للنص هذه الظواهر بانتباه كبير ، ومع ذلك تبدو لنا النتائج مقبولة إلى حد ضئيل . هذا مما يميز الموقف البحثى ، حين يقرر بتوفى مثلا (١٩٧٣ = ١٧– ١٨) أن تحليل العلاقة المنطقية و / أو الزمنية (الصدارة – النتيجة) ووصفتها ... ممكن نظرياً ، إلا أنهما يشترطان وضع جهاز شديد التعقيد.

---

(٧) لا يفرق انكفيست (١٩٧٣ ، ص ١١٧) بين (١) و (٢) ، ويشترط العلاقات الدلالية الآتية : التكرار والإحالة والترادف والتضاد والمقارنة والتضمين المرخّم ، والاشتراك فى مجال الكلمة نفسه ، والمجاز المدعم .

(٨) يذكر انكفيست (١٧٣ ، ص ١٢٢) ما يأتى أيضاً : سمات الربط ، والربط النصى ، والربط المعجمى ، وربط الجملة ، والربط الأيقونى .

وهناك بعض الملحوظات إلى جانب ذلك : أولاً ليس من الواضح والمؤكد بأية حال إذا ما كانت توجد أساساً علاقة دلالية واضحة (ظاهرة) وأحادية بين كل زوج من الجمل الفرعية (داخل نص ما أو على الأقل داخل فقرة نــصية) . ثانيــاً يتعلق الأمر فى ذلك بعلاقات ذات طبيعة متباينة تماماً . (هى تتبع مستويات تجريد متباينة ، وتختص بجوانب مختلفة للقضايا)

(أ) من الجهة الأولى تقدم علاقات " منطقية " ، أى علاقات ذات طبيعة عِلِّية (مثل العلة ، والسبب ، والغرض ، والعاقبة .... وغير ذلك) أو ذات طبيعة زمنية . (هى إذن العلاقات ذاتها التى تستخدم فى تصنيف التحديد الظرفــى والجمــل الفرعية فى الوصف الكلاسيكى وغير الكلاسيكى أيضاً للنحو) . ويضاف إلــى ذلك علاقات أخرى مثل علاقات استدراكية وتدريج .

(ب) ويورد مؤلفون آخرون من جهة أخرى كثيراً علاقات تتبع نظاماً آخر تماماً : المقارنة ، والمقابلة ، والتعــداد ، والإيــضاح ، والتمثيــل ، والتــصوير ، والتصويب ، والاستدراك ، والتخصيص ، والرأى والرأى المضاد ، والحجة، والاستنتاج ، والإيجاز ، والسؤال والإجابة .

ونريد أن نورد هنا مثالاً نظام العلاقات الثمانية بين جمل النص الذى اقترحه ميليك Milic :

(١) قضية مضافة (دون علاقة عضوية بالمتقدم : و)

(٢) جملة البداية (تقع فى بداية فقرة)

(٣) قضية بديلة (يمكن استبدالها بالنسبة للمتقدم عليها : أو)

(٤) قضية استدراكية (تغير الاتجاه فى الجدل : ولكن)

(٥) قضية موضحة (تعريف أو استئناف أو توسيع للقضية المتقدمة : يعنى هذا ، تحديداً هو)

(٦) قضية مصورة (على سبيل المثال)

(٧) قضية استنتاجية (استنتاج : ولذلك)

(٨) قضية عِلِّية (علة (؟) الاستنتاج المتقدم : لأن)

(عَرَضية هذا النظام وعدم تمامه ماثلان للعيان)

ويقدم تحليل أبنية الجملة والنص وتـصنيفها اللـذين عرضـهما لونجـاكر Longacre (١٩٧٠) تصوراً أكثر عمقاً (ولكنه ليس ذا شفافية من أى ناحية)، إذ يؤكد لونجاكر أن العلاقات يمكن أن يُنظر إليها داخل (جملة ناقصة) جزء الجملـة على أنها مقابل لغوى لحساب المحمولات ، فى حين تعد بنيـة الجملـة والـنص المقابل اللغوى لحساب العبارات ، الذى يمثل نظاماً أكثر ثراء واختلافاً من نظـام المنطق الشكلى .

وتؤلف أجزاء الجمل " بطرقتين : (١) عناصر هامشية (تابعـة) + نـواة (nucleus) ، و (٢) ائتلافات نووية – داخلية من أجزاء الجمل . وتكون ائتلافات النمط (١) وثيقةَ الصلة بتكوين النص . وتضم العناصـر الهامـشية أ) عناصـر خارجية ، مثل أدوات الربط ، وظروف الجملة ومُعَدِّلات الجملة ، وكذلك التعجب ، والانتباه ، والإجابة والنداء ؛ ب) عناصر محورية " البؤرة " و " حوف الجملة " ، ويدور الأمر حول حواف زمنية (سـابق ، ومتـزامن ، ولاحـق) ، وحـواف تضمينية (شرطى ، اتفاقى) ، وحواف غائية (السبب ، والغـرض ، والظـرف) ، وحافة نتيجة . ولكن فى تصنيف أبنية " نوويات الجملة " أيضاً توجد فى رأيى تلك الظواهر ، التى تستعمل فى تكوين النص . ويعمل نظام لونجاكر بثلاث مجموعات وخمسة أنظمة :

	الضم				
	تجاور	تسلسل	توضيح	تضمين	اقتباس
غير محكم	إعادة صياغة	عطف	سبب	اتفاقى	اقتباس مباشر
محكم	خلاصة	تضادى	نتيجة	مضاد للواقعى	اقتباس غير مباشر
متوازن	صدى سؤال	خيارى	توازنى	تلازمى	اقتباس غير مباشر

٤ـ علاقات بين البنية الدلالية والبنية الموضوعية للنص

يمكن للمرء مؤقتاً أن يقوم بالتحديدات الآتية بوصفها أساساً لبحث آخر :

١- يتبين أن العلاقات الدلالية لا يمكن أن تُحدد تحديداً منظماً إلا بين جمل النص (المنطوقات) تلك التى تربط بينها علاقة موضوعية أيضاً .

٢- توجد علاقات دلالية إما بين المنطوقات بوصفها كلاً وإما بين المعنى التواصلى للمنطوق (م ت ط) لعبارتى الجملة .

ويفهم تحت (م ت ط) وحدة دلالية معقدة ، تتكون من مكونين : المكون الأول يمثل العلاقة الدلالية القضوية لجزء الموضوع بجزء الحديث ، بحيث يستعمل الغرض التواصلى للمنطوق (وظيفة المنطوق ، مثل الخبر والسؤال والوعد ...) بوصفهما المكون الثانى . مثالان :

(١)أمنا تكتب رسائلها بالريشة

البنية القضوية	فاعل	حدث	نتيجة	أداة
		متعد ، مؤثر		
منظور المنطوق		م		ح

سؤال تشخيصى بمَ تكتب أمنا رسائلها ؟

م ت ط : خبر مع معلومة الأداة لفعل متعدٍ مؤثر (فاعل)

(٢) تسجيلها يُصلح فى الحال م ت ط : وعْد (تأكيد) بتحقيق حدث .

٣- تقع العلاقات الدلالية بين جمل النص فى أوجه ربط معينة بأنماط الـ - ت م (فى الحالات التى تدور حول علاقات تؤسس على م ت ط) .

ولأن الأساس الدلالى لـ م ت ط يمثله دائماً المعنى القضوى للإطار المَعنِى فإن المحك للعلاقات الدلالية لمنطوق الجملة ج ومنطوق الجملة ج ١ العلاقة بين ح ٢ و ح ١ . وهكذا مما يميز مثلاً أنماط الـ - ت م (١) و (٢) و (٣) أن م ٢ = ح١ ، بحيث إن (ح ١ : ح ٢) = (م ٢ : ح٢) . وينتج عن ذلك أن م ت ط ٢ هى المحك للعلاقة الدلالية بين ج٢ و ج ١ - ويوجد موقف آخر فى حالة ت م (٢) : ففى هذا النمط لا تصح المساواة بين (ح١ : ح٢) و (م٢ : ح٢) ، إلى حد أن م ت ط ٢ ≠ م ت ط أيضاً . ويسفر عن ذلك أن العلاقة الدلالية بين ج ٢ و ج ١ (حين توجد فى الحالة المعطاة بوجه عام) تستعمل فى علاقة دلالية جديدة أخرى غير متضمنة فى البنية القضوية لـ ج ١ و ج ٢ .

ارهارد اجريكولا (براغ)

من النص إلى الموضوع

تطالب طبيعة المعلوماتية والتوثيق العلميين منذ عقود بحق ، ولكن دون جدوى بأن كل نشر جدير بالتوثيق مجاوز نطاقاً معيناً يجب أن يُلحق به مختصر لمضمونه دقيق وموجز قدر المستطاع أو بأن يُستقي من العنوان بدقة شديدة العناصر ذات الصلة بالموضوع . أجل ، يأمل الموثقون أن تجرد ملخصات وعناوين واصفة بشكل تلقائى من نص المنشورات . ومن زاوية هذه الحاجات توصف تسمية هذه المقالة بأنها شديدة الوهن ؛ لأنه لا يمكن أن يُستنتج بشكل غامض فقط من صياغة " من النص إلى الموضوع " ما حقيقة المفهومين الموضوعين فى علاقة بعضهما ببعض، وهل يتعلق الأمر أساساً بأفكار أساسية ، وكيف يجوز أن يُستكمل القول . عنوان بهذا الشكل يدخل بالأحرى فى الجنس الوظيفى الأسلوبى – الصحفى ، حيث تصح مهمة إثارة توقعات دون أن يُباح ابتداءً بالكثير . ويكون الأمر على نحو مشابه ، بل على نحو مخالف تماماً مثلاً مع علامة بارزة " نقب عن كيرنبورج القديمة "قبل إشارة صحفية ، سوف نُعنَى بها فيما يأتى .

إن مقصد التوثيق وتخصصات أخرى بأن يسرع فى مهامه على هذا النحو، وأن يجعل منتجه حقيقة ملموسة ، يعد جديراً بالثناء والتشجيع ، ولكنه لا يستطيع ولا علم الصحافة ولا علم اللغة ولا أى علم آخر يستطيع إلى الآن أن يدل على الطريق إلى ذلك . ويريد هذا البحث أن يسبر فى اتجاه معين الآراء حول ذلك ، بأن يسهم بآراء محدودة حول الوضع والعلاقة المتبادلة بين المفهومين داخل اللغة وخارجها : " النص " و " الموضوع " أساساً فى إطار الجانب النظرى لتحليل البنية الذى ينطلق من المعلومات السطحية لنص معين . ويجب أن يكون نص عنوانه بشكل أوسع وأكثر مناسبة :

ما الإمكانات التى تتقدم من شكل النص المنبسط إلى نواته الموضوعية ؟

ويفهم تحت نص ، وعلى نحو أدق : وقوع نص ، مركب من علامات لغوية ، فيه على الأقل السمات الآتية : تتابع من الجمل ، بُنَى وفق قواعد النحو ، من منتج (ومن عدة منتجين أيضاً) ، ويُقصد به أن يكون تاماً مضمونياً ، وهو مستمر ، نهائى ، مدمج ، منظم (وقوع وحدة نصية) ، فتشكل معاً الإنجاز الأفقى لبسط موضوع من نواته الموضوعية ، وتُحدث وتقدم الدمج المشكل للنص علاقات التناظر الدلالى بأوسع مفهوم (التماسك النصى ، والتكرار ، والتكافؤ ، وإعادة الصياغة) بين وحدات دلالية مفردة فى وحدات نصية مختلفة و/ أو من خلال علاقات شبه منطقية بين معانى الوحدة النصية بوصفها كليات ، أى بين الأحوال المعبرة عنها ، وكذلك من خلال علاقات تحاول موحدة (أو إحالة تقاطعية)، وأيضاً علاقات الإحالة الزمنية تلك فى الوحدات النصية وبينها ، ومن خلال بنية الموضوع والحديث المتبدلة ، والمؤثرة من جهة دينامية الاتصال ، لوحدات نصية مفردة . ويرتكز نظام تتابع الوحدات النصية على قواعد تأليف النص الشاملة من ناحية لغوية تارة ، والمميزة للوظيفة ولنظام التخصص من ناحية غير لغوية تارة أخرى .

لنترك الآن مسألة هل يعد هذا السرد تاماً ، فليس المطلب هنا تحديد علاقات متدرجة وغيرها أو أوجه أولوية بين العناصر ، إذ يوجد وضوح لا يستهان به حول ضرورة افتراض أغلبها فى تعريف للنص . وعلى النقيض من ذلك تماماً المراد تحديد مفهومى " للموضوع " بحيث تبدو نظرة عامة موجزة للآراء المهمة من قبل فى موضعها ، وبذلك يُحد مطلب بحث حول هدف التحليل بوضوح:

١- يعد موضوعاً أو محوراً على مستوى التناظر زوج أو سلسلة من الوحدات الدلالية فى وحدات نصية متباينة فى النص ذاته ، مرتبطة من خلال تكافؤ دلالى وتكرار ، و / أو العلاقات بين الوحدات النصية على نحو ما ، والحالة الخاصة فقط التى توجد فيها بين الموضوعات والمحمولات لوحدتين نصيتين أو عدة وحدات نصية علاقات تكافؤ دلالية فى الوقت نفسه أيضاً .

٢- يعد الموضوع أو المحور (خلافاً للحديث أو المبنى) على مستوى المجالات الاتصالية وديناميه الجملة المنقسمة انقساماً ثنائياً صارماً بدرجة أكثر أو أقل، جزءاً من الوحدة النصية التى مضمونها :

(أ) يشكل بوجه عام المعلومة المعروفة ، المذكورة من قبل أو المفترضة على نحو معلوم ، أو

(ب) حامل أضأل دينامية - اتصالية ، أو

(جـ) يقدم الموضوع المنطقى للجملة (الحال) .

وتفترض ائتلافات هذه المعايير أيضاً موضوعاً ، وتوجد فضلاً عن ذلك طرائق لغوية حول السؤال عن تعريف للنص مشابه ، ولكنه مميز بشكل متباين أيضاً أو عن تقسيم الموضوع - الحديث لفقرات نصية ونصوص كاملة ، على نحو ما يُعالج منذ أمد على نحو حدسى فى الأسلوبية والبلاغة .

٣- يعد الموضوع أو المحور فى بعض آراء للنحو التوليدى جزءاً من بنية العمق أو الأساس أيضاً ، لأنه قد أدخل هناك تبئيراً لعناصر البنية ، مثل أن تُميز حالة من الحالات (الإعرابية) الدلالية بأنها بؤرة .

٤- وتعد موضوعاً (وليس على النقيض محوراً !) عند استنباط النص الكلى من أساس مفرد أيضاً بنية أساس النص هذه التى تتضمن العناصر الأساسية لعمليات بناء النص والجملة والمحمولات إلى جانب علاقات موضوعية للنص.

ويفهم " الموضوع " هنا - بصرف النظر عن تعديلات متأخرة فيما يخص ضروريات وإمكانات إجراءات موضوعية - بوصفه موضوعاً لتحليل بنية النص مُتطلَّعاً إليه ، وإن لم يكن من الممكن الوصول إليه مباشرة بشكل مؤقت ، طبقاً للفكرة الرئيسية فى التعريف المذكور مؤخراً ، حيث يُصرف النظر حقيقةً عن وظيفة تكوين منطلق النصوص والنتائج المطابقة . وبذلك نفترض موضوعاً لنص أو جزء من نص نواةً مفهومية بمعنى التجريد المركز للمضمون الكلى للنص ، فى شكل بنية أيضاً معبر عنها فعلياً ، بل يمكن تقديمها بشكل منطقى - دلالى أيضاً ، لمركب حال من محمولات وعناصر أساسية (أدوار الفعل) : يجب ألا يدخل المكون البراجماتى النصى لبنية النواة هنا فى الاعتبار مؤقتاً . ولا يتأكد مثل هذا الموضوع عند بداية النص بالتفصيل دائماً ، ويمكن أن يتغير فى أثناء (هذه)

العملية ، ولا سيما فى الكلام الشفوى وفى الحوار ، بيد أنه يجب أن يكـون فـى الإمكان التحقيق منه أساساً من نص صحيح ، تام ، ثابت ، لأن الأمر قد يتعلق فى حال أخرى تحديداً بنص . ويؤكد فى هذا الموضع بأنه يعد موضوعاً تلك النـواة التى نزلت من المؤلف أو قائل النص منزل ما هو جوهرى ، فى حين أنـه مـن الممكن أن يحكم على وثاقة الصلة بشكل مختلفة من جوانب مختلفة من مشاركين متباينين .

وإذا كانت لم تبحث إلى حد بعيد العلاقات المتبادلة بين القطبين الموصـوفين "النص " و " الموضوع " أيضاً ، وإذا لم يوجد أيضاً رأى موحد حول ذلك أو على الأقل عرض منظم للمراحل البينية وعمليات الانتقال – لـيس بوصـفها فرضـاً استدلالياً ، ولا من خلال إدراك استقرائى – فإنه يجوز أن توضع فـى الاعتبـار بوجه عام للغاية علاقات بسط شـديد التعقيـد ، متعـددة الطبقـات " للنـواة " الموضوعية انطلاقاً من البنية السطحية للنص ، عمليات يُوسع من خلالها القـول المركب فى النواة ، وتُقسم عناصره إلى موضوعات فرعية ، ووحـدات نصـية ومجالات اتصالية (ففى النواة الموضوعية تكثف مضامين الموضوعات وأحاديث النص) ، وكذلك يُولد من خلال النقل التكرارُ الدلالى والتماسك .

وربما يعد التأكد من هذه العمليات بالعكس ، أى عمليـة اختـزال فـى هـذا المفهوم الخاص أساساً للقصد المُصَوَّر هنا ، وتبدو عمليات التحليل التى تقدمت ، انطلاقاً من المعلومات الأساسية ، لمضمون موضح للنص – أى التى بحثت البنية الكلية النحوية الواضحة الكاملة ، لكل وحداته النصية ، هو ما تم توقعه فى زمن لم يعد ببعيد ، سلاسل التناظر الواقعة بين وحدات النص ، مثلاً من خلال مقارنـة بمستودع علاقات التوافق والترادف على مستوى سيمى أو سيميمى – تبدو هذه العمليات مع الوضع المعرفى المنقطع حول بنية نظام البسط الموضوعى بتحديـد العلاقات المشكلة للنص بشكل محض منهجيةً ، وفيما يخص الموضوع واصـلة إلى حدوده .

وللتغلب على هذا الجمود يبدو من الضرورى أن نتنـاول ابتـداءً المشـكلات الثلاثة الآتية ، وبحلها يُوضح نظرياً فى الوقت نفسه جزءُ من الحقل المظلم بـين النص والموضوع . ونصها وقد غلف فى أسئلة ، وهو :

١- من أى عناصر وعلاقات الأشكال الممكن تحليلها إلى الآن انطلاقاً من أبنيـة النص يمكن أن تستنتج بوجه عام ، ومن حيث يُنتظر منهـا الكثيـر بشـكل واضح وموضوعى نسبياً مبادئ تنظيم تعد أساساً وأكثر تجريـداً ؟ أى أيـن تكون خطوات الأبنية المنبسطة الأكثر تركيزاً والأعمق أفقياً وتواصلياً ممكنةً ؟

٢- وفق أى مناهج قائمة أو تطور أساساً يمكن أن تؤدى عمليات التحليل هذه ؟ ما علاقات البنية التى لم يُؤبه بها إلى الآن التى يجب أن تُبحث ، وبأى هدف بناءً على ذلك ؟

٣- أية درجة اختزال وأى شكل تمثيل ينبغى ويمكن أن يُنشـد لنتيجـة تحليـل موضوعية فى اتجاه القضية النووية الموضوعية المفترضة ؟

وبصرف النظر عن نتائج مفردة متعلقة بذلك لعلم اللغة والعلوم المتعاونة معه مباشرة ، التى فيها اللغة موضوع بحث ، تكون المعرفة أكثر استهدافاً ، بل هـى أهداف غير لغوية لم يتوصل إليها لتحليلات مضمون النص ، التى لا تؤدى اللغة فيها إلا دورها الحقيقى بوصفها وسيطا معلوماتياً ، وتكون مشجعة للغاية للإجابة عن هذه الأسئلة الثلاثة المرتبطة ارتباطاً وثيقاً ، ويمكنها فضلاً عن ذلك أن تزود بمهام جديدة يطلبها الواقع العملى .

وبصرف النظر عن حال خاصة للترجمة ، أى عن كل أنواع التحول بين لغات طبيعة بهدف الحفاظ قدر المستطاع على تكافؤ اتصالى ، ووظيفى ، وبراجمـاتى إلى حد بعيد بين نص الأصل ونص الترجمة ، فإن الأمر يتعلق مع كـل قصـود تحليل غير لغوية من الناحيتين النظرية والعملية بإنشاء وصياغات متغايرة التكافؤ لمضمون النص الأصلى بطريق الاستخلاص أو التجريد أو النقل . بيد أن هذا لا يعنى شيئاً خلاف أن المرء يطمح بمفهوم محدد ، غامض وغيـر مقصـود إلـى موضوع النص فى شكل اختيار أساسى ، مكثف ، يعد ممثلاً ، ويمكـن أن يُفهـم ويُقارن ويستمر استيعابه . فإذا وضع مفهوم " الموضوع " أساساً للحكم ، كمـا اقترح فيما سبق ، فإنه ينتج أن نتائج التحليل لهذه العمليـات تجسـد خصـائص النواة المفترضة فى دقة فيها اختلاف وعلى مراحل بسط متباينة ، حيث لا يطرح هنا للمناقشة : هل يمثل القصور المرئى من جانب نظام كلى لغوى تقييداً متعمـداً أو إجبارياً من الناحية المنهجية للمشروعات المطابقة . ويمكن أن ترجع حـدود

وتحيزات أنواع تحليل النص القائمة إلى أسباب قليلة جوهرية ، يجب أن تُتجاوز حتى يُقترب من تحقيق استنتاج موضوعى للنواة الموضوعية ، لا تُستخدم نتائجه لاستثمار ، وتقويم ، وتفسير ، وبحث أدق فحسب ، بل ينبغى أن تستخدم أيضـاً للتشكيل أفضل وأكثر تأثيراً للنصوص . وتقوم أوجه قصور التحليلات المضمونية الموضوعية على :

١- أنها لا تقوم غالباً بتحليل أساسى لغوى شامل لبنية الوحدة النصية العميقة ، وبنية التنصيص أو أنها تشترط ضمنياً أنها منجزة أو يمكن إنجازها حدسياً ؛

٢- أنها لا تبحث إلا خواصاً مفردة وعلاقات بنية تكوين الـنص وبنيـة ائتلافـه مستقلة عن غيرها ، ومن ثم حتى حين لا يُستهدف إلا إلى نتائج جزئيـة أو خاصة، يُتخلى عن معلومات محورية أو مصوبة (يسرى هـذا أيضـاً علـى النقطة الأولى) ؛

٣- أنها لا تدرك وتعالج النص أو جزءاً من نص بوصفه كلاً ، بل تريد انطلاقـاً من أجزاء مفردة للشكل المنساب الأفقى الاتصالى للنص ، (التنـاظر ، تتـابع الفعل...الخ) أن تتقدم مباشرة إلى مستخلصات أو مكثفات أو أبنية نواة ، تعد ذات صلة بالتخصص غير اللغوى المَعْنِى ، مثل الأفعال والموتيفات ومعـايير التقنين ، وتقارير التوثيق ، وقطاعات نفسية - دلاليـة ، المتعلقـة بالنقـد الأدبى.

٤- أنها بذلك دون مراعاة الإسهام المهم بصورة متباينة للوحدات النصية المفردة وكتل الوحدات النصية فى نص تعمل ككل .

وينبغى الآن أن يُبين ببعض اتجاهات أساسية مميزة لتحليل مضمون النص ، لأى غرض تنشد تلك الأشكال للنتيجة ، وماذا تقدم هذه النتاجـات مـن الناحيـة اللغوية ، أى ماذا يعد نواة أو موضوع لنص ما .

١- الاستخلاص أو الاستخراج بوصفه شكلاً لتحليل التوثيق :

فهو يقصد إلى اختزال نص فيما هو جدير بالتوثيق وفق مقاييس تخصصية . ويجب أن يكفل تقرير التوثيق الناشئ عن ذلك تعيين النص الأصلى وتقرير جدوى

قراءته . [١] ويحدث اختيار كلمات النص الكاشفة على أساس ميزة ، أو يكشف عنها بتحليل شيوع الورود موضع شك نسبياً . وتظل مشكلات صيغ التصريف ، والصيغ البديلة ، والترادف وإتمام إعادة الصياغة لا يأبه بها أو لا تحل تماماً ، وتؤثر فى النتيجة تأثيراً شديداً . وينشأ هذا ، فى المنهج الوصفى ، من تسلسل المفردات المستخلصة فى تتابع ورود النص ، وفى المنهج المستشهد به فى تسلسل لجمل أساسية فى هذا التتابع ، وهى تلك التى تتضمن أغلب المفردات نسبياً ، وفيها أزيلت مفردات أو أقسام كلام " زائدة " (فى الغالب غير اسمية) يحتمها الهدف . وبذلك تعد نواة للنص مميزة,ذات صلة بالفهم تتابعات مفردات مستقلة ترمز إلى مفاهيم رئيسية (أو تتابعات أبنية جزئية مستقلة ، تتضمن هذه المفاهيم) ، ولكنها تشكل علاقات تناظر لمفردات النص عملياً ، التى لم يُحل تضافرها الأفقى ، الاختيارى فقط ، بل نظمت فى سلاسل . ولا تظل علاقات نحوية للمفردات على الإطلاق أو يُحافظ عليها بوصفها تتابعاً للمفردات فى اختيار عارض .

٢ـ التجريد الفعلى فى تخزين الوقائع والبحث عنها وبالنسبة للتوثيق : [٢]

يحدث اختزال النص فى المرحلة الأولى من خلال العملية الموصوفة فيما سبق لاستخلاص كلمات أو أقسام كلام مستقلة ، مقدمة فى أوجه ربط نحوى محكم ، وتسلسلها فى تتابع البنية السطحية . وفى المرحلة الثانية يحل محل هذه المفردات المفردة أو مجموعات الكلمات (الضمائم) تسميات للأقسام قائمة على أساس مجرد أو لغوى أو مادى (ألفاظ أعم ومفاهيم عليا وما تسمى مقولات

---

(١) كوبليتس ، ى : مناهج تقرير الوثائق ، ليبزج ١٩٦٤ ، وك . – هـ . فيشر : تحليل المفهوم (– الحال) فى الوثيقة ، فى اللغة والمفهوم ، (تحرير) هانز – فيرنر شوبر ميونخ ١٩٧٠ ، ص٧١– ٩١ .

(٢) جوتماخر ، ل . إ . : الميكنة الإليكترونية للمعلومات والمنطق ، موسكو ١٩٦٢ ، وسيمونز، ر.ف ، ج.ف.برجر : المحلل الدلالى للجمل الإنجليزية فى الترجمة الآلية ١١ (١٩٦٨) ، رقم ٢/١ ، شيكاغو (٣) ، ص ١ – ١٣ ، وكويو ، م. ، ون – سيودكوفى : التحليل الآلى للمعلومات ، باريس ١٩٦٧ .

المضمون) ، وإما تُقَوَّم فى النظام المعطى للنص بوصفها قطاعاً دلالياً للنص ، وإما تُوحَدَّ باختصار ورود مقولات المضمون إلى ائتلاف الواصفات (التغير / المعلومة / الكهرباء / التكاليف) وإما ، فى حالة إدخال تحليل نحوى عميق بشكل كاف ، يُعاد تشكيلها إلى ائتلافات إخبارية أو أشكال أساسية دلالية ، وهذه هى تتابعات مقولات المضمون مع تتابعات وثيقة الصلة نحوياً للعناصر (قياس / تأثير – أثر / خاصية من وحدة نصية ، " ولعلاقة التقاطع تأثير قليل على نمط البنية) . وينشأ مع قصد هذا النمط اختزال ، من الناحية اللغوية ، فى انتقال كلمات منضوية مشتركة إلى الألفاظ الأعم لها ، إلى مخزون أكثر تقييداً أساساً لمعان أشمل وأعم من الناحية الدلالية ، وبشكل مواز لذلك رجوع علاقاتها النحوية المعقدة إلى أبنية أساسية . وتعد نواة النص فى هذا المفهوم تتابعاً غير منظم أو تسلسل لثلاثية مركبة من سميمات ذات درجة تجريد عالية ، لا يستمر الالتزام بعلاقات التنصيص الأصلية الخاصة بها ، ويكون الفهم الواضح والدقيق لهذه الخلاصة الموضوعية ، وإمكانية إعادة بناء النص مقتصراً بشدة على حساب إمكانية الاستخدام المتعددة الجوانب وإمكانية النقل والمقارنة وضروريات البحث .

٣ـ التكثيف فى نويات يمكن تقديمها من الناحية الشكلية ـ المنطقية :

هذا النوع من الاختزال يرمى إلى هدف وهو تعيين أجزاء نصية مختارة ، ذات صلة بوجه خاص فى إطار نظام مفهومى وتخصيص ، لصياغة لغوية متباينة، فأوجه الصياغة يكون بعضها أمام بعض ، وتكثيفها شكلاً مضموناً ، وإرجاعها إلى شكل عادى خاضع لها بشكل مشترك ، يمكن أن يعبر عنه من ناحية منطق المحمولات أو العبارات . وينبغى أن يُطبق هذا المنهج ضمن غيره على قوانين وأوامر ونصوص أخرى للقضاء ، حيث يمكن أن تتغير ما يسمى المعايير القانونية على سبيل المثال فى حالة نموذجية " واقعة – عامل معيارى – فعل لاحق " رُبطت بدورها من ناحية منطق العبارات ، وتشكل من خلال " إذا – فإنه " سلاسل معايير متعلقة بعضها ببعض . ويجيز هذا التقعيد اختبار مواضع مفردة فى النص ذاته أو نصوص وثائق مختلفة ، ذات علاقة مضمونياً ، لم يعد

بحسب العدد من الممكن الإحاطة بها من بعد الفراغات والانحرافات والازدوجات والتناقضات ، وتحديدها بشكل متتال . وثمة أهداف مقارنة مشابهة [٣] في نصوص أدبية ، مثلما من الموتيفات فيما بينها ، يرمى إليها الاختزال المعقد لأوجه تكافؤ دلالية بمفهوم أضيق ، الذى يتقدم بواسطة تحويلات واسعة ، حتى عملية التكثيف لتعريفات لغوية وأشكال أسلوبية وتصويرات ، وتتكون نتيجتها فى تمثيل تلك الوحدات متعددة الأشكال فى السطح بوصفها رسالة ، هذه هى العبارات التى ترمز محمولاتها وعناصرها الأساسية إلى أقسام السميمات :

ك (خائف) [ع١ (سفلى) ؛ ع ٢ (علوى)

ك - كيفية
ع = عنصر

من : " حين رأى فرنك (ع ١) رئيسه (ع ٢) قادماً ، صار خائفاً / ارتجف / صار شاحباً / استحيا / .... "

وتتكون المعايير القانونية المنمذجة والرسائل ، التى تعد مع هذا الشكل للتحليل خلاصة للنص ، من أشكال تحويل لأجزاء نصية معينة ، لا يُنجَز اختيارها وتصنيفها دون رجوع إلى بنية الوحدة النصية بناءً على مقاييس وحدات تخصصات علمية ملائمة ، تعد فى حقيقة الأمر بصعوبة عناصر البنية السطحية ، ولا تحدث انتقالاتها أساساً إلا وفق معايير التكافؤ الدلالى . إن الصياغة النهائية هى وفق نماذج معطاة تعينات مجردة معقولة منطقياً للأقسام فى تتابع الورود النصى لمراحلها السابقة المجردة . ولا يمكن أن يوصف الانتقال بين شكل لغوى وشكل منطقى حتى الآن وصفاً منظماً .

٤- التركيز على طبقة القص التحتية : هذا الاتجاه للتحليل النصى أساساً للأعمال السردية يستخدم للعرض الموضوعى لمجريات الفعل (كشرط ضمن غيره لمعرفة أحوال منظورة مُقَوِّمة ، على أساس غير لغوى - نقدى ، أى درجة المعلومة حول وضع تطور الفعل لدى الأشخاص الفاعلين ، لدى القارئ والمؤلف اللذين لا يدخلان فى اعتبارنا) . وتوجز البنية السطحية للنص بالإضافة إلى ذلك فيما يسمى بالسيميمات الجملية ، أوصاف تعميمية مجردة

---

(٣) جريماس ، أ. ، ج : الدلالة التركيبية ، باريس ١٩٦٦ .

لتلك المكونات الاسمية للوحدة النصية التى تمثل أشـخاص الفعـل ، وتلـك المحمولات التى تقدم أفعالها أو تأثيراتها بشكل متتال .

وبالنسبة لكل شخص من الأشخاص يمكن أن تُبحث سلسلة الفعل ويُحدد مكان تضافر السلاسل ونوعه . (٤)

س أ ١	توم شرب بيرة و
س أ ٢ (ص ب ١)	رأى غريباً يدخل
س أ ٣ (ص ب ٢)	لاحظ أن شخصاً رمقه
س أ ، ٤ ، ٥ ، ٦	فرغ من شربه بسرعة ، ودفع ، وخرج .
ص ب ٣ (س أ ٤ ، ٥ ، ٦)	لاحظ الآخر كل هذا و
ص ب ٤ (س ×)	تبع توم إلى الخارج

وللحكم على ذلك لغوياً يتكون هذا النتاج التحليلى الموصوف بأنـه بنيـة النص العميقة من بنية أوصاف التناظر والتحـاول المقتصـرة علـى العناصـر الأساسية المجردة (فى معنى خاص) لنص قص ، إلى جانب تعليم مواضع الاتصال فى سلاسل التكرار المختلفة فى شكل معلومات تعميمية ، حول : مـا الوحـدات النصية التى تربط فيها أوجه تمثيل العناصر الأساسية بعضها ببعض ربطاً نحوياً .

وتستخلص درساً من هذه النظرة العامة : لا تعد المناهج الأساسية الأربعة للتحليلات النصية الباقية ، بالمعنى الدقيق لكل منها ، فى الوضع الحالى للتطـور قادرة ، متجاوزةً مجالات الموضوع المتوقعة لها (عناصر التنـاظر ، وعلاقاتـه بشكل محدد أو مجرد ، وربط سلاسلها ، وأوجه التجريـد الفعليـة والتعميمـات النحوية للوحدة النحوية الجزئية والوحدات النصية ، ونقل وصياغة أجزاء نصية متعلقة بالتخصص) على أن تتقدم بشكل أعمق إلى نواة للوحدة اللغوية " النص " محددةً كما هى الحال دائماً ، قائمةً على أساس لغوى داخلى . بيـد أن أسسـها يمكن أن تصير مؤثرة فى ائتلاف لهذا الهدف غالباً ، وأن ترتد مرة أخـرى فـى الوقت نفسه بشكل متنامٍ إلى مجالات الأصل ، حين تدخل إلى جانب مبادئ نظرية،

---

(٤) فينولد ، ج : مشكلات التحليل اللغوى الرواية ، فى : الكتاب السنوى للدراسات الجرمانيـة العالمية ، نشر هانز – جيـرت رولـوف I (١٩٦٩) ، جـزء I ، ص ١٠٨– ١٢٨ Bad Hamburg .

يُهتدى إليها من جديد فى نموذج كلى منظم لتحليل الموضوعات . أما أى طريق يمكن أن يقدم لذلك فينبغى أن يُبين بالمراحل الأساسية لمثال تحليلى معين مع عمليات التعيين وإعادة التشكيل الضرورية . إن الأمر متعلق بخبر صحفى تام مكون من خمس جمل مع علامة بارزة .

أ- نص البنية السطحية : (٥)

(٥) التنقيب عن كيرنبورج القديمة

(١) إشارات قيمية حول طريقة الحياة والثقافة لأصول سلافية كائنة فى هافل ، قدمتها تنقيبات فى براندنبورج دومانزل .

(٢) تتبع براندنبورج المقر السابق لأمراء هافل أهم المراكز الثقافية والسياسية للأصول السلافية بين إلبه وأودر .

(٣) يمكن فى أثناء التنقيبات أن تُحدد بوضوح معالك كيرنبورج القديمة وسعتها .

(٤) وقد كُشِف أيضاً عن الأرض القديمة المستوطنة التى أخبرت عنها وثيقة القرن العاشر .

(٥) ينبغى أن توضح البحوث الحالية أيضاً كيف بدا العمران الداخلى للقلعة القديمة .

ب- للتحليل الأساسى غير الكامل المعالجة هنا للوحدات النصية المفردة مهمةٌ ، بقدر ما يكون ذلك ممكناً فى هذه المرحلة ، تحديد الأبنية النحوية الواضحة الجلية والأبنية الدلالية الفعلية للجمل بمفهوم نحو التبعية وأوجه التوافق السيمى – السميمى ، حيث تُنجز أيضاً عملية تحويل إلى معنى مفرد للكلمات النصية ، مثل : " أصل " التى لها خمس سيميمات على الأقل ، و " سعة " التى لها أربع سيميمات ، و " قديم " التى لها أكثر من ست سيميمات . (*)

---

(٥) نويه تسايت (الزمن الحاضر) ، برلين ١٩٧٢/٧/٧ ، ص ٦ .

(*) لكلمة Stamm عدة معانٍ ، مثل ساق ، وجذع ، وأصل ، وأسرة ، وقبيلة ...، ولكلمة Ausdehnug المعانى : سعة ، ومقدار ، ومدى ، وتوسيع ... ، ولكلمة alt المعانى : عجوز ، وقديم ، وسابق ، ورَثّ ، وغير طازج ، وأثرى ...

ج- تُجزئ عملية تنظيم (معيارية ، تقعيد) شكل النص التأليفى وحدات نصية معقدة إلى وحدات ذات بنية نحوية بسيطة وقضية ، حيث تُطوى معلومات زمنية وصيغية أيضاً بشكل مؤقت . وتُسجل علاقات التبعية والعطف بين هذه العناصر ، وكذلك علاقات واضحة وشبه منطقية يمكن استنتاجها بينها . وتميز بوجه خاص عناصر بنية أسس الجملة فى حد ذاتها ، لأنه يجب أن يحافظ عليها فى كل حال مع عمليات الاختيار والاختزال المتأخرة ، برغم أنها بوجه عام ليست مفردة وليست كافية من جهة حمل معلومات سلسلة بعضها إثر بعض ، لتكثفها فى نواة موضوعة قوية الآراء . انظر تتابعاً مثل : التنقيب يعطى إشارات // - براندبنرج مركز // - // س يحدد معالم // - ... ومع التنظيم تحدث فى الوقت نفسه إعادة بناء للصيغ - البديلة ، وللاجتزاءات النحوية والدلالية ، وللعطف المجتزأ ، واختزال أوجه إعادة الصياغة . وبقدر ما هو ضرورى يجب ، وبالنسبة للعمليات المذكورة أخيراً ، أن تُحلل الوحدات النصية المنتظمة أو أجزاء منها فى شكل محمولات فعلية . وتطبيقاً على الجملة (٤) من النص المثال ، تنتج عن ذلك النتاجات الآتية للحل والإكمال :

و / كذلك / فى الوقت نفسه ([س يكشف عن الأرض القديمة المستوطنة {القلعة})فضلا عن ذلك : [أخبرت وثائق من القرن العاشر عن الأرض القديمة {القلعة}]) .

// س يكشف عن - أرض قديمة // - // الأرض القديمة مستوطنة ← ص أرض قديمة مستوطنة // وثيقة من قرن //- // القرن (هو) العاشر //-// تخبر الوثيقة //-// خبر عن الأرض القديمة // .

د- يلحق الكشف عن نتائج ذات صلة بأوجه تكافؤ دلالة متكررة فى هذه الصياغة للنص المعاد تعديلها والزائدة بوصفها خطوة لاحقة . ويعنى هذا أنه يجب أن تُعيَّن سلاسل التناظر ومصفوفاته فى وظيفة ثلاثية بوصفها حاملة لمعانٍ دلالية - موضوعية ، وبوصفها علاقات مكونة ومجزئة للنص ، وبوصفها معلومات إضافية لتحويل إلى معنى مفرد . ويوجد فى هذه الحالة المحددة سلاسل تبادلية آتية لعنصرين حتى ستة عناصر شريكة .

سلسلة جملة	(١)	(٢)	(٣)	(٤)	(٥)
١- ينقب عن	تنقيب	-	تنقيب	(تنقيب)	بحث
٢-كيرنبورج	براندنبورج	براندنبورج	كيرنبورج	(كيرنبورج)	بورج
٣- -	يعطى إشارة	-	يحدد	يخبر / يكشف عن	يخبر
٤- -	أصل سلافى	أصل هافلى سلافى	-	-	-
٥- -	-	-	معالم / سعة	أرض قديمة	-
٦- -	حياة / طريقة حياة / ثقافة	-	-	استوطن	استيطان داخلى
٧- قديمة	أول	سابقة	قديمة	عشر سنوات	قديمة

تظهر السلسلة السابعة هنا ، إلى أى مدى شيوع عناصر التناظر للقسم الكلامى التابع بشكل عميق ، أى الصفة ، وأنها ثانوية بالنسبة للموضوع . ولكن يستطيع المرء – يفتقر هذا إلى بحوث خاصة – أن يستثمرها لإقامة علاقات الإحالة الزمنية للنص .

ولا أهمية فى وجهة النظر هذه للموقع المعين لشركاء التناظر فى المجالات الاتصالية (الموضوع أو الحديث) للوحدات النصية المفردة ، ولا يقدم أية معلومات إضافية ، إذ إنه يُبحث عن الانتقال من الشكل الدينامى – الاتصالى للموضوع إلى شكل العرض الاستاتيكى له .

وتنشأ فى ذلك إلى حد ما تجزئة النص الكلى إلى نصوص جزئية ، يجب أن تعالج بوصفها وحدات مضمونية لتأليف النص ، من " الداخل " فى هذه المواضع للمجرى الأفقى ، حيث يُسجل انقطاعٌ لافت للنظر متزامن لعدة سلاسل تناظر ، تضييقٌ لسلاسل التناظر . وفى نص مثالنا الموجز المدمج لا يصدق هذا . ولكنه لو تشكلت الفقرة الأولى فقط من معالجة أطوال ، حول القلاع السلافية مثلاً لوُجد تكافؤ دلالى واحد أو اثنان فقط (مثل : موضع دفاع عن ، وطريقة بناء) ، قد يستأنف فى أجزاء أخرى للنص علاقات التناظر .

ومع الخطوات الثلاثة اللاحقة يحدث الانتقال الحقيقى من المستوى الأفقى للتحليل فى النص المحدد إلى المستوى الرأسى ذى عمليات التصنيف والاختزال فى اتجاه بنية النواة الموضوعية التى لم تعد مرتبطة بتتابع الوحدات النصية .

هـ- تحدد فى البداية أماكن وأشكال أوجه الربط العرضية بين سلسلتى تناظر منفصلتين ، أى تحليل علاقات التبعية الدلالية - النحوية المباشرة أو غير المباشرة التى يقع فيها شركاء تناظر السلاسل المختلفة بعضهم إلى بعض من خلال خاصيتها كعناصر بنية الوحدات النصية المعيارية وتلك الوظائف التى تُكَوِّن لها فى ذلك . وتمحى أبنية النص الباقية - باستثناء أبنية الأساس وتلك الفروع الشجرية التى تقدم طرق ربط السلاسل ، حتى لو تتضمن كلتاهما بالذات أية عناصر حاملة للتناظر . وهذا هو المَعْنِى فى الجمل (٢) فى جملة المثال ، ويظل يحافظ عليها :

(أساس مع عنصر تناظر من سلسلة ١ :) " براندنبورج مقر الأمراء "+ (عنصر تناظر من السلسلة ٣ :) " الهافليين " .

(أساس مع عنصر تناظر من السلسلة ١ :) " براندنبورج مركز " + (عنصر تناظر من السلسلة ٣ :) " الأصلى السلافى " .

ويمكن أن يُستمر فى تعميم مجملات البنية المكتسبة بهذه الطريقة أو فروع الوحدات النصية المعيارية ، ومن ثم تُجعل قابلة للمقارنة ، بأن يعاد تشكيلها فى تمثيل أوجه التبعية وفق نوع لغة - أساس (كما هى الحال لدى تشولوفسكى / ملتشوك [٦]) أو أوجه التبعية التصورية (عن ر . شانك) [٧] ، مهمتها ليست ، كما هى الحال فى التحليل الأساسى ، الاختلاف الطفيف قدر الإمكان لعلاقات ووظائف نحوية حتى أقسام السميمات الشاملة ، بل على العكس من ذلك تحييد العلاقات والوظائف المختلفة فى بنية التبعية ، ولكنها مشابهة أو مساوية منطقياً فى بعض علاقات قليلة للفاعلين والمفعولين النحويين وعناصر

---

(٦) جولكوفسكى ، أ.ك ، و أ .أ . ملتشوك : عن الطرق الممكنة والآليات الدلالية للنص ، فى مجلة المعلومات العلمية والفنية ، موسكو ٦ ، ١٩٦٥ ، من ص ٢٣ - ٢٨ .

وجولكوفسكى أ.ك و أ.أ . ملتشوك : عن نظم الدلالات لمختلف النصوص المجلة السابقة ١١، ١٩٦٦ ، من ص ٤٨ - ٥٥ .

(٧) شانك ، ر . : تمثيل لتبعية تصورية لعلم دلالة قائم على الحاسوب (رسالة دكتوراه) ، أوستن ١٩٦٩ .

أساسية أخرى بعضها تحت بعض . ونتيجة درجة التحليل هذه (انظر الشكل ١) سلسلة من هذه الرسوم التخطيطية للتبعية التصورية ، التى عُقدها فى الوقت نفسه عنصر سلسلة تناظر رابطة لها باستمرار ، والعلاقات بين الوحدات النصية المعيارية . ولما كان بحل الشكل الأفقى للنص وتركيزه تُجمَع علاقات التحاول (الإحالة المتقاطعة) أيضاً ، فإنه يمكن أن تُوحَّد فى عقدة عدة ورود للنص لعنصر التناظر ذاته مع علاقات إحالة مطابقة ، بل أنماط تبعية مختلفة ، هكذا يمكن أن تُتبَع عقدة واحدة أكثر من مرة فى الوقت نفسه .

ز- يمثل الإلحاق اللاحق للفظ أعم يشمل كل شركاء التكافؤ فى سلسلة تناظر ، ويعوض عنها ، أو إذا أمكن ذلك للفظ المنضوى المشترك الأعم (ما يسمى السائد الدلالى) ، الذى يُستنتج من عناصر السلاسل من خلال مقارنة قاموسية أو عمليات السمات ، عكس خطوة فى عملية البسط أو النسخ الدلالى ، أى تصنيف السيميمات فى مرحلة تجريد مشتركة أدنى قدر الإمكان (مشتركة حسب الحاجة لكل سلسلة مفردة أو كل سلاسل التناظر معاً) . وهكذا يمكن مثلا أن تقدم عناصر التناظر " يعطى إشارات - يحدد - يخبر - ينقب - يوضح - من خلال العام ، ولكنه مكافئ ومحدد بشكل كاف أيضاً " يكتسب معارف ويقوم بتحديدات ، يستخبر" وما أشبه . وليس ثمة شئ يقف أمام تعميم لاحق وفق نظرية أو غرض لفعل المعلومة أو لمفهوم سيمى .

و- يمكن أن يتصور نقل الأبنية التصورية التى تربطها سلاسل التناظر وعلاقات أساسية ، إلى بنية وحيدة موجزة ، يمكن أن تفهم على أنها الخلاصة المعلوماتية ، النواة المعلوماتية الحقيقية للنص ، بوصفه نوعاً من عملية إسقاط (انظر الشكل ١) ، فى أثناء ذلك تُوحَّد علاقات التبعية لوظيفة مساوية بين عناصر تناظر مساوية ، الآن مجردة ومجتمعة . وبذلك تتكون نواة المعلومات من مفاهيم مطردة ومتكررة فى النص ، ومن ثم أساسية فى علاقاتها الأساسية المترددة ، وعلى ذلك الشائعة ، بعضها إلى بعض ، ويُنظر إليها على أنها درجة البسط الفعلية الأولى للنواة الموضوعية .

وينبغى أن ينجز الوصف النظرى لهذا التتابع الكلى للعمليات بخلاف المعارف اللغوية حول جزء من عملية الاتصال والنظام اللغوى إسهاماً فى

موضوعية تحليلات النص اللغوية الداخلية وغير اللغوية ، والحكم على التوجه الموضوعى . ويعنى هذا عبر البناء الموجه لهدف الاتصال للنص أو للنصوص الفرعية ، درجة الإطناب ، والمعرفة الجديدة إلى آخره . ويمكن اختبار صحة الفروض الأساسية ومناسبة نتائج التحليل باعتبار أنها تمثل استعادة النص فى شكل ، يعاد نقله إلى خلاصات فى لغات طبيعية ، يمكن أن يحكم على التزامها بالمعنى ، وصحتها كل متكلم كفء . ولعل النص المثال يعيد بناء صياغات مختصرة عميقة إلى حد بعيد مختلفة حسب الحاجة بين طرفين نقيضين :

" يقدم التنقيب فى براندنبورج ، ومقر الأمراء ، ومركز الأصول السلافية معلومات عن طبوغرافيتها وطريقة معيشة هذه الأصول " . – " تخبر تنقيبات عن طبوغرافيا وطريقة معيشة " .

ويطرح الاختزال الشديد للصياغة الثنائية المشكلات التى لم تبحث هنا الخاصة بمركزية الموضوعات الجزئية بالنسبة للموضوع الكلى والحد الأدنى للفهم .

وأخيراً ينبغى أن يمضى وصف التحليل خطوة أخرى لإثبات وجود نواة الموضوعات المفترضة بوصفها صورة لحال معقدة . وربما يكشف إلى جانب ذلك ما شكل التمثيل المناسب فى هذا المقام ، قبل أن يُبحث عن خطوات تغيير لنواة المعلومة حول الموضوع ، فهل تعد بنية الأساس التى اقترحها درسلر [٨] المكونة من محمول وعدة حالات إعرابية عميقة " أدوارَ فعلٍ " مجردة (الفاعل ، المستقبل، المكان ، الأداة ....الخ ، انظر الشكل ٢) ، وهل العناصر الأساسية التى أطلق عليها " مشخصات دارمية " وأحوال درجة الاستنباط والبسط الأولى مع الألفاظ الأعم لها بالنسبة لسلاسل التناظر المكثفة شئ مشترك . وقد يستمر فى البحث فى تضمين : هل يمكن أن تُنقل علاقات الوحدات النصية فى بنية نواة المعلومة ، حيث قد تكون مناسبة للاضطلاع بوظيفة ما يسمى بمؤشرات الأدوار ، أى أن توصف الخواص المميزة للعلاقات بين العقد بوصفها " سبباً ، نتيجة ، عاقبة ، تأثيراً ... الخ . وفى الخاتمة تطرح مشكلة ، هل يجوز أن تُعد بنية المجالات الاتصالية لصياغات الخلاصة ، كما تنشأ من خلال إعادة بسط من نواة المعلومة ،

---

(٨) درسلر ، ف : مدخل إلى علم لغة النص ، توبنجن ١٩٧٢ .

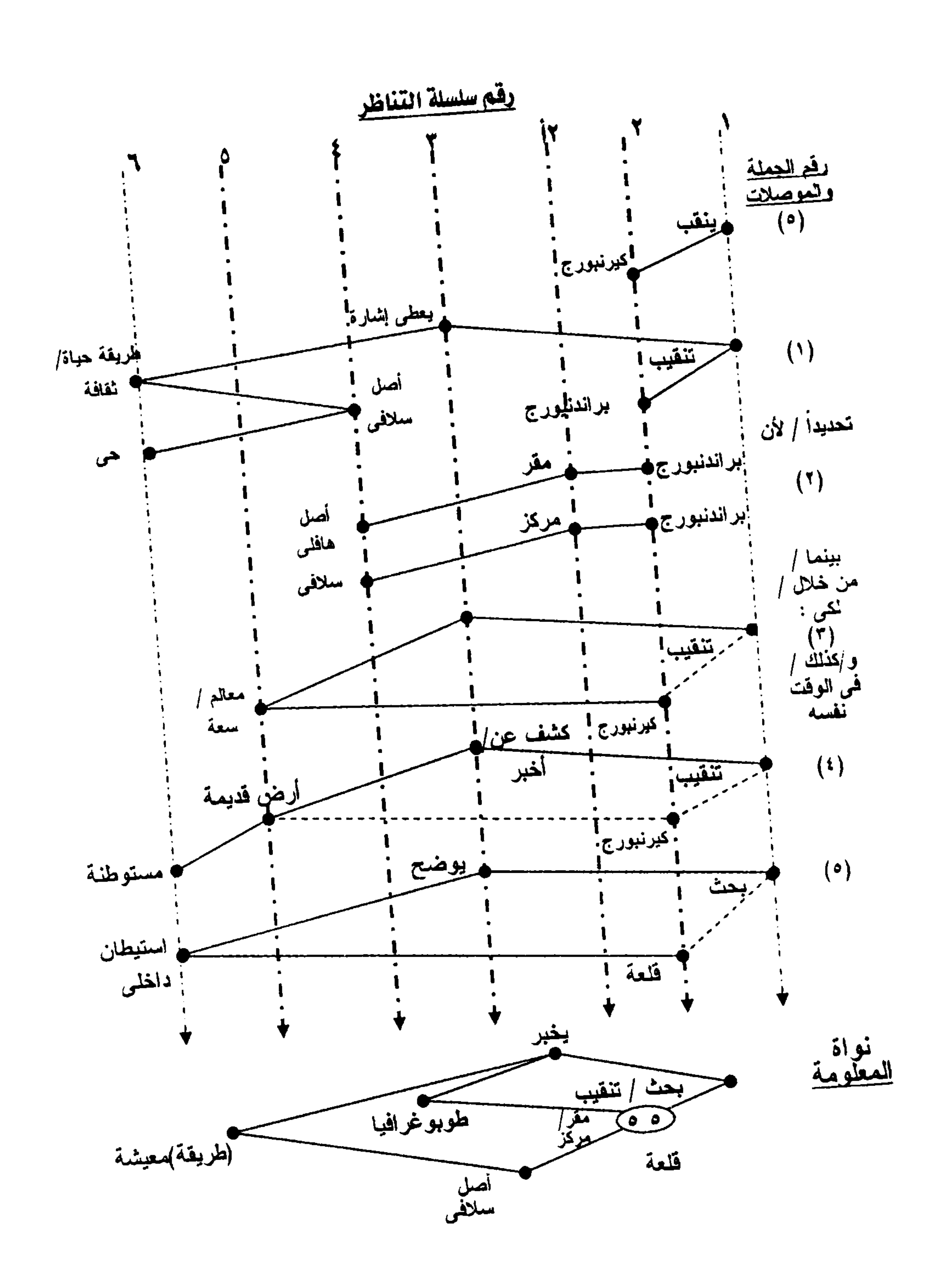
بنيةَ الموضوع – الحديث للنص الكلى التى يُبحث عنهـا (مثـل : الموضـوع " التنقيب عن كيرنبورج " ، والحديث " تقديم معلومة عن إحيانها ...) وقد يعنى هذا أن العنوان الأصلى " التنقيب عن كيرنبورج القديمة " مكافئ موفق تماماً لموضوع الخبر الصحفى اللاحق بمفهوم اتصالى ، ولكن يعبر عن الموضوع مـع حالـة " نواة موضوعية مجردة " بشكل قاصر ، لأنه لا يقدم دوراً من أدواره الفعلية .

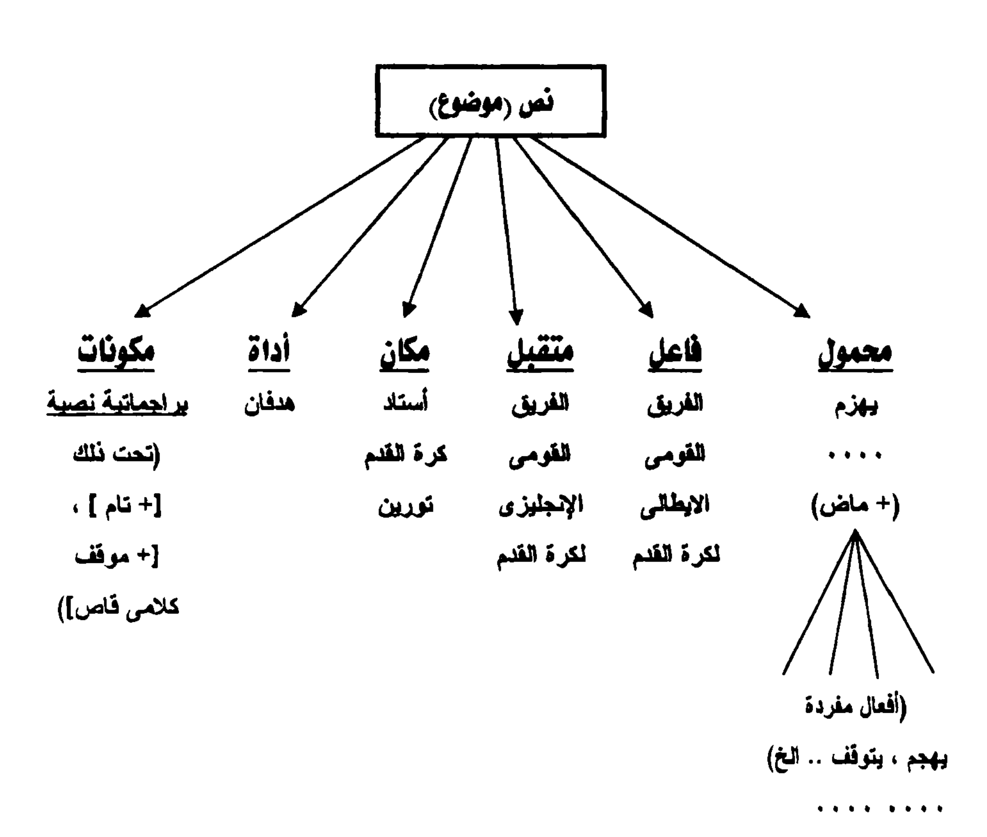
بيد أنه قبل إمكان الإجابة عن هذه الأسئلة النظرية حـول وضـع نتـاج تحليلى مستقبلى ، يصح أن تُبحث خطوتا التغيير الأكثر أهمية وإشكالية العمليـة الكلية ، وأن توصف على نحو يمكن تنفيذه عملياً ، أى تنظيم النص الأصلى حتى حله (تحليله) إلى محمولات واستعمال سلاسل التناظر من خلال وحدة أعم ، دلالية شاملة. وبالنسبة للنوع الأول من العمليات توجد طرائق لدى سِفْبو ، وفرانكنبرج، وبيشو، وليهمان [٩] ، وبالنسبة للنوع الثانى يوجد أساس فيما يسـمى مرحلـة التنظيم المشتركة بوصفه مبدأ نظرياً للمستوى الدلالى للعطف للانج [١٠] ، ويجب أن يُرجع كلاهما إلى الأصل الذى ما يزال مفترضاً ولكنه مبشر بالأمـل ، عمليـة أوجه توحيد بنية السيم وتكثيفها .

---

(٩) سِفْبو ، إ ، ب : بناء الـنص المتماسـك (المتـرابط) وآليـة تنقيتـه ، موسـكو ١٩٦٩ ، وفرانكنبرج، هـ : التسلسل الرابطى والاختزال المحمولى فى نموذج لغوى للـنص ، فـى تقارير لغوية ١٤ (١٩٧١) ، بروانشفايج ، ص ٥١ –٥٩ ، بيشو ، م : تحليل آلى للخطاب باريس ١٩٦٩ ، وليهان ، ف . ب . و / ١٠ . ستاكوفيتس : معيارية اللغة بالنسبة لاسترداد المعلومة ، أوسطن ١٩٧٢ .

(١٠) لانج . إ : دلالة ربط العطف (رسالة دكتوراه) ، برلين ١٩٧٤ .


رقم سلسلة التناظر
١
٢
٢أ
٣
٤
٥
٦
رقم الجملة والموصلات
(٥)
ينقب
كيرنبورج
يعطى إشارة
(١)
تنقيب
طريقة حياة/ ثقافة
أصل سلافى
براندنبورج
تحديداً / لأن
حى
مقر
براندنبورج
(٢)
أصل هافلى
مركز
براندنبورج
سلافى
بينما / من خلال / لكى :
(٣)
و /كذلك / فى الوقت نفسه
تنقيب
معالم / سعة
كيرنبورج
كشف عن/ أخبر
(٤)
تنقيب
أرض قديمة
كيرنبورج
مستوطنة
يوضح
(٥)
بحث
استيطان داخلى
قلعة
نواة المعلومة
يخبر
بحث / تنقيب
طوبوغرافيا
مقر/ مركز
٥ ٥
(طريقة)معيشة
قلعة
أصل سلافى



<u>فاعل</u> ، <u>متقبل</u> ، <u>مكان</u> ، <u>أداة</u> .... الخ = " أدوار الفعل "

الفريق الايطالى لكرة القدم ... هدفان =" مشخصا الدراما "

بيتر هارتمان

علم لغة النص مهمة لغوية (*)

0ـ ملحوظة أولية

لقد اقتفت الحلقة الدراسية المثبتة فى هذا الجزء [شعر حسى ، فن مجسم كارلسروهه ١٩٦٨ ، انظر المراجع] للفن التجريبى فى الإسهامات السابقة خطـاً مهماً : فقد بين م . إمدال التصور الأول ، وبناءً آخر لمفهوم ما هو مجسم فـى الرسم ، وتحدث هــ . جبماير عن خصوصيات الشعر الحسى بالنظر إلـى علـم دلالة خاص وتنظيم متعدد الأبعاد للنص ، وقدّم جمعاً أوليـاً وتصـنيفاً للعناصـر الأساسية للتشكيل فى التقنية المصممة للمسرح، وناقش ب . فـايرمير الشـعر الحسى والمرئى بوصفه شكلاً مضاداً للغة الطبيعية ، وربط ز . ى. شميت هـذا التشكيل المحدد الخاص للنص ذو الطبيعة المرئية بوجهات نظر لغويـة لقواعـد جديدة خاصة . وعبر ك . باومجرتنر أخيراً بوصفه لغوياً عن الإمكانـات التـى توجد إلى اليوم فى نظره فى مجال العمل والوصف اللغويين . وبذلك أُعدّ مستوى محدد من الشروط التى يمكن الآن بناء الإسهام الآتى عليها . والهـدف منـه أن يصف بإيجاز فى أفق أبعد نظام علم اللغة للإشارة فى بانورمـا اهتماماتـه إلـى المواضع التى يمكن وينبغى فيها أن يتوجه علم اللغة بشكلٍ مجدٍ إلى نتائج تشكيل محدد للنص : بأن يدرك هنا كماً مهماً له أيضاً من النتاجات اللغويـة بوصـفها موضوعاً، ويجد معارف خاصة جديدة لمهنته البالغة الخصوصية لدراسة اللغـة بوجه عام .

وينبغى أن يوضح البحث (١) علم اللغة العام أو اللسانيات فـى موقـف وموقع مميزين فى الوقت الحاضر (المبحـث ١ " الموقـف ") ، وأن يقـدم (٢) تصورَ وبناء علم لغة قائم على النص بوصفه نتيجة ضرورية ومفيدة (المبحث ٢

(*) عنوان هذه المقالة هو : Peter Hartmann
Textlinguistik als linguistische Aufgabe pp.93-105
من كتاب Textlinguistik ، حرره فولجانج درسـلر W . Dressler ، Darmstadt . 1978

" المهمة ") وأن يشير (٣) بناءً على ذلك فى شكل إسهام لغوى أصلاً إلى منظور الرؤى الأخرى ، وصعود لقيمة علم اللغة (المبحث ٣ " المنظور ") وبذلك تُحـدد مسألة الموضوعات الحالية فى مجال الرؤية لعلم اللغة ، ومـن هنـاك تُسـتنبط وتُفهم .

ويتقدم الكل فى شكل وصف للعلم ، وهكذا كما يقال من الخارج بأن العلم ككل هو الموضوع المناقش والمعالج . وفى هذا الموضوع تتبـين إذن ملامـح محددة إما أنها مقدمة وإما أنها ما تزال ضرورية . ومقصد هذا الإسـهام إبـداء قول مختلف حول ما يأتى : (١) إن علم اللغة يجب فى الوقت الحاضر أن يطـور موقفاً آخر تماماً ، موقفاً أفضل ، أكثر تنظيراً (المبحث ١) ، و (٢) أنه يسـتطيع ذلك طالما يربط أشكالاً جديدة لبحث الأسس بفهم أفضل أكثر إدراكـاً لموضـوع انطلاقه ، للنص (المبحث ٢) ، و (٣) لأنه يكتسب من خلال ذلك بناءً على قطاع مهم ، مركز مجالات تطبيق ، ومن ثم وثاقة صلة جديدة (المبحث ٣) .

المبحث ١ الموقف

١ـ١ علم اللغة فى العصر الحاضر والعالم الحالى

توجد بوجه عام كما يقال نظرة معتادة ، مألوفة ، وهى إما أن فرع علـم اللغة لا يعرف أساساً أنها موجودة ، وإما أنها تتصور تحتها ما قُصد بحـق فـى زمن بداية القرن تقريباً إلى أن المرء يجب أن يتحدث لغات كثيرة ، ثم عليـه أن يقارن بينها، وأن يبحث فى أصلها وفى قرابتها أيضاً . وأن يسعى باستمرار إلى لغات غير معروفة ، ثم أن يكتب لها وللغات المعروفة من قبل كتـب تعليميـة أو كتب نحوية . مثل هذا ما يزال صحيحاً إلى حد ما ، ولكن يمكن هنا أن يظل منحى جانباً ، إذ يصدق هذا على الإعداد الواقعى لعلم اللغة الحالى ، وليس مطلقاً علـى موقفه بوصفه علماً أو على موقعه الذى عليه أن يطوره فى الوقت الحاضر .

وتطرح مطالب العلوم المتطورة حول علم اللغة ذلك أمام كم كبيـر مـن المثيرات والاقتراحات والطلبات : مثل التشكل الرياضى المحسوس لمجالات بحثية أخرى ، ومعالجة المعلومات بوصفها نتيجة ملموسة ، والمناقشة فى كل الأرجاء للمفاهيم العلمية . وتضاف إلى ذلك مطالب محددة من جهة المجتمع الذى يبـدو

مختلفاً تماماً عما سبق أمام موقف تأكيد علمى وبحثى قوى ، ذلك فى وضع غير معروف إلى الآن بالنظر إلى استهلاك العلم والتكنولوجيا ، والتدريب العلمى : كما هى الحال فى الأسئلة عن مدرسة أفضل ، وعن تعليم أفضل وفاعل للغات ، وعن دور اللغة فى المجتمع بوجه عام ، وعن إمكانية التداول من خلال الصحافة ... الخ .

٢-١ علم اللغة فى منظور وفى بؤرة علوم أخرى

إذا أقر المرء بما قيل آنفا فإنه تصير حالتان واضحتين ، الأولى : لا يقع علم اللغة ببساطة إلى جانب أو تحت علوم مجاورة ، ذلك لأنها هنالك فحسب ، فقد كان ذلك هو الحال دائماً ، حيث كانت العلاقات على نحو آخر . إنه بالأحرى مرتبط فى الوقت الحاضر بقدر متزايد بأطراف أخرى ، وبشكل أدق مرتبط من جوانب عدة منهجياً . وفى ذلك نرى أيضاً اتجاهات تأثير من جوانب عدة : من نواح عدة أثرت بواعث البحث ، ووجهة النظر ، والوجهة والمناهج فى عمق علم اللغة – كما فى المعالجة المذكورة للمعلومات بواسطة المنطق الرياضى ، وفيما يسمى النحو التوليدى ، وعلى نحو مماثل خرجت بواعث من علم اللغة إلى جوانب عدة فى علوم أخرى – كما هى الحال فى علم الاجتماع ، وعلم الصحافة ، وعلم النفس ، والنقد ، والمنطق ، وعلم الفن ، وعلم الموسيقى .

الثانية : حصل علم اللغة تبعاً لذلك على موقع نقطة الانطلاق والمركز للاهتمام البحثى ، بقدر ما يُعنى بمعارف ومناهج أساسية محددة : تتمثل بواعث علوم أخرى مستمرة فى التطور فى اقترحات لمناهج ومطالب من علم اللغة ، وتتكثف مطالب المجتمع فى مسائل متعلقة بفعل اللغة وطريقة تأثيرها ، واستعمالها المختلف ...الخ .

ومما ينبه إليه فى هذا الأمر أن يلاحظ فى الطرائق : من الأهمية بمكان ، والمثير ، وربما من المحتم أن يُطرح إلى جانب الشكل الحالى والتقليدى لعلم اللغة العام اتجاه جديد . لأن العمل الحالى لا يتجه تقريباً إلا إلى فهم لما تسمى أبنية النظام اللغوى ، أى رصيد من عناصر وقواعد ربط العناصر (علم لغة قائم على النظام) ، فى حين أن كثيراً من الأسئلة الجديدة تتطلب معالجة وتحليلاً لاستعمال الأنظمة اللغوية (علم لغة قائم على الاستعمال) . ويصير واضحاً

باستمرار فيما يتعلق بالوضع الموصوف ، كيف يصير علم لغة حديث فى الفترات القادمة كما يقال صامداً ، مقارنة بكل تخصصات ما تسمى العلوم الإنسانية تقريباً التى تدرس الفلسفة – والتاريخ – وفقه اللغة . بيد أن هذا لا يتبين فى الوقت الحالى إلا فى إشارات لما يقع بشكل مباشر فى العمل السياسى الجامعى الحالى .

المبحث ٢ المهمة

انطلاقاً من الحاجات الموصوفة تتمثل مهمة علم اللغة الحالى على نحو مغاير بصورة ضخمة عما سبق بشرط إرادة الاشتراك فى الخطاب بشكل ملزم ، فلم يعد يرغب فى أن يظل فى موقف علم خاص منغلق – غير مهم ، لا يُرجى منه نفع .

١.٢ مهام عامة – منهجية

ويُفهم تحت ذلك انتقال إلى أشكال معرفية جديدة أو إلى أشكال تفكير علمية أخرى ، حيث يمكن بذلك وينبغى أن ينشأ قطاع محسَّن ومختلف لعلم اللغة بوصفه علماً .

ولهذا الغرض يجب أن يُعنى علم اللغة الحالى بسلسلة من مهام أساسية مميزة ، ربما توصف على النحو الآتى :

(١) تأمل المهمة ، وبخاصة نقد تزويده الحالى بوجهات نظر ، وأوجه تنظيم ، وأشكال تحليل ومناهج ....الخ ؛

(٢) تداخل الاختصاصات ، الذى قدَّم باستمرار إلى الآن ، ولكن فى الغالب بوصفه شكلاً ساذجاً لتعاون موضوعى فقط بين علوم مهمة بشكل مشترك – كما فى حالة البحث البيزنطى حيث كان على علماء الدراسات اليونانية القديمة ، والسلافية ، والمؤرخين ، والجغرافيين وعلماء النُّميات أن يتعاونوا . وعلى النقيض من ذلك قد يطور شكل غير ساذج ، غير مبتذل قد يطور فيه تعاون متعلق بالموضوعات – كما بين علم اللغة ونظرية التنبؤات (الاحتمالات) للإفادة من القوانين المتباينة للتكهن بسلوك فردى أو جماعى (لهجات فردية ، ولغات جماعات) ؛ فربما لاضير من مناطق تعاون مثمرة بشكل مباشر ؛

(٣) بحث الأسس يوصفه مناقشة ونقداً وتصويباً لشروط العمل اللغوى الخاص ، وبذلك قد يصير علم اللغة فلسفياً بدرجة أكبر من حيث أنه يعكس شروط إمكانه ، ومن ثم شروط إمكان موضوعاته فى الوقت نفسه أيضاً ؛ ويجوز أن يجرى هذا البحث وفق أحدث نظرات أيضاً غير مقيد بهدف ؛

(٤) بناء نظرية للمهام المختلفة لعلم اللغة ، أى نظرية لغوية ونحوية ، حيث يمكن أن تُوصف ، أى تُفهم بصورة محتملة فى شكل أكثر تجريداً بشكل موحد الأنحاء والمنطق والآليات (ما بعد الحساب التحليلى) .

هذه المهام الأساسية ، وربما مهام أخرى أو من أجل التأسيس مجالات بحثية ضرورية تنتج فى رأينا عن المطالب المتعددة الموصوفة من قبل من علم اللغة .

وعلى نحو مشابه يمكن أن تُستنبط من هذه المطالب الحالية مهام رئيسية أو موضوعات أساسية أكثر خصوصية أيضاً ، هى على النحو الآتى :

(١) مسائل ونظرية علم الدلالة أو علم العلامات (اللغوية) المفهوم من الناحية اللغوية ؛ يؤدى علم الدلالة فى الوقت الحاضر دوراً مغايراً بصورة ضخمة ما سبق ، حيث لم يكن مناقشاً فى بادئ الأمر بداهة ، ثم لم يُلتفت إليه لأجل بناء نظام مجرد قدر الإمكان ، ولكنه فى الوقت الحاضر يُوقر ويُستفاد منه معاً فى وظيفة أساسية ؛

(٢) مسائل ونظرية النحو أو علم التأليف المفهوم لغوياً لبناء مركبات (سلاسل) علامات لغوية : تبين أوصاف ونظريات حديثة فى علم الدلالة توجهاً محدداً وواضحاً إلى السياق، الذى يُطالب به فى الوقت الحاضر شرطاً للمعنى .

(٣) مسائل ونظرية الترجمة أو الإفادة اللغوية من معلومات العلامات اللغوية المحولة بمفهوم أعم . ومثل هذا لم يعالج غالباً من جانب لغوى إلى الآن : وفى علم اللغة المبكر جداً (لدى هومبولت) وُفقَ المرء بواسطة إجراءات معينة فى الترجمة إلى الأنماط اللغوية المتباينة (أنماط ما يسمى الشكل الداخلى للغات) بحيث صارت الترجمة هنا وسيلة تقابلية بالنسبة للمقارنة اللغوية . بيد أن المرء يترجم كما يقال أنظمة إلى أنظمة لغوية (فالألمانى يفكر على نحو مغاير للفرنسى) ، إذ ما تزال وجهات النظر الخاصة بالوظيفة

والاستعمال لم تؤد دوراً . وفيما بعد سقطت الترجمة كليةً من النظر ، حين عُنِيَ المرء ببناء أنظمة لغوية مفردة ، وكانت المناهج بصفة خاصة لغوية كامنة ، وليست متعالية على اللغة أى على النظام . ومن الواضح أن مسائل الترجمة تضمنت دائما مسائل عن نظام أو نظامين أو عدة أنظمة أيضاً : لأن هذا هو الشرط المسبق للغة (للغات) متحققة، أى متجلية فى نصوص . وتوجد مثل هذه الموضوعات الأساسية بسهولة بوصفها موضوعات بحثية لعلم اللغة الحالى ؛ وينبغى أن تُعالج لممارسة وتعلم الموقف المذكور فى البداية والموقف العلمى لهذا الفرع العلمى . لأن المهم لأن يمارس هذا العلم على نحو مجرد وعقلى فى الوقت نفسه أنه يمكن أن يتوجه إلى موضوعات خاصة بوجه عام : فمن الممكن بسهولة أنه عند تأمل المهمة اللغوية ، ومجال الموضوع الناتج عن ذلك أن يُقدم السؤال عما - يجب على علم اللغة أن يحدده ، وأن يقوله عن نتاجات لغوية ظاهرة ، مثل الشعر الحسى . وقد قدم البحث المتقدم [لـ ك . باومجرتنر فى : شعر حسى وفن مجسم ، لم يطبع هنا] هنا مثالاً طيباً لـ : كيف تبدَّى اتجاه مهم فى الوقت الحاضر أيضا.- وتوجد مع ذلك مجموعة أخرى لمهام أكثر خصوصية ، وهذا المجال هو الذى يمكن وينبغى أن يُعْنَى علم اللغة فيه بنصوص محددة مميزة ومتحدث عنها مراراً .

٢.٢ موضوعات متعلقة بوجه خاص بالموضوع اللغوى :

النصوص موضوعاً أساسياً

(١) علم لغة مناسب للموضوع : يجب لتصوره أن يُتحدث عن موضوع لغوى . ولقد صح إلى الآن فى حد ذاته ذلك النظام اللغوى المدرك من التحقيقات اللغوية والذى يُكشف عنه من خلالها : مجموعة من العناصر أو من المواد ووحدات الرصيد اللغوى الرابطة ، التى تُضَم فى أوصاف لغوية (معجم ونحو)، وتُوصف على نحو مختلف ، مثلما فى شكل القواعد المتبعة عند بناء الجملة. مثل هذه الأنظمة التى يُبحث عنها كانت دائماً تجريداً من الواقع اللغوى ، ويجب أن تكون كذلك . ولذلك لم تُجز على الإطلاق تقريباً أن تُعلم لغة ما وفقها تعلماً تاماً : فالبقاء فى بلد أجنبى - استُخدم فيه هذا النظام

استخداماً عملياً وفعلياً – يجب أن يُضاف ؛ وعَـرف الملاحظـون اللغويـون علاوة على ذلك عناصر وأبنية، كانت معروفة بالكاد للمشاركين أو احتاجـت إلى أن تُعرف .

(٢) فى مقابل ذلك يقع مطلب أن فينومنولوجيا اللغة ، أى موضوعها – يجب أن يصير تدريجياً مهماً لعلم اللغة . وفى الواقع ربما كان ذلك – بصرف النظـر عن أن كل لغة هى فى الواقع مستخدمة – موضوع الانطلاق الحقيقى بوصفه العلامة اللغوية الحقيقية أى الأصلية .

بيد أن هذه " العلامة " فى الأعم هى نص ، وبشكل أدق نص محدد ، وهو ما يجب أن يُفهم فى السياق حقيقةً بمعنى أوسع . ويَسم النص تبعاً لذلكَ أى قطعـة ذات معنى، وذات وظيفة ، أى قطعة موفقة من الكلام ، صارت مهمة (حيـة) أو تصير مهمة للتو . ومن البديهى أنه قد تُعقد فروق وتأملات فى مكان آخر .

وغنى عن البيان أن علم اللغة قد تطور مع تلك الأفكار فى أفق جديد ، ربمـا لا يمكن أن يقال عنه بضع أشياء بدقة على الإطلاق ، بل يمكن مع ذلك أن يقـال عنه بضع أشياء الآن بدقة إلى حد ما : ذلك أن المرء سوف يمكنه أن يدرك ذلك المجال الحدى للنحو بشكل جد منضبط ، الذى تتوافـق فيـه وحـدات الجمنـة وضمائمها ، وأنه يستطيع أن يجعل مسائل المعلومات أكثر وضوحاً ، وأنه يمكن أن يُزيد صلة بالنقد (علم الأدب) : ليس فى شكل اغتصاب لفرع مجاور ، ولكـن بوصفه عرضاً للتحليل الأساسى لأساس الحاملات للمعلومات والتـأثيرات داخـل النص ، بحيث يمكن أن يُذَكّره : على أى أساس تلك الأبنية فى أساس العلامـات اللغوية (الذى يضم معانى دائماً) تُنجز تلك التفسيرات ، أى تُستنبط وتُفهم ، ومتى تُضاف مواقف غير نصية إلى معانىَ الأساس هذه (مسائل الموقف والسـياق) . ويمكن بوجه خاص أن يُدرك الانتقال إلى الحدس المفسر هكذا على نحو أدق .

ويمكن أن يقال الآن إن تلك الأسئلة تؤثر فى الترجمة وتحليلها أيضاً : كيـف يمكن وينبغى ، ويجب ، ويجوز أن تكون الترجمة ؟ كـم مفهـوم مـن مفـاهيم الترجمة يُستعمل ؟ وما مقصد الترجمة ؟ من أى معيار (– استعمال) لغوى تنطلق وفى أى منها تنقل ؟

بيد أن المرء لن يقول بشكل أدق إلا بعد بعض أعمال ، ماذا من أمر الظاهرة الأساسية لتكوين النص ، ومن أمر الأشكال الكثيرة لأنواع النصوص : لأن الأمر ما يزال يجب بدايةً أن يتعلق بوضع وحدات وأبنية تحليلية للنص . هنا يعد عمل متداخل الاختصاصات مع النقاد ضرورياً، وبديهياً دائماً مع كل أولئك الذين يشتغلون ببناء أشكال نصية جديدة . وبذلك يكون هذا هو الموضع الذى يصير لعلم لغة ينزع إلى توسيع مجاله علاقة مهمة بمفكرين يعملون " بشكل محدد " وفى ذلك سوف يستخدم أو يطور ابتداءً لاستيعاب وفهم هذه الأشكال الجديدة بالنسبة له للموضوع أو النصية ما يمتلكه : وقد جاء بمثال جيد البحث المتقدم [فى شعر حسى ، وفن مجسم ، لم يطبع هنا] مع أحكامه حول وصف توليدى للبنية بالنسبة لأشكال نصية جديدة . ويميز خلاف ذلك على أساس مثيرات جديدة. وهكذا تنشأ مثلاً مهمة الفصل بين وحدات تحليلية للنص ، وتحديدها بشكل متداخل اختصاصاً ، أى بناء أجزاء أكبر ، ومن المحتمل إلحاقها بوظائف محددة ، وتُتعرف باستمرار أبنية فى نصوص ، وتوصف ، وكذلك أبنية خاصة فى ولأنواع نصية خاصة أو أجناس وأساليب . أما ما يجعل النص نصاً فيكون بالبحث عن وسائل بناء النص ، ووصف بناء النص بين جمل مشبعة " (متى تكون جملة ما مشبعة ؟ ما الحاجة إلى سياق إلى جانب ذلك ؟ ... الخ) ، ومن المحتمل تجريب أنواع مختلفة من الوصف لذلك .

وينشأ الوضع المهم لعلم من خلال مواجهة بحالات متطرفة جديدة لبناء النص، على سبيل المثال تنظيم قائم على أساس سطحى أو متعدد الأبعاد ، وعلى أساس حالات متطرفة للاستعمال اللغوى على سبيل المثال عند هدم النحوية أو القواعد أو علم الدلالة العادى الذى يتجه إلى متلازمات (متعالقات) خارج النص . وربما يتحدث اللغوى المنتبه فى البداية عن علم دلالة مضاد ونحو مضاد ونصوص مضادة ، ولكنه يلاحظ أنه فى ذلك تُتعرف الأبنية الأساسية للاستعمال اللغوى بوجه عام ، أى تكوين المعنى : وذلك لأن الأمر يتعلق بالشكل المفهومى للفن تقريباً ، الذى يعد مجسماً بمفهوم فان ديوسبرج بقدر ما تمثل العمليات المؤسسة للمعنى والأشكال الأساسية ذاتها . وبذلك يطرح هنا أيضاً موضوع بارز، موضوع المعنى ذاته . ويُلغَى التجريد الأساسى للغة العادية بأن يحمل اللغة

ذاتها إلى حد بعيد قدر الإمكان على التعبير ، ويثرى تضمين المستوى " المادى " للحروف (الجرافيمات) وتنظيمها مجال الرؤية اللغوى ، ويربط أوجه الإنتاج بالفن المعروض ، ويكتسب النحو قيمة فى عملية نقضه بل يتضمن التآلف على السطح، عندما يتعلق الأمر بشعر مرئى . ويمكن وسوف يعد هذا الشكل المضاد للغة الطبيعية بالنسبة للغوى وسيطاً جديداً ، يصور فيه على نحو مميز للغاية ما يعد أحد موضوعاته الأساسية : طريقة ورود اللغة ، وطريقة وجودها .

المبحث ٣ المنظور

ينشأ (أى المنظور) على أساس طرح مختلف للمهام ، وتبعاً لأداء بعض مهام أساسية ورئيسية وخاصة لوحظت من قبل . ومع ذلك فالفيصل هو الزيادة الخلاقة للتوجه الثقافى (العقلى) على مستوى الموقف العلمى ، المنفتح أساساً لعالم اللغة .

٣ـ١ توضيح وقيمة إيضاحية

يُوسّع علم اللغة من خلال أوجه التطوير وتغييرات التوكيد المشار إليها فيما يبدو فى مجال موضوعه وأهميته . ويكتسب فضلاً عن ذلك عوامل بحثية مميزة : طرائق ، ووجهات نظر ، وأوجه تنظيم ، ومقولات ، ومناهج للتحليل والوصف ، وأخيراً شكل معرفى آخر أيضاً . هذا (الأخير) هو الذى يضيف إليه آخر الأمر أبعاداً أخرى بمفهوم طراز معرفى آخر، وتجعله قادراً على التعبير بالنسبة لمسألة المفاهيم العلمية . ومن هذا الجانب يمكن فى البداية أن يتحدث عن إبراز أقوى لهذا العلم من خلال الإسراع فى أشكال جديدة للتنظير . ومن ثم تصير من الأهمية بمكان فى إطار تأمل للمهام معالجة مسألة توجيه علم اللغة فيما يتعلق بمادته المعرفية والبحثية ومادة الدرس .

وطبقاً لذلك تتغير القيمة الإيضاحية لعلم اللغة أيضاً . فقد تغيرت تغيراً شديداً مرة واحدة حين بدأ تطور علم اللغة العام فى مطلع القرن الماضى ضد اتجاه الرؤية التاريخية فقط والفيلولوجية إلى حد بعيد . ونتجت قيمته الإيضاحية عن حقيقة : أن المرء تعلق بدرجة أكبر بنوع جديد من الموضوعات ، بأبنية (-النظام) اللغوية التى ينبغى أن توصف بمقولات يمكن استعمالها فى كل اللغات

قدر الإمكان – ومن المتوقع أن علم لغة يؤلف فى مهامه وتحديده للموضـوعات شيئاً كالكفاية الموضوعية يكتسب قيمة إيضاحية كبيرة وجديدة لكـل مـا يعنـى انطلاقاً من فروعه بالورود ذاته للموضوع ، حيث يمس اللغة بوصفها معطىً .

٢-٣ تطبيقات

سوف تكون إحدى أهم نتائج علم اللغة القائم على النص أن المرء يتعلم أن يقول شيئاً حول مسائل ، عدت لعلم اللغة إما أنها ليست بذات صلة أو لا يمكن أن يجاب عنها لغوياً ، أو شاعت فى مكان آخر ، ولم يكن يُرتجى لها أن قد يمكن أن يقال عنها من الناحية اللغوية شئ صائب (منظم ، مفهوم) أو يمكن استعماله (بشكل متواصل ، تكنولوجياً) . ومن المهم أن يحدد أن هناك خبراء فى الغالـب يُعنون بأسئلة علم دلالة جديد ، أو بناء السياق (النحو) أو تكوين النص أو بدور الترجمة : لأنه هنا تقع نقاط ، يردون فيها أمام حواجز نظرية ، حيث يشـعرون أن اللغوى ينبغى أن يعرف ويقول حول ذلك ما هو أدق .

وربما يُمكِن من ذلك علم لغة النص الذى سيتضمن باستمرار أيضاً علـم لغة الاستعمال اللغوى . وفى ذلك لا تُغير صياغة الأسلوبية التقليديـة فحسـب ، بوصفها علم النقل اللغوى الداخلى ، أو البلاغة بوصفها إرشاداً إلـى اسـتعمال لغوى خاص ، بل سوف يتوجه المرء بالأحرى إلى مستوى للموضوع والمعـرِّف ذى تنظير فائق ، يبحث انطلاقا منه عن شئ ويسهم فيه عملياً من كافة الجوانب. وتكمن علة هذا الموقف المحورى وهذه الأهمية الأساسية فى أن شكل النص هو العرض الواقعى ، أى الورود المطلق للغة ، الذى يتجلى فيه تبعاً لـذلك محتـوى محورى انثروبولوجى ؛ وعلى ذلك فكثيرة إذن تلك الاتجاهات التى يمكن أن تؤثر فيها معارف لغوية . ويذكر هنا بإيجاز مثالان .

بالنسبة للتطبيق على النقد توجه تدريجياً أفكار فى غير هذا المكان أيضاً، لأن موضوعات انطلاق هذا العلم هى ورود لغوى ونتاجات ونصوص ذات وظيفة خاصة ، وما يمكن أن يزيد من التفسير ، تثيره وتحدده بقدر كبير هذه النصوص. وربما ينطلق كل مؤلف آخر الأمر من أن كل شئ يريد أن يقوله يمكن أن يُعرف أو يقرأ بواسطة الإصلاح القولى والنصى واللغوى الذى يطرحه . ويمكن فى ذلك بداهة أن يشيرَ أيضاً على أى نحو كان ، إلى جوانب فهم وتأثير غير لغوية ، وأن

يُوجِدَ رموزاً إلى أفق الفهم الشامل (السياق الثقافى) ... الخ . ومن الواضح أنــه فى هذا المجال من النقد تكون مواجهة شعر حسى أو مرئى خبرة مهمة للغوى .

وتوجد أيضاً بالنسبة للتطبيق على التدريس والتعليم وجهات نظر مهمة ، ويقع علم اللغة فى الدائرة المهمة للعلوم المحتملة مباشــرة لتخطــيط ثقــافى . ويوجه بشكل أدق وأفضل ، أى أكثر تنظيراً وتجريداً إلى الحامل الحقيقى للنقل ، اللغة : خلاف عالم النفس أو التربوى أو الفيلسوف أو المتعلم . ويكون كما يقال استعمال مفيد مميز أخير بالتعبير عن مسائل التدريس ، حيث يسهم بنصيبه فــى نظرية التربية . بيد أن هذا سوف يتبع بالنسبة للمتخصصــين فــى الممارســة (المران) التدريسى فى نظريته العامة عن التعلم والتعليم .

ولن ينطلق اللغوى من نقل مجرد – شكلى للمعلومات فحسب ، بــل مــن نظام لارتباط بالشكل اللغوى وتبعية الجماعات وموضوع الإبلاغ . ومن ثم يكون التدريس بالنسبة له حالة من النقل إلى عوالم لغوية مميزة للجماعات ، تعد لذلك حالات متقوقعة للشعر مثالاً محسوساً مهماً . ويبرز هنا بوجه خاص دور علم لغة متعلق بالنص والاستعمال : تبنى نصوص خاصة بمهنة التدريس بحيــث تنقــل معرفة بالموضوع محددة بمجموعة مميزة إلى عالمها اللغوى الخاص .

١.0 ملحوظة ختامية

من المهم فى السياق الماثل أن يشار إلى المكانة التى ربما يجــب علــى الاشتغال بشكل نصى خاص أن ينالها داخل علم لغة أكثر اتساعاً . فنطاق البحــث يشتمل على وجهات نظر ومناهج كثيرة تجعل علم اللغة الناشئ بشكل أكثر وعياً وعقلانية شريكاً ، ربما يستحق معه أن يتحدث عن تحقق منهج مجــدد أيضــاً : فالمرء يوجد على نحو ما علماً يمكن بالفعل انطلاقا من بحــث الأســس وبنــاء النظرية أن يقول شيئاً عن حقائق اللغة ، وفى ذلك يتم التشجيع أيضاً من خــلال خبرات جديدة . وهكذا لن يعرف اللغوى الشعر الحسى إلا بوصفه صياغة لمنهج محدد يريد أن يتمثل أو يقدم فقط فى الفن والموسيقى والشعر والأخلاق . ويعرف من جانب آخر أنه يجب أن ينشط وجهات نظر أكثر كلما زاد عــدول المنطوقــات اللغوية المعالجة ، بيد أن هذا ستكون له فوائد كبيرة ، إذ يجب على علم اللغة أن يُجبر على ألا يكتفى بأية جوانب أحادية مجربة ، ربما كانت ما تزال مؤثرة .

فرانتيشك دانش

حول التحليل اللغوى لبنية النص (*)

0- تبين فى الفترة الأخيرة أن التحليل اللغوى المحض لم يعد من الجائز أن يقتصر فيه على بحث بنية الجملة ، بل يجوز وينبغى أن يحلل النص أيضاً (وأجزاؤه) ، بنيته بالمناهج اللغوية . فالأمر يتعلق بوصف المبادئ العامة لبناء النص ، التى تدخل ضمن مجال النظام اللغوى (الكفاءةِ اللغوية) . ويتحدث المرء عن نحو النص أو بصورة أفضل عن نظرية بناء النص . (١) وفى بحثى أريد أن أعنى بمبدأ من هذه المبادئ ، أقر به منذ زمن طويل فى إطار مدرسة براغ اللغوية .

١-١ يمكن أن ينظر إلى جزء على أنه تسلسل لأقوال (صغرى) (أى لجمل تناسب سياقاً معيناً وموقفاً محدداً) . ويشكل شرطى لتفصيلات أخرى أساس ما يسمى " المنظور الوظيفى للجملة " أو " التقسيم الفعلى للقول إلى موضوع Thema ، وحديث Rhema (٢) (أى محور وتعليق فى المصطلح الأمريكى). ويمثل الموضوع والحديث وظيفتى إخبار متكاملتين

(*) عنوان هذه المقالة هو : František Daneš
Zum linguistischen Analyse der Textebene pp.185-192
من الكتاب السابق ذكره Textlinguistik الذى حرره فولجانج درسلر W . Dressler ، دارمشتاد ١٩٧٨ م .

(١) انظر مثلا VI ، سكالتيشكا " نحو النص (المنطوق) " الكلمة والأدب ٢١ (١٩٦٠) ٢٤١- ٢٤٩ ، وك. هاوزنبلاس " حول وصف الخطابات وتصنيفها "TLPI (براغ ١٩٤٦) ٦٧- ٨٣ .

(٢) من المراجع الكثيرة نريد أن نورد هنا على الأقل الأعمال الآتية : ف . ماتيوس " حول منظور الجملة فى الإنجليزية الحديثة Archiuv für das Studium der modernen - Sprachen und Literaturen LXXXIV (1929) , Bal . 155 ,200-210 و.ج.فيرباس "حول تحديد الموضوع فى تحليل وظيفى للجملة ، TLP1 (Prag , 1964) 267 - 280 ؛ وج .فيرباس : " من دراسات مقارنة لنظام المفردات " - Brno Studies in English IV (Prag , 1964) , 111- 128 ، وإ . بنش " موقع الفعل فى الألمانية ، من منظور الإخبار ، Muttersprache 74 (1964) وب . أدمك : "ترتيب الكلمات فى اللغة الروسية" ، براغ ١٩٩٦) ؛ وب . سجال " المنظور الوظيفى للجملة فى وصف توليدى " Prague Studies in Mathematical Lirguistics 3 (Prag , 1968) 203 - 225

لأجزاء دلالية مختلفة من القول : ففى كل قول تقريباً يُفرق بين ما يخبر عنه بشئ (الموضوع) وما يخبر عن شئ (الحديث، الحكم بمعنى ضيق خاص) . ويتعلق توزيع هذه الوظائف حول العناصر الدلالية للقول بالسياق المقدم والموقف المعطى . وهكذا مثلاً فالقولان الآتيان : (١) تلقى الكتاب من زميله ، و(٢) تلقى من زميله كتاباً ، متطابقان تقريباً من الناحية النحوية (والمعجمية أيضاً) ، ولكنهما منفصلان بناء على سياقات ومواقف متباينة ، ويشيران إلى منظورات إخبار متباينة : ففى الحالة الأولى تحمل وظيفة الموضوع الألفاظ تلقى الكتاب ، فى حين تخصص وظيفة الحديث للتعبير " من زميله ". وفى الحالة الثانية يكون التوزيع معكوساً . ولا يشار إلى كل ذلك (فى هذه الحال) من خلال تتابع المفردات (عناصر الموضوع تقع فى البداية) فحسب ، بل من خلال الأداة أيضاً : وذلك من خلال أداة التعريف يشار إلى الموضوع غالباً (بوصفه شيئاً معروفاً للمشاركين فى الحديث) فى حين تشير الأداة النكرة إلى جِدة الحديث . [٣] (فى اللغة المنطوقة يُضاف كذلك تنغيم الجملة ، فى تعاون ضئيل مع تتابع الكلمات).[٤]

ولا نريد هنا أن نقدم عرضاً مفصلاً لمبدأ التقسيم إلى موضوع – وحديث . ومع ذلك يجب أن نجيب عن سؤال ، يعد مهما للغاية من الناحية النظرية والعملية أيضاً : هل توجد معايير موضوعية لتحديد الموضوع (والحديث) ؟ إجابتى هى أنه يوجد مثل هذا المعيار ، وهو سؤال الإكمال : فمن الواضح أنه يوجد لكل قول سؤال إكمال يستفهم (بلفظة للاستفهام) عن حديث القول (الجملة) . فالحديث هو ما يشكل " إكمالاً " للسؤال المَعنِى . وهذا يمكن أن يُختبر بالأمثلة السابق ورودها

---

(٣) ينبغى أساسا أن يُفرق بين جانبين مختلفين للمنظور الوظيفى للجملة " يختص الأول بالفصل بين " موضوع – حديث " والثانى يختص ثانية بالفصل بين " المعروف – الجديد " . ولكن لما كان الجانبان يجتمعان فى أغلب الحالات يمكننا أن نتخلى فى أوجه ذكرنا الحالى عن الفرق بين الجانب الموضوعى والجانب السياقى .

(٤) انظر ف . دانش : " نظام العناصر وتنغيم الجملة " لتكريم / ياكوبسن . The Hague) . 1967)

تلقى الكتاب من زميل – ممن تلقى الكتاب ؟! فالإكمال بزميل يشكل الحديث ، ويمثل بقية القول الموضوع وفى المثال الثانى تلقى من الزميل كتاباً ، يكون السؤال ماذا تلقى من الزميل ؟ ويتأكد أن اللفظ " كتاباً " هو الحديث .

ويسرى الشئ نفسه أيضاً على الحالات التى يمكن عن الجملة هى ذاتها بأسئلة إكمال عدة . ويدخل فى هذه الحالات أسئلة مختلفة عن منظورات إخبار مختلفة للجملة ، ترتبط بسياقات ومواقف مختلفة . مثل : بعد أربعة أسابيع تحدث عادة الوفاة / الموت يحدث عادة بعد أربعة أسابيع (أية جملة فى بديلين لترتيب المفردات) ؛ والأسئلة المعنية والأحاديث هى : ماذا يحدث بعد أربعة أسابيع ؟ – الوفاة ؟ متى تحدث الوفاة ؟ – بعد أربعة أسابيع .

باختصار يقال : كل قول يمكن أن يُعيِّن كماً من أسئلة الإكمال ، يقدم كل الأنماط الممكنة للسياقات ، ومن ثم كل منظورات الإخبار المختلفة الداخلة فى الاعتبار للقول المعطى .

ملحوظة : من الواضح أن نهجنا لا يحدد الحديث والموضوع إلا بإجمال شديد ، ولكنه يكفى لأهدافنا . بيد أن له ميزة كبيرة ، إذ إنه بسيط ولغوى محض (يتعلق الأمر فى حقيقة الأمر بتحويل ، يحصل فيه اتفاق الأبنية النحوية والدلالية بدرجة كبيرة) . ويؤلف هذا النهج فى الوقت نفسه بين كلا الجانبين لمنظورى الإخبار : الجانب الموضوعى والجانب السياقى .

١-٢ يمكننا بالنظر إلى التقسيم إلى موضوع – وحديث أن نفرق بين عدة أنواع من أبنية الأقوال : (١) أقوال بسيطة ، و (٢) أقوال متكررة (مضعفة الخ) و (٣) أقوال ذات موضوع أو حديث مكرر ، و(٤) أقوال مكثفة ذات موضوع أو حديث مركب ، و (٥) أقوال ذات موضوع غير واضح . (يجب أن نكتفى هنا لضيق الوقت بهذا التقسيم التخطيطى فقط) .

٢-0 سؤالنا المحورى الآن هو : ما أهمية هذه المعارف لتحليل بناء النص ؟ من الواضح أنه انطلاقا من ناحية قيمة الإخبار لعناصر الجملة يؤدى الحديث دوراً مهماً ، إذ يأتى بمعلومة جديدة (نسبياً) . ولكن بالنظر إلى بناء نص ما يُبرز الموضوع وثاقة صلته . ويجعل منه العبء المعلوماتى الأدنى له

وسيلة بناء مهمة . ومن هذه الناحية يمكن أن ينظر إلى كل نص (وأجزائه) على أنه متوالية من موضوعات (يمكن أن تُحدد بواسطة نهج الاستفهام المذكور آنفاً) . إذن تكمن البنية الموضوعية الحقيقية للنص فى تسلسل الموضوعات وتعالقها ، وفى علاقاتها المتبادلة ، وفى تدرجها ، وعلاقاتها بأجزاء النص ، وبالكل النصى ، وبالموقف أيضاً . وأطلق على هذا التعلق الكلى للعلاقات الموضوعية فى النص " التوالى الموضوعى " (ت م) . ويمثل هذا التوالى سقالة بناء النص .

٢-١ ويمكن انطلاقا من موقف مؤلف نص ما أن تُعرض إشكاليتنا على النحو الآتى : إذا كان فرضنا أن لكل قول موضوعاً بوصفه نقطة انطلاق صحيحاً فإن كل مؤلف يتوقف أمام السؤال : أى موضوع يُختار للقول التالى أو بعبارة أخرى : وفق أى مبدأ تُختار الموضوعات المفردة لتتابع قولى ، ما العلاقات المتبادلة التى توجد بين موضوعات فقرة ، وما علاقاتها " بالموضوع الفوقى " لهذه الفقرة ... الخ .

ولقد قمت من هذه الناحية بتحليل كم من النصوص التقنية من المراجع التقنية وغيرها ، ولاحظت أنها تضم أنماطاً مختلفة للبنية الموضوعية . [٥] ويبين تحليل تجريبى مؤقت أن فى الألمانية أيضاً ترد أنماط مشابهة لـ ت م (ومع ذلك تتحقق أحيانا بمساعدة وسائل لغوية أخرى) . الأنماط الأربعة الآتية للمتواليات الموضوعية هى الأكثر شيوعاً :

(١) **التوالى الأفقى البسيط** (أو توال ذو تشكيل أفقى للموضوعات)

مثالان بسيطان (باللغة الألمانية) :

يسعى اقتصادنا إلى نهج عمل معقول . مناهج عمل معقولة يتطلبها اقتصادنا أيضاً. قسم خاص يعرض أجهزة محمولة . هذه الأجهزة تستخدم بوجه خاص لمراقبة مجالات الأشعاع .

أمثلة أخرى :

---

(٥) انظر ف . دانش " أنماط الدعائم الموضوعية فى النص " الكلمة والأدب ، XXXX (1968) 125 - 141

تتكون كل المواد من ذرات . هذه الجزيئات الدقيقة جداً من المادة لاتشرف بداهة اسمها تشريفاً كبيراً ، لأن الذرة تعنى حقاً أنها لا تتجزأ .

يمكن من خلال الإشعاع المجزأ لمقدار جرام من مادة الحصول على طاقة إشعاعية تقدر بـ ٩٠ بليون جُول (وحدة طاقة) . هذا الكم من الطاقة ضخم : يتعلق الأمر بـ ٢٥ مليون كيلو وات فى الساعة .

يدور الأمر حول نمط أساسى للغاية : فالحديث فى القول (الجملة) الأولى يصير موضوع القول الثانى (الجملة الثانية) ... الخ وتبدو صورته التخطيطية على النحو الآتى :

م١ ← ح١
↓
م٢ (= ح١) ← ح٢
↓
م٣ (= ح٢) ← ح٣
.
.
.

(٢) **نمط ذو موضوع متواصل**

مثال :

كان جوته مقتنعاً بتقدم التطور الإنسانى . دافع عن تهذيب الجنس الإنسانى للتطور السلمى . إنسانية جوته تنطلق من إيمانه بالخير فى البشر ... جوته أطلق على نفسه " طفل السلام " (عنوان المقال : ميراث جوته فى عصرنا).

يلاحظ أن تسلسل الأقوال (الجمل) فى هذا النمط تتضمن الموضوع هو نفسه ، الذى تُلحق به الأقوال المفردة حديثاً جديداً .

رسم تخطيطى له :

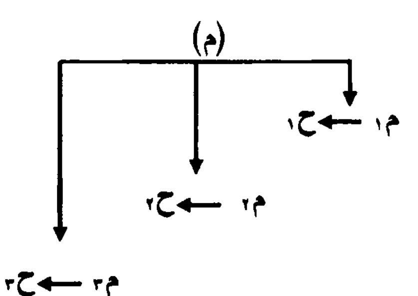
(م١ ← ح١)
↓
م٢ (= ح١) ← ح٢
↓
م٢ (= ح١) ← ح٣
↓
م٢ (= ح١) ← ح٤

(٣) **توالٍ ذو موضوعات مستنبطة** ، أى ذو موضوعات تستنبط من " موضوع فوقى" (لفقرة مثلا) ، مثال :

" تقع جمهورية رومانيا الاشتراكية عند تقاطع دائرة عرض ٤٥ ، دائرة طول ٢٥ . وتبلغ مساحة الأرض ٢٣٥٥٠٠ كيلو متر مربع ، وعدد سكانها ١٩ مليون نسمة . ولحدود البلاد طول إجمالى هو .... كيلو متر . وفى الغرب لرومانيا حدود مشتركة مع .... ، وفى الشمال مع .... وفى الجنوب يشكل نهر الدانوب حدودها مع .... أما حدودها الشرقية فهى البحر الأسود إلى حد ما ".

يشكل " الموضوع الرئيسى " لهذه الفقرة المعلومات الجغرافية عن رومانيا ، وتستنبط الموضوعات الجزئية للأقوال (الجمل) المفردة مباشرة منه . وتنظم اختيار الموضوعات المستنبطة وتتابعها فى الغالب عادات غير لغوية مختلفة لتقديم المضمون .

رسم تخطيطى له :

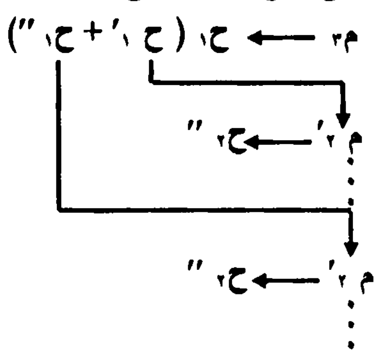


(٤) **تطور حديث منقسم** : يكمن جوهر هذا النمط فى موضوع مزدوج (صريح أو ضمنى) ، يشكل مكوناه (أو عدة مكونات له) المنطلقين لتواليين جزئيين مستقلين (أو أكثر) . فى البداية يُطَور التوالى الجزئى الأول ، وبعد ذلك يطور الثانى (فالثالث ...) . ويشار إلى توال جزئى آخر بواسطة وسائل لغوية مختلفة .

" إن القدرة على المقاومة فى هواء رطب وجاف مع أنواع مختلفة من فيروسات ممرضة شديدة التباين . ففيروسات شلل الأطفال تموت فى هواء جاف فى الحال ، فى حين أنها مستقرة مع رطوبة الهواء بنسبة ٥٠% (...) . ومع فيروسات الزكام الأمر على النقيض من ذلك ، حين تظل رطوبة الهواء تحت

٤٠% ، لذا تبقى فى حالة جيدة ، ولكنها تهلك بسرعة حين يزداد ارتفاع رطوبة الهواء (...) " .

يدور الأمر حول ت م ذى درجة أعلى أو بشكل أفضل حول تـوالى الإطـار . ويمكن أن تتبع المتواليات الجزئية أنماطاً مختلفة أو تكون مختلطة نمطياً . ويمكن أن يعرض فى شكل تخطيطى على النحو الآتى :



(٥) ت م ذو قفزة موضوعية . يتعلق الأمر بإسقاط عنصر من السلسلة الموضوعية فى توالٍ ما (وهو همزة وصل ، يمكن أن تستكمل بسهولة من السياق . وترد هذه الفقرة غالباً بوصفها تعديلاً للتوالى الأفقى البسيط .

رسم تخطيطى له :

م ← ح١

↓

م٢ ← ح٢

↓ .....←

↓

م٤ ← م٤

٢- ٢ فى تصورنا تفهم أنماط الــ ت م بوصــفها نمــاذج أو تركيــب مجــردة، ولا تحقق فى الغالب فى نصوص محددة فى شكل صافٍ ، وتأتلف علــى نحو مختلف (مثل الأنماط (١) + (٢) ، و (١) + (٣)) . وفضلاً عن ذلك تتشابك (تتعقد) أوجه التوالى فى نص ما من خلال إضــافات ومكمــلات وجمل اعتراضية مختلفة .

ومن الواضح أن استخدام النماذج المجردة تابع لخواص اللغــة المعطــاة وأن لغات مختلفة لديها وسائل مختلفة لتحقيق أوجه التوالى الموضوعى .

٢-٣ مما لا شك فيه أن بحث مبادئ البنــاء الموضــوعى والوســائل اللغويــة المختصة به عدة تطبيقات عملية ، ولا سيما فى الأسلوبية وفيما يــسمى " علم اللغة الآلى " (الترجمة الآلية ، والنهج المعلوماتى وما شاكل ذلك) .

بوهوميل باليك

الإحالة النصية (الإحالة المتقاطعة) (*)

إسهام فى النحو الفوقى

0.0 فى هذه المقالة نريد أن نعالج الظاهرة اللغوية التى يطلق عليها فى المراجع التشيكية odkazování ، وفى المراجع الأجنبية Anaphora الإحالة (فى اليونانية ἀναφορά) . ويشير المصطلح Textverweis (= الإحالة النصية) ذاته إلى موضوع اهتمامنا : أى تعبير لغوى يتعلق بتعبير لغوى آخر فى النص، مثل : أفلت الخطاب من يد باول . التقطه الولد . فاللفظ (ـه) يحيل فى النص إلى اللفظ (الخطاب) فى الجملة الأولى .

وسوف نعنى هنا بتحليل محاولات الحل المختلفة ، الذى يمكن أن يجده المرء فى سياق درس الإحالة (فى الإنجليزية الإحالة المتقاطعة) . بيد أننا حين نذكر هنا هذه المصطلحات فإننا نفعل ذلك لنحد موضوع أفكارنا بشكل تقريبى . ويختلف فهمنا للإحالة عن التصورات السائرة إلى حد ما . وفى الحقيقة نحن نعد الإحالة النصية ظاهرة لغوية منفردة ومجالاً بحثياً . وقد عولجت إلى الآن كالمعتاد فى البحث اللغوى بوصفها إشكالية للضمائر والأدوات ؛ فكثيراً ما يجد المرء على سبيل المثال مؤلفين ، يتحدثون عن الوظيفة الإحالية للضمائر . ونشأ عن ذلك تعددٌ فى المعنى أو غموض فى استعمال فى مفهوم الإحالة ، وحقيقةُ أن جزءاً كبيراً من العلاقات المعقدة التى نعالجها هنا لم يُستعمل على الإطلاق فى كتب النحو . (1)

(*) عنوان هذه المقالة هو : Bohumil Palek, Textverweis (Cross – Reference) Ein Beitrag zur Textlinguistik pp.167-184 Hypersyntax من الكتاب الذى حرره درسلر W.Dressler ، دارمشتاد ١٩٧٨م . يختلف بسبب مسألة التوحيد ترقيم الأمثلة فى الترجمة عن الأصل . هامش المحرر .

(١) فى كتب نحو التشيكية وغالبية اللغات السلافية روعيت فى النادر نسبياً وظيفة الإحالة النصية للضمائر (ثمة استثناء هو عمل ز.كليمنسيفتش [جول العلاقة النحوية "nawiazania] slavia ١٩ ، ١٩٤٩ ، ص ١٣ – ٢٧) ، خلافا لأنحاء اللغات الجرمانية والرومانية ... الخ، التى تلقى الوظيفة الإحالية للنص وبخاصة بالنظر إلى الأداة ، فيها عناية .

0-1 نريد أن نقدم هنا الشروط الجوهرية التى تأسس عليها فهمنا للإحالة النصية.

١-١ الطبيعة المجاوزة للنحو فى الإحالة النصية

ننطلق من مفهوم سياق الجملة . فالجمل المفردة فى نص معطىً لا تنتظم فى المعتاد بشكل متوالٍ ببساطة فقط ، بل يتعلق بعضها ببعض فى شكلها على نحو محدد أيضاً ، بحيث يستطيع المتكلم الكفء للغة ما تعرفَ تواليها بوصفها نصاً مترابطاً . ويمكن أن يتحقق بسهولة من هذا الزعم من خلال تنظيم بسيط للجمل التى نحن بصددها :

(١) جاء رجل إلى المدخل . كان كله أغبر من الطريق . تفحص الحجرة ، ودخل فى ....

(٢) كان كله أغبر من الطريق . تجاوز رجل الحجرة . تفحص الحجرة ، ودخل فى ...

وتعد التبعية الداخلية اللغوية للجمل الواردة هى هى كما يبدو فى تركيبها . (يُقَدَّم فى ذلك المثال (١) من خلال وجود كلمة خاصة تُستَعمل فى اللغة بشكل مطرد للغرض ذاته) ويطلق على تبعية جمل نص ما بعضها لبعض ، يعبر عنها بوسائل النظام اللغوى ، وتجعل فى إمكان مستخدم اللغة أن يعرف من الشكل اللغوى وحده أن الأمر يتعلق بنص مترابط ، <u>الربط النحوى للجملة</u> Satzkohäsion . وقد يكون من الضرورى أن تبحث الوسائل التى يتحقق من خلالها هذا الربط النحوى بوصفها جزءاً من النحو . ويُمكن إذن أن توصف بالمصطلح الجامع <u>النحو العلوى</u> (الفوقى) Hypersyntax ، وهى تتبع وفق فهمنا اللغة . وفى ذلك لا ننظر إلى ظواهر اللغة مختزلة فى نظام الجملة ، بل إلى كم من ظواهر النظام اللغوى ، حيث يعد الكلام التحقيق الفعلى لها . [٢]

---

(٢) عولجت مشكلة المعيار فى مؤلف مبكر لـ ج . هـ فون رايت : المعيار والفعل ، لندن ١٩٦٣م حيث فرّق بين ثلاثة أنواع من المعايير : القواعد (وتتبعها المعايير اللغوية أيضاً) والأحكام والإخباريات (انظر ص ١٥) . ونتجنب متعمدين المصطلحين الكفاءة اللغوى والأداء اللغوى فى هذا العمل ، إذ يُعلّق تفسيرها بمستخدم اللغة دائماً .

يجب أن يُنظر إلى الإحالة النصية داخل إحدى أهم وسائلها التـــى تتـــيح أن يُعبِّر عن الربط النحوى . ويعد الرأى بأنه ظاهرة نحوية عليا هو الشرط الأول من شرطين أساسيين يرتكز عليهما عملنا . وفى ذلك يصـــح أن يُحـــدد ابتـــداءً مـــا العلاقات غير اللغوية التى تجد على المستوى اللغوى انعكاســاً بوصـــفها إحالـــة نصية .

٢ـ١ الإحالة أساساً لإحالة نصية (إحالة متقاطعة)

كما يتعلم متكلم ما أن يصدر أحكاماً (أقوالاً) حول موضوعات الواقع غير اللغوى ، فإنه يخضع لأفقية الكلام . وينتج عن ذلك أنه يجـــب أن يـــذكر بشـــكل متكرر الموضوع المعطى ذاته أو أجزاءً منه بوجه عام . ولذلك من الضـــرورى للفهم التعبير بوضوح عن : ما طول الحديث عن الموضوع ذاته ، ومتى ينتقـــل إلى موضوع آخر ، أن يُوضح إذن متى يُحال إلى الموضوع ذاته ، ومتى يحـــال إلى موضوع آخر . ونستخدم لوقوع الإحالة على الموضوع ذاته <u>تعيـــين هويـــة الأشياء</u>، ونقترح أن نطلق على وسائل تعبيرها اللغوى الإحالة النصية . (ليس من الممكن بشكل أوضح تماماً أن يتحدث عن إحالة نصية هناك ، حيث لا تُقدم إحالة متكررة ، وفى تلك الحالات لا يمكن عادة أيضاً أن يتحدث عـــن الـــربط النحـــوى للجملة) . ولذلك تكون الإحالة إلى ما هو غير لغوى الأساس (انظر ٢-٣) لوظيفة الإحالة فى النص [٣] ، وهذا فى الوقت نفسه الشرط الأساســـى الثـــانى لفرضـــية بحثنا .

٢ـ٥ يجب علينا ابتداء أن نختبر قائمة المفاهيم التى تُحـــدد قبـــل أن نســـتطيع أن نصف عمل الإحالة النصية . وكما ذُكر من قبل يجب أن تقدم اللغة فـــى كـــل نقطة من الخطاب (discourse) معلومة بشكل كاف ، وهى هل يقصد مـــتكلم اللغة الموضوع (الشئ) ذاته أم موضوعاً (شيئاً) جديداً .

---

(٣) يُستخدم مصطلح " Verweis " مثل " reference " (= إحالة) لـــدى ف . فـــان كـــوين : Word and Object , MIT 1960 (الكلمة والشئ) .

١-٢ إن المنهج الأساسى عند تصنيف الموضوعات بواسطة اللغة هو منهج التسمية " التعيين " . ونفهم تحت ذلك تعبيراً لغوياً ، يتيح فى لغة طبيعة أقوالاً حول موضوعات ذات طبيعة مختلفة ، بل خصائص وأفعالاً أيضاً ... الخ . ويمكن أن تتكون وحدة التسمية " التعيين " من كلمة أو عدة كلمات ، ويمكن أن تكون جزءاً من جملة ، بل الجملة كلها أيضاً . وتشكل مشكلة وحدات التسمية من جهة الإحالة النصية أو بالأحرى النحو العلوى مجالاً خاصاً للموضوع ، لم يُعالج بعد إلى الآن معالجة فى العادة (٤) . ونريد هنا بداهة أن ننحيه جانباً أيضاً ، وأن نعالجه فى مكان آخر معالجة مفصلة . (٥)

وربما يُوفَّى بشكل آلى شرط تعبير واضح لتعيين هوية الموضوعات (الأشياء)، لو سُمِّى كل موضوع بمصطلح (أو اسم علم) مفرد ، غير أن ذلك لا يمكن تحقيقه ، وغالباً ، أجل فى معظم الأحيان ، تُقدَّم وحدة التسمية من خلال مفهوم عام ، يمكن بداهة أن يَسِم فئة كاملة من موضوعات متشابهة .(٦) ولذلك توجد نظرياً أربعة أنماط من العلاقات بين الموضوعات وتسميتها فى النص :

(٢) ١- موضوع مفرد – اسم مفرد
٢- موضوعات مختلفة – أسماء مختلفة
٣- موضوع مفرد – أسماء مختلفة
٤- موضوعات مختلفة – اسم مفرد

فى الحالتين الأوليين يمكن أن يُوفَّى شرط واسم واضح بالتسميات وحدها. أما فى الحالتين ٣ و ٤ فلا . فاللغة يجب أن تستخدم وسائل إضافية ، حتى يكفل

---

(٤) يوجد فرق ظاهر بين نظرية التسمية " التعيين " ، على نحو ما عمقها ف . ماتسيوس وبين نظريتنا ، ففى نظريته يفهم ماتسيوس التسمية فى علاقتها برصيد الأسماء فى اللغة المعطاة ، وليس إلى تحققها المحتمل فى النص (انظر ف.ماتسيوس : [تحليل وظيفى للإنجليزية المعاصرة على أساس لغوى عام] ، براغ ١٩٦١ ، [انظر النشرة الإنجليزية ، براغ : أكاديمية ١٩٧٥] .

(٥) انظر ب. باليك : الإحالة المتقاطعة . دراسة من النحو التقليدى من النحو العلوى ، AUC , Monagraphia XX1 , 1968 .

(٦) نفرق هنا تبعاً لكوين (المذكور آنفا فى هامش ٣) بين أسماء عامة وأسماء خاصة ، أى ما يسميه كوين " إحالة منقسمة " .

الفهم الصحيح للنص فيما يتعلق بذلك . ومن الواضح من المخطط (٢) أنه يجب أن تؤدى هذه وظيفتين مختلفتين . وفى حالة علاقات من نمط ١ و٣ يجب أن تدل هذه الوسائل على أن الأمر يتعلق بورود (أوورود متكرر) لألفاظ تسم (فى الغالب فى شكل تسميات مختلفة أيضاً) الموضوع ذاته . وهكذا يجب أن تنجز تعييناً لهوية الأشياء . ونريد أن نستخدم لهذه الوسائل الخاصة بتعيين هوية الأشياء مصطلح مؤشرات Indikatoren .وفى حالة علاقات من نمط ٢ أو ٤ يُتَطلب عكس ذلك ، أى أن يثبت أن الموضوعات (التى تعرض تحت هذه التسميات غالباً) مختلفة . ونطلق على هذه الوسائل وسائل تمييز الأشياء أو مُبَدِّلات Alteratoren . وترتبط هاتان الوظيفتان التعيين والتمييز للأشياء (للموضوعات) بعضهما ببعض ارتباطاً وثيقاً . وربما يمكن أن ينظر إليهما على أنهما حالات حادة لجانبٍ واحد هو نفسه لظواهر لغوية . ومن الضرورى من جهة وصف الإحالة معرفة الطرفين ، وعلى نحو ما سوف نلاحظ أيضاً أنه يفرق تفريقاً حاداً من الناحية المفهومية (٧) . فى البداية مثال نصى :

(٣) فى يوم من الأيام أتى جنديان عائدان من الحرب [١] إلى القرية ، وسألا عن عمل. كان أحدهما شاباً وقويا ، [٢] فى حين كان الآخر [٣] أكبر سناً إلى حد ما ، وكذلك صار أبتر من الحرب . ومن ثم لم يستطع لمدة طويلة [٤] أن يحصل على وظيفة فى أى مكان . ولحسن الحظ استُخدِم الأول [٥] فى أكبر مزرعة فى اليوم الأول . لم يكن عمل جون الشاب [٦] من أسهل الأعمال ، ولذلك كان سعيداً للغاية [٧] حين قام زميله الأكثر خبرة [٨] بمساعدته [٩] .

٢ـ٢ ليست علاقات التعيين والتمييز للأشياء هى العلاقات الوحيدة التى توجد فى هذا المجال . ومن الضرورى أحياناً أيضاً التعبير عن علاقتين أخريين ، نُحيتا جانباً فيما يأتى بغية إيجاز عرضنا ، إذ إنهما متضمنتان على نحو ما فى علاقة التمييز ، واستعمالهما ليس كلياً (شاملاً) بأية حال من الأحوال . وهما

---

(٧) لا تتضمن المعالجة الموجودة هنا للإحالة النصية المخطط الأساسى ، الذى يشكل الأساس لهذا الفهم ، وبالنسبة لوصف مفصل انظر ما سبق فى هامش ٥ .

مهمتان لوصف الإحالات النصية باعتبار أنه من خلالهما يُعمل حساب لحقيقة هل تقع التسمية فى المفرد أم فى الجمع .

العلاقة الأولى هى علاقة التبعية لكم (فئة) ما (أى العلاقة بين موضوع وفئة موضوعات) . وهى تبعث على معرفة متى يتبع موضوع ما فئةً محددة من الموضوعات ، دون إمكانية التعبير عن أن موضوعاً ما ليس تابعاً لهذه الفئة (مثال ذلك : بعض جنود – جندى [أو واحد منهم] فى مقابل جنود – جندى) .

وبخلاف هذه العلاقة بين الفئات (الأقسام) توجد أيضاً علاقة نريد أن نطلق عليها علاقة التضمين Inklusion ، وهى تصف حقيقة أن كماً من الموضوعات هو كمٌ أدنى لكمٍ آخر من الأشياء ، حيث تُوصف كلها من خلال التسمية ذاتها (مثل بعض جنود – جنود آخرون – كل الجنود) . ولا تصدق هذه العلاقة أيضاً على الحالة التى لا يُقصد فيها هذا التضمين .
وترد كلتا العلاقتين فى النص على النحو ذاته الذى يرد لتمييز الأشياء ، ولذلك نضمنهما فى المفهوم ذاته ، ونفترض أن كل ما يصدق على التمييز فى وصفنا ، يصدق أيضاً على علاقتى التبعية والتضمين .

٢-٣ نريد أن نوضح فى البداية العلاقة بين مفهومى التعيين أو التمييز للأشياء من جهة ، ومفهوم الإحالة النصية من جهة أخرى (وفى ذلك نحاول التغلب على بعض صعوبات اصطلاحية تظهر فى المراجع اللغوية . فعند وصف الظاهرة اللغوية موضع التساؤل يجب أن نضع فى الاعتبار مستويين :

من جهة المستوى الشكلى النحوى ، الذى تقدم من العلاقات الإحالية . (٨)
ومن جهة أخرى المستوى الإحالى ذاته الذى يشتمل على العلاقات بين الأشياء أو بين الأشياء ووحدات التسمية .

---

(٨) يستخدم مصطلح نحوى هنا بمفهوم وصف قاعدة نحوية ، كما قدمها أ.پاپ A.Pap : " القواعد التى توجه استعمال الرموز بصرف النظر عن معناها الدلالى " . انظر أ.پاپ : الحقائق الدلالية والضرورية ، بيوهافن ١٩٥٨ .

ويتبع كلا المفهومين التمييز وكذلك التعيين للأشـــياء - المســـتوى الإحــالى ووصف علاقات بين الأشياء . وتُكمّل كل وسيلة منهما الأخرى فى الخطاب ، أى بقدر ما يردان فى الخطاب ، يحدد رد فعلهما بالوسائل التى يتوفر للإحالـــة إلـــى الأشياء . أما المفاهيم التى نستخدمها لها هنا هى فى العادة ليست مستخدمة فـــى المراجع اللغوية .

وعلى العكس من ذلك يتبع مفهوم الإحالة النصية المستوى الشكلى ، ويتعلق فى رأيى بتعيين الأشياء بشكل محض . (من المحتمل أيضاً أن يتبع مفهوم الإحالة هذا المستوى ، لو لم يحل دون عدم تحديد استعماله فى المراجـــع اللغويـــة دون إلحاق واضح) . وعند تعيين مفاهيم جديدة للمســـتوى الشـــكلى نجـــد صـــعوبات اصطلاحية محددة . وحسب معرفتنا ثمة مفهوم ملزم ، يطابق علـــى المســـتوى الشكلى تصور التمييز للموضوعات ، لم يُدرج بعد . وفى هذا العمل نستخدم لذلك التبديل Alteration (نستخدم لأسباب عملية مفهوماً شكلياً للعلاقات بين التبعيـــة والتضمين أيضاً) .

ويعد مفهوم الإحالة فى رأينا جزءاً (ربما الأهم ، غير أنه ليس إلا جزءاً) من مركب للعلاقات التى تقدم فى اللغـــة علاقـــات خاصـــة بنظريـــة الكميـــات بـــين الموضوعات (الأشياء) .

وتبرز أهمية الإحالة النصية بوصفها جزءاً من هذه العلاقات فى مقابل التبديل أيضاً من خلال نوع تحويله النحوى .

٣ـ0 الجهاز اللغوى للإحالة النصية (جهاز - إح ن [جهاز إح ـم])

سنصف فيما يأتى وظيفة الإحالة النصية فى النصوص . وقد بينا أن تعيـــين الأشياء وتمييزها هى أجزاء متكاملة من ظاهرة لغوية مفردة .

وطالما بدأنا أن نعنى بالإحالة النصية يجب أن نتناول معها التبـــديل أيضـــاً . وحتى يمكن أن نعالج هاتين الوظيفيتين لألفاظ لغوية معاً ، نـــدخل هنـــا وصـــف الجهاز الخاص بالإحالة النصية (جهاز - إح ن) . فهو يفترق عن المفهوم العـــام "علاقة خاصة بالنظرية الكمية " من خلال افتراض أنه داخل إطار ترتبط المفاهيم والعلاقات بناء على النوع المقدم للوصف . ويمكننا أن نقـــول أيضـــاً إن جهـــاز (وسيلة) إح ن هو وصف محدد للإحالة النصية والتبديل ، يرتبط بالتصور الممثل

هنا للغة والنحو . وينبغى فى الوقت نفسه أن نُنظر إلى المفهوم على أنه " وحدة تسمية بسيطة " (značkové projmenování) ، ولا ينبغى أن يشير الرمز (إح ن) إلى موقع منفرد للإحالة النصية فى جهاز – إ ح ن .

ومع ذلك يمكننا أيضاً بدلاً من إدخال مفهوم جديد أن نوسع محيط مفهوم الإحالة النصية أيضاً . ولكن فى هذا العمل سُيبقى على المعنى الأصلى لأنه يطابق بشكل أكثر دقة المفهوم الغامض للإحالة المستخدم إلى الآن فى المراجع اللغوية .

٣ـ١ تعيين الموضوعات فى النص

مع مُضى الخطاب يُذكر فى اتفاق مع مسار تطوره كل موضوع وارد مع الاسم . ويستتبع الورود المتكرر لإحالة ما إلى الشئ ذاته (شرط مسبق للإحالة النصية) مجرد تكرير لوحدة التسمية الأصلية أو مترادفاً لذلك أو تسمية جديدة للموضوع ذاته ، يسوغها تطور الأفكار . وفى كل هذه الحالات من الضرورى فى الوقت نفسه أن يكفل التعبير بوضوح عن العلاقة بين التسمية الجديدةً والتسمية المتقدمة .

وعند اختيار وحدة التسمية (التعيين) الجديدة يكون لشكل المتقدمة دائماً أهمية . ويمكن كذلك عند إنجاز تعيين موضوع محدد من جهة الإحالة النصية أن تعرف من مواقف متباينة كيفاً :

١ – يتعلق اختيار الاسم للموضوع بقصد المتكلم فقط ، ثم يُختار من مفردات اللغة. هذا الموقف يظهر دائما عند الورود الأول لوحدة التعيين .

٢ –لا يتعلق اختيار الاسم بإرادة المتكلم ومقصده ، بل قواعد لغوية محددة أيضاً . وتعد إمكانية الاختيار تبعاً لنوع أوجه الذكر المسبقة مقيدة . وتقع هذه الحال دائما عند ورود متكرر لموضوع ما فى الخطاب .

٣ـ٢ متوالية الإحالة النصية (متولية – إح ن [متولية إح – م])

٣ – ٢ – ١حين نتوجه الآن إلى مستوى العلاقات الشكلية فإننا نستطيع أن نتصور كل ورود لأسماء موضوع مفرد على أنه متوالية محددة ، يُطلق عليها متوالية – إح ن . ويطابق العنصر الأول فى هذا التتابع (المقيد)

الموقف ١) هو إذن وحدة التعيين التى تصف الموضوع فى حد ذاتـــه . أما العناصر الأخرى فى التتابع فهى مطابقة للموقف ٢) أمثلة استعمال وسائل تعبير إضافية عبر وحدات التعيين المجردة هى مؤشرات .

هذا هو شكل متوالية – إح ن ، حين تُستخدم فى النص بشكل مفرد علاقة التعيين، أو بتعبير آخر ، حين لا تستخدم وحدة التسمية ذاتها فى النص لموضوع آخر أيضاً (حين لا يتعلق الأمر إذن بالحالة ٤ من المخطط (٢)) . ولكن إذا كانت هذه هى الحال فإنه لا يكتفى بوحدة تسمية فى بداية التتابع ، وبناءً علـــى ذلـــك يصير من الضرورى أن يُستعمل مُبَدِّل وسيلة للتمييز . ولذلك حين نريد أن نصف الفرق بين العنصر الأول فى متوالية – إح ن والعناصر اللاحقة فإن من المستحب القول بأنه يصح للعنصر الأول أن يُستخدم مؤشراً . ومن ثم يتأكد أنه مـــن غيـــر الممكن التعبير عن مطابقة الأشياء دون تمييز فى الوقت نفسه بأن الإحالة النصية غير منفصلة إذن عن التبديل . ولذلك فإنا نرى أنه ليس لمتوالية – إح ن ببساطة علاقة بالإحالة النصية فقط بمعنى ضيق ، بل هى جزء من جهاز – إح ن المدرك أيضاً .

٣-٢-٢ قبل أن نحاول أن نقدم عرضاً جلياً لمتوالية إح ن ، يجب أن ننبه إلـــى التحفظ الآتى . نحن لا نصر على أن وصفنا هو النموذج لجزء محـــدد من كفاءة مستخدم اللغة ، بل نزعم أن تعيين الموضـــوعات ووصـــف العلاقات بينها يجريهما المتكلم بشكل متزامن . ولوصـــف هـــذا الفعـــل ووضع كل مكوناته والعلاقات المتبادلة بينها قد يكون مـــن الضـــرورى لذلك فى كل تحليل لغوى أن يُجزأ المجال الموحد للموضوع إلى مجالات جزئية عدة . وينبغى بداهة أن تُختَتم محاولتنا للتحليل فى توافـــق مـــع نتائج هذه التجزئة بنتاجات العمليات الكلامية .

٣-٢-٣ نفترض البنية الأساسية الآتية للمتوالية – إح ن :

(٤)[ل + ... + ت]$_{١}$ ، [ر + ... (ت)]$_{٢}$ ، [ر + (ت)]$_{ن}$ (*)

(*) المتوالية فى الألمانية هى : $[A + ... + N]_1, [I + ... + (N)]_2 .... [I + ... + (N)]_n$
حيث A = ل (مبدل) ، و I = ر (مؤشر) ، و N = ت (وحدة تعيين) .

(٤) هى متوالية ذات الموقع ن ، حيث تعنى الرموز A مُبدِّلاً ، و I مؤشــراً ؛ و N وحدة التعيين [٩] . وترمز الألفاظ بين قوسـين مسـتديرين إلـى ورود محتمل . ويقدم الرسم التخطيطى (٥) مثالاً لـ (٤) :

(٥)

تتابع الرموز فى المتوالية – إح ن	١	٢	٣
تعيين الرموز	مقيد	عنصر ٢	عنصر ٣
مثال تعبير لغوى للعلاقة – إح ن	محدد	هذا	هو
مثال لمتوالية – إح ن	جندى	الجندى	هو

ويمكن أن ترد بين المبدل أو المؤشر ووحدة التعيين مبدلات ومؤشـرات أخرى . وتتعلق طريقة استخدامها باللغة الطبيعية . ومع ذلك مـن المهـم ورود المبدلات أو المؤشرات فى بداية كل عنصر فى المتوالية إح ن (انظـر الجنـدى الأول ، جندياً آخر) . وحين تحل محل العلاقة الإحالية للتمييز علاقة أخرى ، مثلاً التبعية لفئة ما أو التضمين أو علاقة أخرى خاصة بنظرية الكميات ، فإنه يجب أن تُقدَّم هذه العلاقة من خلال مقيد المتوالية – إح ن .

٣-٢-٤ فى النص لا تنظم المتوالية – إح ن التعيينـات المفـردة لموضـوعات متباينة فقط ، بل متواليات – إح ن أيضاً ، مرتبطة بوحدة التعيين ذاتها، ويُتاح هذا الترتيب من خلال تنظيم المقيدات بواسطة مبدلات ذات أنماط مختلفة . ونطلق على المتوالية التى نصل إليها إلى هذا الحد ، متوالية– التبديل Alternations – Sequenz (متوالية –ت) ؛ ويعنى وصفها من منظور المتوالية – إح ن ضرورةً توسيعاً لوصف المقيدات لمتواليـة– إح ن . وهو أكثر تعقيداً من وصف المتوالية– إح ن ، إذ إن العلاقـات بين المقيدات لا تحدد من خلال علاقة التمييز فحسب ، بل مـن خـلال علاقات أخرى خاصة بنظرية الكميات أيضاً . وتنتج صـعوبات أخـرى للتعيين أيضاً (تعيين خواص موضوع ما بأنها وسيلة تسـتخدم لتمييـز الأشياء ....الخ) . ويطابق تتابع الرموز ، تتـابع لمتواليـة – إح ن،

---

(٩) الوصف الشكلى لجهاز إح ن مقتصر على حالة خاصة : وحدات تعيين متطابقة .

وتتابع المتوالية – ت على حد سواء ، تتابع ورود الأسماء فى النص ، وذلك فى اليسار إلى اليمين (فى العربية من اليمين إلى اليسار) .

٣-٢-٥ لذلك إذا وضع فى الاعتبار كلتا المتواليتين ، اللتين قد حددناهما ، فإننا نستطيع أن نورد المخطط الآتى لبنية كلية لنص من جهة جهاز إح ن متعلقا باسم معين :

(٦)

فى (٦) يشير الرمز Mi (= م ح) إلى مقيد متوالية إح ن لـــ ح ، ويشـــير mij (جـ ح ط) إلى جزء من المتوالية إح ن لـ ح ، وتجوز العلاقـة م ح م ح < ١+ بين المقيدات و م ط ح < م ط ح + ١ بين عناصر متوالية – إح ن محددة ، حيـث يشير الرمز < إلى العلاقة " ينطلق من ... فى الـنص " ، ويشـير الرمـز R = (ع^ن=) إلى علاقة التعيين ، والرمز R # (ع ^م #) إلى علاقة التمييز ، وكذلك $R_ع$ (=ع ع) و R_c (= ع ن) إلى علاقة العنصر أو التضمين الخ (فى وصفنا وضـعنا فى الأعتبار هذه (العلاقات) بدقة من ناحية كل العلاقات الخاصة بنظرية الكميـات الممكنة بوجه عام) .

(٧) بنية جهاز إح ن للمثال (٣) عن الجنديين العائدين من الحرب :

متواليات إح ن ١ : [٢] ، [٥] ، [٦] ، [٩]

٢ : [٣] ، [٤] ، [٨] ،

متوالية – ل : [٢] ، [٣]

الجمل بوصفها وحدات مستقلة فحسب ، بل هى فى حد ذاتها تشـكل فـى الاتصال المتبادل بالوحدات معاً وحدة أعلى ، فى حالتنا هـى الـنص [(١١)] .

(١٠) انظر المبحث ٣ ، فيما سبق فى هامش ٥ .

(١١) يناقض هذا الفهم بشدة مفهوم كاتس – فورد للدلالة ، انظر ج .ج . كاتس ، وج . أ . فورد " بنية نظرية دلالية " قراءات فى الإنجليزية ، نيوجرسى ١٩٦٤ ، وبخاصة ص ٤٩٠ ٤٩١

٣-٢-٦ إذن وصف العلاقات كما وجدت بين المؤشرات والمبدلات فى الاستعمال الفعلى هى قضية وصف اللغات الفردية – ويختص هـذا علـى سـبيل المثال بالتفاعل بين كلتا الوظيفتين ، التعيين والتمييز ، فى ألفاظ لغوية. أما الحالة الحادة فى هذه العلاقة التى تعد عالية الشيوع فيمكن أن يكون ضمير الملكية ، حيث تتوافق كلتا الوظيفتين (انظر كتـابى ، كتابـه) . ويمكننا على سبيل المثال أن نورد لكل لغـة قواعـد محـددة لتنظـيم المؤشرات والمبدلات فى النص : أعـداد الترتيـب : <u>الأول</u> ، <u>الثـانى</u> ،

ويبدو هذا التحديد للوهلة الأولى مقنعاً ، بل نادراً ما تُخص النتائج فـى أى وقت بانتباه ضرورى .

ولتقويم كفاية نظرية نحوية ما (من جانب النحو الفوقى) ليس من المهم أن يصف النحو الظواهر المذكورة فعلاً ، وأن تطوره إذن قد قطع شوطاً بعيداً للغاية بدرجة كافية ، بل الأكثر جوهرية التمسك المنهجى عند تصور مفهوم الجملـة . ويعد وصف عناصر الوظيفة فى جملة ما (مثلاً الضـمائر) متباينـة ضـرورةً ، حسبما ننظر إلى الجمل أيُنظر إليها مستقلةً أم جزءاً من نص . ومن جانب آخـر ليست أوجه الإضمار التحويلية مثلاً ، كما توجد فى بعض النصوص ، تحقيقـات للعلاقات إح ن ، بل هى شواهد فقط على حقيقة أن الضمائر يمكن أن تقع موقـع اسم . (١٢)

٤-٢ يجيز لنا تناول النصوص من جانب النحو الفوقى أن نلاحـظ أن للعلاقـات المعروضة شكليا التى تعالج فى الوصف اللغوى ، نمطين أساساً :

أ) من جهة هى تلك العلاقات ، المعروفة عادةً نحوياً ، ونهتم بأوجه الاشـتقاق ، التى يحتمها أو لا يحتمها الورود المتزامن لمقولات نحوية أخرى (من منظور اللغات الشكلية التى تطابق قاعدة التكوين) ؛

ب) من جهة أخرى علاقات يجب أن تُوضع فى الاعتبار للتعبير عنهـا الحقـائق والمواقف خارج البنية اللغوية . ولا يوجد لها اسم مقبول بوجه عام ، ولكـن يمكن أن يُتحدث عن علاقات دلالية بأوسع معنى للكلمة . ويقـع تحـت هـذا المركب تعيين الموضوعات وتمييزها . وبناءً على هذه النظرة فإن الأخيـرة متضمنة على نحو مشترك مع علاقات أخرى خاصة بنظرية الكميـات تحـت عمود شامل للعلاقات الإحالية . ويطلق على حقيقة ورودهـا فـى أوصـاف نحوية <u>الأساس الإحالى للنحو</u> . (١٣)

---

(١٢) انظـر (. ب.ليـز ، و إ . س كليمـه " قواعـد للإضـمار فـى الإنجليزيـة
Language 39 , 1963 , p . 17- 28

(١٣) انظر د.ج.هيلمان : " الأساس النحوى للإحالة " 38 – 19 . Mathodos , 14 , 1962 , p

ونزعم أن التفريق بين علاقات نحوية وعلاقات دلالية مهم من حيث إن له نتائج منهجية بعيدة المدى ؛ فكل مقولة تتطلب طريقة عمل خاصة . وعند وصف النحو الفوقى لا يمكننا أن نتجنب أن تُوضع خاصيته الدلالية . ولذلك يراعى نحو مناسب ضرورةً بشكل بدهى هذا الفرق .

٤-٣ يعد كلا المقتضين المناقشين هنا ، وهما مفهوم الجملة فى علاقاتها السياقية (فوق النحوية) ، وحتمية وضع الأساس الإحالى للنحو فى الاعتبار، فيما يبدو الشرطين المسبقين الأساسيين لتصور النحو الذى يتضمن وصف النحو الفوقى (ومن المؤكد تماماً الإحالة النصية) . وثمة مثال لذلك التصور ، على الرغم من أنه لم يُناقش بالذات بوسائل العلاقات السياقية ، ولكن يجيز تكيّفات فى بنائه من هذه الناحية ، هو نموذج الدرجات (المستويات) الثلاث لـ ف.دانش . [١٤]

ومن المهم أن يفرق هنا بين نموذج الجملة والمنطوق بوصفهما درجتين متباينتين للتجريد ، فالأول يعالج العلاقات داخل جمل مستقلة ، والثانى ظواهر نحوية ، تُنتج بوصفها معايير لسياق أكبر . ويقدم هذا التفريق برغم أنه ليس إلا فى شكل كامن ، منهجاً لمعالجة علاقات سياقية أيضاً ، يقلب طريقة العمل المختارة هنا . ويمكن أن يُنظر إلى الفرق بينها على أنه منظور من المنظورات السياقية أو النصية .

وينطلق المنهج السياقى لدانش من الجملة ، أى أن وصف الجملة مؤسس بحيث يراعى حقيقة أن ثمة علاقات محددة بين عناصر الجملة تنتج الربط النحوى مع جمل مجاورة أو على العكس من ذلك ترمى إلى التعبير عن هذا السياق .

---

(١٤) انظر ف.دانش : " نموذج نحوى وطراز نحوى " فى : československe přednašky pro V . mezinarodni sjezd slavistu (إسهامات تشيكية فى المؤتمر الخامس للدراسات السلافية) ، براغ ١٩٦٣ ، ص ١١٥ – ١٢٤ ، وله أيضاً : منهج ثلاثى المستويات للنحو فى : TPL 1 ، ١٩٦٤ ، ص ٢٢٥ – ٢٤٠ .

أما طريقة العمل المقدمة هنا فتنطلق من النص وننظر إليه على أنه شبكة من العلاقات ، التى تُربط عناصره بعضها ببعض . ومع ذلك لا ينبغى هنا أن نحاول مناقشة هل يستحق المنهج النصى أو السياقى ميزة وما شروط ذلك .

ومع ذلك ننبه إلى الفرق بين كلا المنهجين ، إذ يؤكد فقط الصلاحية العامة لإيضاحنا التصور السياقى للجملة . وفى الحقيقة تعد هنا من الأهمية بمكان حقيقة أن دانش أيضاً قد وضع هذا الجانب فى الاعتبار . ونتيجة لذلك يعد تصوره مقبولاً، ويمكن لنحو على هذا الأساس أن ينجز بوجه عام وصف لجهاز إح ن (حتى يذكر فقط مثال لظواهر نحوية فوقية) .

وتُقدم فى هذا الموضع مقترحاتنا حول ذلك . [١٥] هنا نقتصر فقط على الإشارة إلى أن مثل هذا التكيف لمخططه قد يكون عملياً .

ذيل ١٩٧٥

عرف بعض الأفكار المطروحة هنا درساً مفصلاً فيما بعد فى الكتاب المذكور فى هامش ٥ ، مثل التفريق بين الشئ والمدلول (حيث يميز من خلال ذلك كيف يفهم المصطلح " شئ " ولا سيما تحت النقطة ٢-١ ، إذ إن " تمييز المدلولات " أفضل من " تمييز الأشياء ") . ومن جهة أخرى يظل المخطط (٢) فى ٢-١ قائماً .

ويُوضح الفرق بين المؤشرات والمبدلات فيما بعد على أساس فئة عامة لوسائل التعبير اللغوية ، مُجدِّدات Instauratoren . وتحدد بأنها أداة نحوية ، تستخدم لخلق تصور مدلول أو مجموعة مدلولات فى مكان محدد فى النص يُشغل إما بتعبيرٍ حامل للمعنى (قادر على الدلالة) معاً مع هذه الوسيلة ، وإما من خلال هذه الأداة النحوية فقط ، حيث يُعَد مدلول ما للاضطلاع بدور عنصر أساسى فى حدث النص . (انظر ب.پاليك " معالجة الإحالة فى الوصف اللغوى " ، فى:(المنطق واللغة والاحتمال) (Logic , Language and Probabitity , ed , R . J . Bodgan and I . Niinluoto , D. Reidel , Dordrecht 1973

(١٥) انظر المبحث ٤ ، فيما سبق فى هامش ٥ .

Grammars and Descriptions , ed . J .S Petöfi and T.A. van Dijk

وب .پاليك " الإحالة والنص " ، (لم ينشر بعد ، أى وقت ظهور الكتاب ١٩٧٧م).

وتتبع المؤشرات والمبدلات (ووسائل أخرى ، مثــل النافيــات وضــمائر الاستفهام) فئة المجددات – وهكذا تنقسم وسائل التعبيــر اللغويــة إلــى ثــلاث مجموعات : مجددات (وهى التى تعبر عن خصوصية شئ ما) وتعيينــات (وهــى التى تعبر عن الخواص) ، وموصلات (وهى التى تعبر عن العلاقــات المنطقيــة وغيرها) .

جون ف. هندس

قيود نصية للنحو (*)

يوجد داخل كثير من الأعمال المعاصرة حول النحو الافتراض الكامن ، وهو أن الجملة هى وحدة الدرس النهائية . وتظهر هذه الفرضية لدى تشومسكى (١٩٦٥) الذى يزعم أن نحواً كافياً تماماً للغة طبيعية ما يجب أن يلحق بكل جملة من كم محدد من الجمل وصفاً للبنية ، ينبثق عن ذلك كيف يفهم هذه الجملة متكلم- سامع مثالى [ص٤] ، ولدى لاكوف أيضاً (١٩٧٠) الذى يزعم أن النحو الكافى أن يلحق " بأشكال سطحية للجملة دلالاتها المطابقة أو أشكالها المنطقية " . [ص٥] . ولكن توجد عوامل أخرى ، تبين أن دراسة الجمل لا ينبغى أن ينظر إليها على أنها الهدف النهائى للدراسات اللغوية ، على الرغم من أنه يمكن أن تقدم نقطة انطلاق كافية . وبعبارة أخرى ، النحو ذاته الذى يوفر لقناعة الجميع وصفا كافياً وإيضاحا لاستعمال المتكلم – السامع المثالى للجملة بالنسبة لجمل لغته ، ربما ما يزال غير مثالى دائماً . فالمتكلم – السامع المثالى أو حتى المتكلم- السامع ينفذ إلى ما هو أكثر من عمل جمل لغته – فهو لديه أيضاً طريقة ربط أجزاء مختلفة للغته أو بشكل أبسط قد ذوّت وظائف بنية النص .[1]

ولقد تجاهلت الاتجاهات الرئيسية لعلم اللغة الأمريكى بصفة عامة تحليل النص ، لأنها تنظر إليه على أنه ثانوى بجانب الوظيفة الحقيقية لعلم اللغة . فقد عُنى علم اللغة الوصفى الذى يمثله بلومفيلد (١٩٣٣) بوجه خاص عناية أقل بما نطلق عليه فى الوقت الحاضر النحو ، ولم يُعن مطلقا بتحليل النص . إذ يعالج فصل " النحو " لدى بلومفيلد مثلا بنية المركبات والساندهى ، والمطابقة ، وكذلك

(*) عنوان هذه المقالة هو : John V. Hinds
Textuelle Beschränkungen der Syntax pp.344-356
من الكتاب السابق ذكره Textlinguistik الذى حرره فولجانج درسلر W Dressler ، دارمشتاد ١٩٧٨ م .

(١) دعم هذا البحث إلى حد ما كل من : Woodrow Wilson ^ -1447 -50 NSF Grant
Disseratation Fellowship .

أبنية متمحورة داخلياً ، وأبنية متمحورة خارجياً [١٨٤-٢٠٦] ، ولكنه تجاهل فى الواقع كل مجالات النحو التى يهتم بها عالم اللغة الحديث . ولكن ملحوظات بلومفيلد حول العلاقة بين الجمل والنصوص بناءً على ذلك لافتة للنظر .

" يمكن أن يتكون منطوق ما من عدة جمل . وهذه هى الحال حين يشتمل المنطوق على أشكال لغوية كثيرة ، لا تُشكل من خلال بنية (أى تركيب) نحوية عرفياً ومهمة فى وحدة أكبر ، مثل كيف حالك ؟ إنه يوم جميل ، أتلعب التنس بعد الظهر ؟ أما ما يوجد باستمرار أيضاً لربط عملى بين هذه الجمل الثلاث ، فإنه لا يوجد تنسيق نحوى يوحّدها فى وحدة أكبر : أى منطوق يتكون من ثلاث جمل " . [١٧٠] .

وقد أكدت جملة البداية فى " الأبنية النحوية " لتشومسكى ميل النموذج التحويلى التوليدى ضد بحث المنطوقات التى تعد أطول من جملة ، برغم أنه قد تأثر بها تأثرا عميقاً : " هدف الدرس النحوى للغة محددة هو إنشاء نحو ، يمكن أن يُعد وسيلة لإنتاج جمل اللغة المحللة " . [١١] ولكن لا يُزعم بذلك أن علم لغة النص لم يُقبل مطلقاً من علم اللغة الأمريكى ، وكان لزاماً على التاجميميين وأصحاب التحليل الطبقى أن يدرسوا اللغة من جانب علم لغة النص . وأكدوا ذلك باستمرار . ولكن للأسف لم ينظر إلى أى اتجاه من الاتجاهين على أنه المدرسة - الرئيسية لعلم اللغة .

وفى إطار نحو التحويلات أبدى دائماً علمُ (بدون قصد أحياناً) بأن ثمة ظواهر محددة ، يمكن أن توضح من خلال وصف لغوى نصى على نحو أفضل .

ومن الجدير بالذكر فى هذا الجانب أن تُوضح محاولتان لتفسير ظواهر نصية دون تطبيق التحليل النصى . المحاولة الأولى ، فرضية فودر - كاتس - بوستال تزعم أن المجال الحقيقى لنظرية دلالية هو الجملة بذاتها ، لأن تحليل جمل منعزلة (مستقلة) يمثل الكم الجزئى لتحليل جمل تقع فى محيط ما .

ويُهذّب تصور هذا المحيط الضرورى (setting) أيضاً من خلال التفريق بين السياق غير اللغوى للموقف والسياق اللغوى ، الذى هو النص المكتوب أو المنطوق ، الذى تقع فيه الجمل المدروسة . ويعد هنا هذا السياق اللغوى بوجه خاص ، أى بنية النص ، مهما . ويزعم فودر - كاتس - بوستال أن وظيفة

نظرية دلالية هو إزالة غموض المنطوقات . وقالوا على سبيل المثال إن الجملة القائمة بذاتها " أطقت النار على الرجل المسلح " متعددة المعنى ، ولكن حين توضع فى نص : أطلقت النار على الرجل المسلح . لو كان لدى الرجل سلاح أيضاً ، لكان قد أطلق علىَّ النار أولاً . فلا تكون كذلك . ويزعم فودر – كاتس – بوستال أن نظرية مرتبطة بهذا النوع من تحليل النص لا تفضل التفسير الدلالى لجمل مفردة على الإطلاق ، لأنه بصرف النظر عن بضع حالات ، يمكن أن تعالج النصوص بوصفها جملاً مفردة بسيطة ، حين ينظر إلى حدود الجملة على أساس روابط للجملة [٤٩٠] . ويزعمون كذلك أنه بالنسبة لكل نص توجد جملة وحيدة ، تتكون من سلسلة من جمل ن منشئة للنص ومزودة بروابط مناسبة . وتبين هذه الجملة العلاقات الدلالية ذاتها مثل الواردة فى النص [٤٩١] . فرضهم هذا لا يمكن الدفاع عنه بالضرورة . وفى الواقع يرى فودر – كاتس – بوستال أيضاً أن ترتبط جملتان ليس طبيعياً فى الأغلب ، وأن الوسائل المبذولة ليست ضرورية لإنشاء هذا الربط غير الطبيعى . وكذلك يختلف بوضوح كثير من القيود التى تتطلبها بنية النص عن تلك التى تتطلبها بنية الجملة .

مثال بسيط لذلك الإضمار فى اليابانية . ودون أن نوضح بدقة تفصيلات شروط استعمال الضمائر ، يمكن أن يوضح ببساطة شديدة أن نتائج الإضمار فى الجملة – الثانية من جملتين مختلفة أساساً عما فى الجملة الثانية من جملتين جزئيتين .

(1) Taroo ga Ziroo o tasuketa yo (١)

تعرف ساعد (ماض) مفعول فاعل

تعرف أن تارو ساعد جيرو

Sore kara kare mo Akiko o tasuketa

ساعد (ماض) مفعول هو أيضا

وبعد ذلك ساعد (جيرو) اكيكو

(2) * Tarro ga Ziroo o tasuketa , kare mo Akiko tasuketa

ساعد (ماض) مفعول أيضا هو ساعد (ماض) مفعول فاعل

تارو ساعد جيرو ، وساعد اكيكو أيضاً

فى الجملة (١) تبين الجملة الأولى أداة نهاية الجملة (yo) ، وتبدأ الجملة الثانية بمركب لبداية الجملة sore kara . هذان يستخدمان لتأكيد الفصل بين كلتا الجملتين ، ولأنه ترد جملتان فإن (kare) تحيل بلا لبس إلى (جيرو) . أما المثال (٢) فغير نحوى ، حين يفسر (kare) بأنه عنصر تحاول مع (جيرو) . والمعنى الممكن وحده أن إنساناً ما غير محدد غير متطابق مع تارو ولا مع جيرو هو عنصر التعلق لـ kare ، وهو ما يبين الفرق بين إضمار الجملة وإضمار المركبات .

وثمة اقتراح ثان يستحق أن يدرس الآن . فقد برهن لاكوف فى سلسلة من أعماله على أن معالجة الفروض المسبقة ضرورية لدراسة النحو ، على الرغم من أن هذا يجلب معه توسيعاً لمجال البحث النحوى ، ويثبت لاكوف (١٩٧١ أ) أن هذا التوسيع ضرورى حتماً لتفسير ظواهر محددة أُطلق عليها " نحوية " من الناحية التقليدية . وإلا ربما لا يشتمل مجال لنحو خال من الفرض المسبق "دراسة توزيع المورفيمات النحوية " [٣٣٧] . ويبين لاكوف مثلاً أن المورفيم الإنجليزى who (من) لا يمكن أن يحدد ببساطة من خلال سمة نحوية [+ إنسانى]- ، بل يتطلب ضمير الموصول who على الأقل أن الشخص المتعلق به يُفترض أن يكون حياً وقت الإحالة أو يظن أنه إنسان . [٣٣١] وللأسف يزعم لاكوف أيضاً (١٩٧١أ) أن جملة فى حال انعزال يمكن أن تبحث من محيطها اللغوى . ويزعم فى فرضية عن مجالات النحو الخاص بالفروض المسبقة أنه : حين توجد بنية نحوية (ق$_1$ ... ق$_ن$) نحدد التمثيل الدلالى لجملة بـ

$$SR = (P_1 , PR , TOP , F , \ldots)$$

ت د = (ق ١ ، ف م ، موضوع ، ب ...)

حيث PR ربط لفروض مسبقة و TOP رمز لموضوع الجملة ، و F رمز لبؤرة الجملة [٢٣٥] . ولكن يمكن أن يوضح أن النحو التوليدى يتأثر بأوجه عدم المناسبة ذاتها التى يتأثر بها النحو الخالى من الفروض المسبقة الذى يهاجم هذه

الأوجه ، لأنه حتى تحليل الفرض المسبق لا يمكنه أن يفسر توزيع المورفيمات النحوية دون ضم ظواهر نصية فى التحليل .

ويتطلب بحث عناصر الإشارة الإحالية اليابانية على الأقل فرضاً مسبقاً للتحليل لإيضاح توزيعها . فيوجد مثلاً فرق خاص بالفرض المسبق بين sono (ذلك) و ano (ذلك هناك) – ولا تُستخدم (ano) إلا حين يفترض المتكلم أن السامع ، مثل المتكلم يعرف عنصر تعليق اسم الإشارة الإحالى . وتُستخدم sono إما حين يعرفه المتكلم ، ولكن لا يعرفه السامع أو حين لا يعرفه المتكلم أيضا .

Kinoo Yamada – san ni hazimete aimasita (٣)
An (* sono) hito zuibun kawatta hito dasune

قابلت السيد يامادا أمس للمرة الأولى . ذلك الرجل شخص مرح للغاية . أليس صحيحاً ؟

وتستخدم Ano للإحالة إلى السيد يامادا ، لأن المتكلم يفترض أن السامع يعرف السيد يامادا . وحين لا يعد المتكلم هذا الفرض المسبق فإن sono هنا تكون مناسبة . (٢)

بيد أن وصف توزيع sono – ano يتطلب ما هو أكثر ، وهو أن تَتضمن ظواهر نصية أيضاً . فالذكر الأول لفاعل معروف للمتكلم والسامع يتطلب ano ، كما بُيِّن آنفاً . غير أن إحالة متكررة إلى هذا الفاعل تبين الميل إلى التبادل بين ano و sono بسبب محيطها أو موقعها اللغوى فى نص . مثال حول ذلك :

Kino Tookyoo de otomodati ni aimasta.
Ano hito wa ima nihon– ginkoo ni tutomete – iru to iimasita .
[ano / sono] hito wa Konogoro kibun ga yoku nai kara , otaku ni tomatte – imasu .Tokorode [ano / sono] hito wa moo omosiroi monogatari ohanasimasu

(٢) ترجع هذه الملحوظة وهذا المثال إلى كونو (١٩٧٠) .

" قابلت صديقك أمس فى طوكيو قال (أى ذلك الرجل) . إنه يعمل الآن لبنك اليابان . ولأنه (أى ذلك الرجل) يشعر فى الفترة الأخيرة أنه ليس على ما يرام ، ظل فى البيت . فضلاً عن أنه (أى ذلك الرجل) يحكى دائماً حكايات ممتعة ".

الاستعمال الأول لاسم الإشارة الإحالى هو ano (ذلك) ، لأن المتكلم يعرف أن السامع يعرف الشخص العائد إليه . أما الاستعمالان الثانى والثالث لاسم الإشارة فيمكن بسبب موقع اسم الإشارة فى النص ، وبرغم الافتراض المتضمن فى الاستعمال الأول أن يكون إما sono أو ano .

ولقد زعمنا إلى الآن أن المحاولات السابقة لوصف لغوى غير القائمة على أساس تحليل النص ليست كافية . وقد أُورد مثالان يابانيان لبيان إخفاق نحاة الجملة فى إيضاح محاول لظواهر نحوية . وبيَن فى كل حال أن النص يقوم على نحو ما بتقييد بنية الجملة . وبناء على ذلك سوف نناقش الآن مجالات توصف كلها بشكل غير تام فى إطار أنحاء الجملة . وسوف يوضح أن المنهج الوحيد لإيضاح هذه الحقائق يقع داخل إطار يراعى بنية النص .

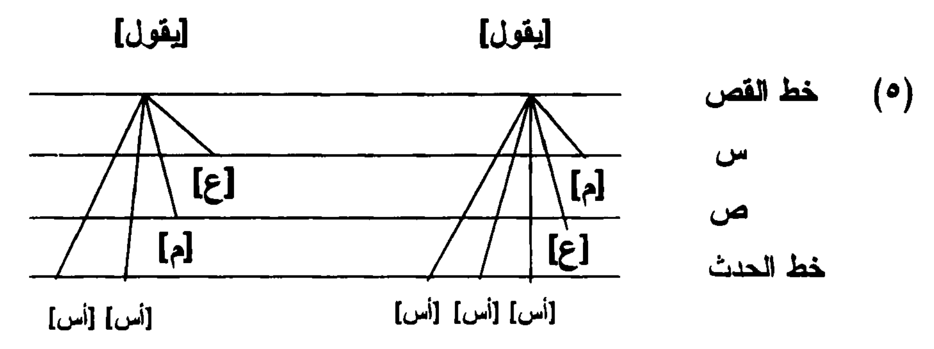
إطار عام

إن الإطار العام الذى يمكن أن تبنى فيه مكونات المعلومة بشكل كاف هو تحليل يراعى حقيقة أنه فى كل فعل كلامى يرد متكلم وسامع . هذا الاقتراح متطابق من جوانب كثيرة مع الاقتراح الذى عرضه روس (١٩٧٠) ، الذى يُعنى بأفعال أدائية ، ولكن يوجد أيضا بعض فروق جوهرية بين كليهما . ولا سيما أن تحليل روس محدد لنحو جملة . ولذلك يجب أن نفترض دائما أن مركبا أدائيا من نمط أقول لك .. ج .. أساسا لكل جملة مفردة . ولأن الجمل فى النصوص مثلما فى المحادثات يتبع بعضها بعضا ، ولأن هذه الجمل للمتكلم والسامع أنفسهما فى إطار شروط عادية ، فإن هذه الحتمية تتجاهل الإتيان فى كل جملة بمركب أدائى . تعميم مهم ، وتخرق كل شرط للبساطة وحين يفترض مركب أدائى لكل جملة

مستقل عن كل الأخريات فإنه ينشأ مصادفةً أن يتحادث المتكلم والسامع أنفسهما . وفى تحليل لا يذكر إلا مركباً أدائياً لكل متوالية سردية تصير هذه الحقيقة جـزءاً من النحو . وسيوضح أسفل أن هذا التحديد لا يصدق على متواليات سردية فقط، بل على نصوص أخرى أيضاً .

ويعرض الشكل الحقيقى لهذا التحليل فى المثال (٥) بصورة غير شكلية :

(٥)



وتتكون هذه الشبكة المجردة (عن تابر ١٩٦٦) من خطين متـوازيين ، خط النص ، وخط الحدث . ويشير خط القص إلى سلسلة من كتل نصية رئيسية ، مثل الفقرات ، تبادل المتكلمين ، فى حين يعرض خط الحدث سلسـلة أحـداث أو تتابعات جملية ، وتمثل س و ص المشاركين فى الحديث . ويشار إلى المتكلم بـ [م] وإلى السامع بـ [ع] ، ويعلو الفعل المجرد خط القص . وتعرض الشبكة آلية غير شكلية ، لمعالجة شروط الإضمار المجاوز للجملة ، وتبـادل الإشـارة فـى المحادثات ونماذج السؤال – والإجابة ، وشروط الاجتزاء والتبئير ، وكذلك أشكال التأدب . ولا يتسع المكان لمناقشة كل هذه السمات هنا ، بل أن نعرض لإحـداها فقط ، عرضا كافياً . ولكن تحدد هنا المعالم أيضا بشكل واضح حتى تبين إمكانية تنفيذ هذا الاقتراح .

أشكال التأدب (كلام الاحترام)

ثمة حقيقة معروفة تماماً وهى أن لغات محددة فى العالم تسم العلاقة بين المتكلم والسامع على نحو ما . وفى اليابانية يعد هذا التعليم للعلاقة بين المتكلم والسامع (السامعين) ، وموضوع الجملة تابعاً لإدراك المتكلم لهذه العلاقـات . ويمكـن أن تحدد هذه العلاقات بمساعدة ثلاثة نظائر : صيغ رسمية فى مقابـل صـيغ غيـر رسمية ، وصيغ راقية فى مقابل غير راقية ، وصيغ استهانة فى مقابل صيغ عدم استهانة . [٣] وتوضح الصيغ المطابقة فى (٦) ، فـى حـين سـردت الشـروط الضرورية لاستخدام الصيغ المناسبة فى (٧) .

(٦) أ- صيغ رسمية فى مقابل صيغ غير رسمية

أفعال

غير رسمى	tabe – ru	يأكل – مضارع
رسمى	tabe – mas – u	يأكل – مضارع

ب- صيغ راقية

أفعال (yom – u يقرأ – مضارع)

o + yomi + ni + naru
o + yomi + ni + nar – are – ru
yom – are – ru

جـ- صيغ استهانة (استخفاف)

أفعال (yom – u يقرأ – مضارع)

o + yomi + suru
o + yomi + itasu

---

(٣) هذه المصطلحات هى نظرات جوهرية ، أشكر هارادا (١٩٧٠) فيما يختص بصياغتها .

(٧) شروط

أ- صيغ رسمية

١- لا يستخدم المتكلم الصيغ الرسمية مع الناس الذين يتبعون جماعة متماسكة محددة بشكل غير دقيق . فهى تتكون من أصدقاء حميمين ، وأفراد الأسرة..الخ .

٢- يقع التغيير إلى الأسلوب العادى حين نصف الموقف بُعداً فيزيائياً أو نفسياً إلى علاقة المتكلم بالسامع (الهاتف ، المقابلة الرسمية ... الخ) .

٣- لا يستخدم الأعلى من الناحية الاجتماعية الصيغ الرسمية فى مقابل الأدنى . وتتطلب مكانة الأدنى من الأعلى الأسلوب الرسمى .

ب- صيغ رفيعة

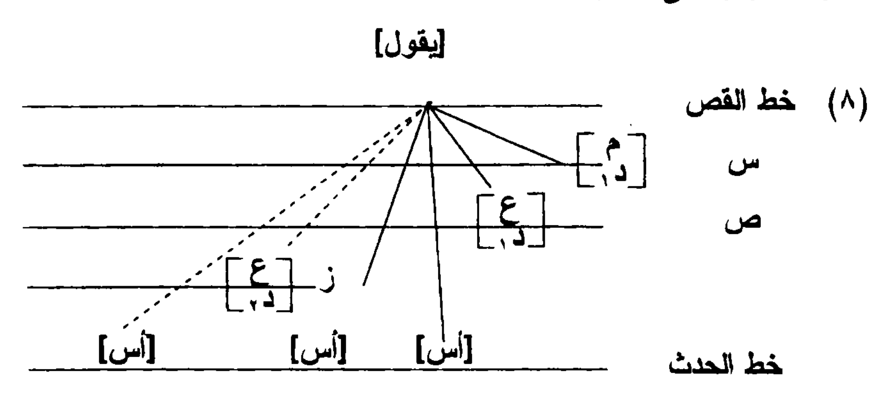
يستخدم المتكلم ألفاظاً رفيعة لتصوير فعل أو حال إنسان ما ، حين تُقدم الطبقة الاجتماعية لهذا الإنسان على طبقة المتكلم .

ج- صيغ استهانة

يقدم الشخص المتعلق بالمفعول (غير المباشر أو المباشر) فى جملة ما على فاعل الجملة من الناحية الاجتماعية والشخص الذى يتعلق به الفاعل مقدم على المتكلم فى الوقت نفسه .

ومن الضرورى للإفادة من هذه المعلومة أن تُعَلَّم الطبقة الاجتماعية النسبية سواء لمتكلم الخطاب وسامعه أو للفاعل والمفعول . ولا يكون هذا ممكناً إلا حين يتيح النموذج المستخدم للوصف تمثيلَ المتكلم السامع فى بنية أساسية . وتوجد خصائص أخرى فى اليابانية تدعم كذلك تطبيق تحليل أدائى ، فعلى سبيل المثال حسب جنس المتكلم يكون استخدام متباين للأدوات وأوجه شبه بين استشهادات متضمنة وجمل خبرية ، واستخدام الضمائر المنعكسة وصفاً للشخص الأول (المتكلم) . وتناقش هذه الحقائق بالتفصيل فى عمل هِندس (١٩٧١) – هنا

ثمة أهمية لحقيقة أنه سيكون ممكناً إيضاح تغيير فى استخدام صيغ التأدب داخل خطاب ما . حين يُفرض المركب الأدائى للنص كله بدلاً من الجملة المفردة . ونأخذ مثالاً حالة حين يتحدث متكلم مع أصدقاء ، هو موقف يتطلب صيغاً غير رسمية . هذا الموقف يمكن أن يوصف مع الورود الأول للمشاركين فى المركب الأدائى . وحين يتغير مستوى الشكلية لسبب ما ، مثلاً تبعاً لدخول غريب فى جماعة يمكن أن يلاحظ هذا التغيير عند نقطة الدخول ، فى حين تظل كل أجزاء التحديد الأخرى كما هى . ويعرض هذا فى (٨) ، حيث تمثل من [a] د١ و [β] د٢ درجة واحدة أو غير واحدة للثقة . مع افتراض أن درجات مشابهة للثقة تنتج أسلوباً غير رسمى [أ س] .



وكما يمكن أن يرى فى (٥) و (٨) ليس من الممكن فقط أن يبين تغيير المتكلم ، وتغير الشكلية (الرسمية) ، بل يمكن أن يفترض الإضمار ووضع التحديد فى تجاوز لحدود الجملة أيضا . وبذلك توجد فى الوقت نفسه وسيلة سواء من المتكلم أو من السامع لتفسير حالات ورود ضمير الشخص الأول (المتكلم) فى جملة خطاب ما تفسيراً صحيحاً ، وإمكان فهم كل المشاركين ثنائيات مثل : يأتى- يذهب ، وهنا – هناك .

التبئير

ثمة موضوع ينبغى أن يطرح باختصار ، إذ لا يمكن أن ينظر إلى التبئير أو عملية انتقاء مكون جملى ووصفه بأنه حامل معلومة معروفة ، إلا من جانب بنية النص أيضاً . وفى اليابانية تصف الأداة المتأخرة wa المركب الاسمى لجملة الذى يستخدم بؤرة . [٤] وإذا نُحى كثير من التعقيدات التى لا تمس الأمر المناقش هنا ، فإنه يوجد قيدا اختيار للمكون الذى يصير بؤرة . ويجب أن يكون المركب الاسمى خاصا بجنس أو يتضمن معلومة معرفة . وفى حالة المركب الاسمى الخاص بجنس يمكن أن يفترض أن هذه المركبات الاسمية تتبع سجلاً دائماً يشتمل على قائمة للمركبات الاسمية التى يمكن أن تُبأَر (تجعل بؤرة) بشكل حر . مثل geta (قمر) و zoo (فيل) ... الخ . وهكذا فالمثال (٩) :

(9) Zoo wa hana ga nagai

طويل أنف فيل

الفيل له أنف طويل .

جملة يمكن افتراضها ، فى حين أن (١٠)

(10) * Hito wa omosiroi desyoo ?

(يوم ما) مهم رجل

رجل مهم ، أليس كذلك ؟

لا تمثل جملة الآن hito فى هذه الحال لا تعد جنساً . ويجب بالإضافة إلى هذا السجل الدائم أن يُوضع سجل زمنى ، يتيح التبئير للمركبات الاسمية غير الخاصة بجنس الواردة فى خطاب مميز . وتعد الجملة الثانية فى (١١) نحوية لأن الشخص الذى يتعلق به المركب الاسمى قد قُيِّد فى السجل الزمنى .

(11) Yamada - san ga tazunete kimasita

---

(٤) لا تناقش هنا وظائف أخرى للـ wa مثل الاستخدام التقابلى . انظر حول ذلك كونو (١٩٧٠ و ١٩٧١) .

جاء زائراً السيد یامادا

السيد يامادا زرانى

Ano hito omosiroi desyoo؟

(يوما ما) مهم ذلك الرجل

هو مهم ، أليس كذلك ؟

ولا يكون إدخال هذا النوع من السجل ممكناً إلا حين تُسَخر للتفريق كتل نصية بدلاً من جمل . ولأن توزيع الأداة wa يقع داخل إطار البحث اللنحوى ، ويتطلب الإيضاح الوحيد لهذا التوزيع بحث النص فإن حتمية تحليل النص واضحة. وسوف يوضح السجل الزمنى حين يبنى بناءً صحيحاً ظاهرة حذف المركب الاسمى فى اليابانية أيضاً ، ويمكن أن يكون بشكل محتمل للغاية أداة قيمة لوصف الفروق بين مركبات اسمية معرفة ونكرة فى لغات مثل الإنجليزية ولتفسيرها .

موجز : وُضِّح أن بحث الجمل دون بحث النصوص يسفر عن نتائج لا يمكن افتراضها . وعُرِضَت حول ذلك آلية لبيان بنية أدائية مجردة ، باقتراح أن ظواهر مختلفة يمكن أن تفسر بهذا النظام . وأخيراً عولجت مشكلات مميزة مستقلة بعضها عن بعض ، يتطلب حلها تحليل بنية النص لتفسير توزيع أبنية نحوية محددة .

المراجع

Chomsky, Noam (1965): *Aspects of the Theory of Syntax,* Cambridge. Dt.: *Aspekte der Syntax-Theorie,* Frankfurt a. M. 1969. ders. (1957): *Syntactic Structures,* The Hague.

Fillmore, Charles (1968): "The case for case", in: Bach, E./Harms, R. T. (eds.), *Universals in Linguistic Theory,* New York, S. 1—88. Dt. in: Abraham, W. (ed.), Kasustheorie, Frankfurt a. M. 1971, S. 1 — 118.

Fodor, J./Katz, J. (1964): „The Structure of a semantic Theory", in: dies, (eds.), *The Structure of Language,* Englewood Cliffs, S. 479—518.

Harada, Sin-iti (1970): *A Study of Japanese Honorification,* unveröffentlichte Dissertation, Universität Tokyo.

Hinds, John (1971): *Performative Verbs in Japanese,* SUC/Brockport, unveröffentlicht.

Katz, J./Postal, P. (1964): *An Integrated Theory of Linguistic Descriptions,* Cambridge/Mass.

Kuno, Susumu (1971): *An Aspect of Subject Deletion in Japanese.* Harvard, unveröffentlicht.

ders. (1970): *Notes on Japanese Grammar,* Harvard, Report No. NSF-27.

Lakoff, George (1970): *Linguistics and Natural Logic,* Ann Arbor. Dt.: *Linguistik und natiirliche Logik,* Frankfurt a. M. 1971.

ders. (1971a): "On generative Semantics", in: Steinberg, D. D./Jako-bovits, L. A. (eds.), *Semantics.* Cambridge, S. 232—296.

ders. (1971b): "Presupposition and relative Well-Formedness", in: Stein-berg, D. D./Jakobovits, L. A. (eds.), *Semantics.* Cambridge, S. 329 bis 340.

Ross, J.: (1970): „On declarative Sentences", in: Jacobs, R. A./Rosen baum, P. S. (eds.), *Readings in English Transformational Grammar,* Waltham, S. 222—272.

Taber, Charles (1966): *The Structure of Sango Narrative,* Hartford.

جرهارد نيكل

علاقات سياقية بين الجمل فى الإنجليزية (*)

كان النحو التقليدى منذ القدم حتى العصـــر الحـــديث مرتبطـــاً بـــالمنطق والبلاغة . وليس مآل ذلك آخر الأمر موقفه المعيارى الذى عابته أخطاء كافيـــة غالباً ، لأنه اصطدم بتصورات الحكمة والجمال . بيد أن قواعد لم تتعلق صـــراحة إلا بوحدة " الجملة " . وداخل الجمل فقط وُضّحت أوجه اطراد ووُضِعت مخالفات . ولا يعنى هذا أن الجملة قد أقربها فى الواقع العملى أيضاً أعلـــى وحـــدة تامـــة . وعُرِفت مخالفات داخل تتابعات الجملة (مثلاً اختيار خاطئ للضمائر ، وربط خاطئ للجملة ، ومخالفات ضد قواعد التطابق ...الخ) بأنها أخطاء . وبذلك أقر ضـــمنياً بوحدات أكبر متجاوزة الجملة ، وجب أن تُلاحظ داخلها أوجه اطراد وأن تراعى .

وقد اضطلع علم اللغة الحديث أيضاً فى البداية بمحاولات متئـــدة فقـــط ، لبحث سياقات أكبر عن أوجه انتظامها . ويسرى هذا على البنيويـــة التصـــنيفية والنحو التحويلى التوليدى أيضاً . وربما يمكن أن يُتَوقع من الأخير الذى استهدف أن يوضح بنظامه القاعدى بناء جمل صحيحة نحوياً وتفسيرها توضـــيحاً تامـــاً ، اهتمام قوى ببحوث علاقات سياقية بـــين الجمـــل ، إذ إن مفهوميـــة المحـــورين النحوية grammaticality والمقبولية acceptability ينبغى أن يكون لهما بكل تأكيد صلاحية متجاوزة حدود الجملة .

إنه ينشد الكمال . ويمكن أن يُظهر هذا الهدف الطموح نقصـــانه الحـــالى بصورة أوضح . وعلى العكس من ذلك فقد أوجد الهدف الأضيق للنحو التقليـــدى فى الغالب الانطباع الزائف بالكمال . [1] ويجب أن يؤدى الطموح نحو الكمال عند وصف الكفاءة اللغوية وفق ك .إ.هايدولف ضرورةً إلى تفسير كفاءة المتكلم أيضاً

(*) عنوان هذه المقالة هـــو : Gerhard Nickel, kontextuelle beziehungen zwischen Sätzen im Englischen pp.147-166
من الكتاب السابق ذكره Textlinguistik الذى حرره فولفجانج درســـلر W.Dressler ، دارمشتاد ١٩٧٨م .

(١) انظر ن.ر.كاتل : مخطط الإنجليزية (لندن ١٩٦٦) ص ٢١ .

لتوليد نصوص مترابطة من جهة ، ولفهم تتابعٍ مقدمٍ من الجمل بوصفه نصاً أو لمعرفة تراكم من الجمل غير مترابط ، بل بلا معنى فى أحوال ما . [٢] وفى الحقيقة يجب أن يستنتج من ذلك وصف علاقات سياقية تتجاوز حد الجملة من خلال قواعد النحو . ومن المستغرب أنه لم نستطع فى معسكر النحو التوليدى برغم هدفه البعيد المدى لتفسير النحوية والمقبولية ، الاتفاق بعد حول ضرورة الاشتراك فى نحو النص . وكذا فقد نظر ن . تشومسكى ، المؤسس الحقيقى لهذا الاتجاه ، بشكل هامشى خاصة ، واتصالاً بمشكلة ترتيب المفردات ، فى تلك العلاقات متجاوزاً حدود الجملة . [٣] ولكنه أيضاً لم يناقش مسألة قبول وصف هذه الظواهر فى نحو تام . وفى الحقيقة يطابق بذلك الاتجاه العام لمدرسته ، وهو إحالة مشكلات ترتيب المفردات إلى مجال الأسلوبية . [٤] وهنا يلحق بمجال الأداء performance مرة أخرى كل ما لا يحل بسهولة فى مجال الكفاءة competence .

ومن المؤكد تماماً أن ثمة جزءاً من المشكلات يقع فى المجال الكبير والأكثر حرية للأسلوبية ، بل من المحقق أنه قد يُغفل هنا أنه يجب أن يوجد تفريق بين ترتيب للمكونات وثيق الصلة نحوياً وترتيب أسلوبى (حر) نسبياً . ولا يستطيع المرء أن يقدر ويصف أنظمة هامشية ، مثل نظام الأسلوبية إلا حين يكون قد طرح النظام المحورى لتحليل مفصل .

ويعد التحفظ تجاه هذه المشكلة مفهوماً بوجه عام ، فإذا كانت مساحة التحرك داخل أبنية الجملة ، والوصف فقط بجهاز قاعدى أكثر إجهاداً مما تستعمله البنيوية التصنيفية مثلاً ، فإنها تصير فى وحدات أكبر تتجاوز الجملة ، بطبيعة الحال ، أكبر بكثير .

---

(٢) انظر ك.إ.هايدولف : علاقات سياقية بين الجمل فى نحو توليدى ، Kybernetika ٣ (١٩٦٦) ص ٢٧٤ .

(٣) ن .تشومسكى : جوانب النظرية النحوية (كمبردج/ماس ١٩٦٥ ، وأيضاً ص ٢٢٤ هامش٩.

(٤) السابق ص ١٢٧ : " وبوجه عام فإن قواعد إعادة كتابة أسلوبية مختلفة جداً عن التحويلات النحوية ، التى هى متضمنة بعمق شديد فى النظام النحوى . وربما فى الحقيقة يحتج بأن السابقة لا قواعد لها نحوية كثيرة مثل قواعد الأداء ... وفى أى حدث ، برغم أنه بالتأكيد ظاهرة مهمة فإنه الوحيد الذى ليس له تأثير مرنى للخطة على نظرية البنية النحوية .

ومن حسن الحظ أنه لم يلتزم كل ممثلى هذا الاتجاه بهذا التحفظ . فإلى جانب ك.إ.هايدولف السابق ذكره أيد مثلاً م. بيرفيش وغيره ضرورة بحث العلاقات السياقية بين الجملة على أساس توليدى .(٥)

وتنشأ أيضاً صعوبة إضافية من خلال السؤال عن طبيعة السياق . فالطول يمكن أن يكون غير محدد نظرياً . (٦) ومن البديهى أيضاً أن توجد فضلاً عن ذلك سياقات غير متواصلة ، وإن كان سيتسيد لأسباب الوضوح بالنسبة لسياق جملةٍما النوعُ المتواصل .

وقد نوقشت فى الغالب مناقشة كافية أهمية السياق بوجه عام للتفسير الدلالى لوحدات معجمية ، حيث يُفَعَّل من معان محتملة عدة غالباً عددُ محدود – وفى حالة مثالية دون غموض معنى واحد . (٧) وبطبيعة الحال قد نوقش مراراً بالنسبة للأصوات والفونولوجيا دور السياق الأضيق اتصالاً بظاهرة التماثل . بيد أن الأمر هنا يدول حول السياق المجاوز (حد) الجملة ، الذى ينشئ علاقات بين الجمل ، ويُنشأ الربط النصى Textkohäsion فى الغالب بوسائل نحوية . وتعد هذه الوسائل النحوية إلى حد كبير هى ذاتها التى تصلح أيضاً لعلاقات داخل الجمل. ويتعلق الأمر فى ذلك مثلاً بظواهر التطابق مع العدد والجنس بين مكونات

---

(٥) م.بيرفيش : مهام النحو وشكله ، العلامات ونظام اللغة ، ٣ كتابات فى الأصوات وعلم اللغة وبحث التواصل ، ١١ (برلين ١٩٦٦) ، ص ٥٢ : ومن جانب آخر يوضح نحو بلاشك الكثير عن بنية اللغة ، كلما زاد تضمنه قواعد إجبارية ، أى كلما زاد إمكان التنبؤ بحقائق من خلاله ، ولا يجب أن تترك لتفسيرها بنظريات أخرى . بيد أن هذا يعنى أن يميز نحو يستنبط تتابع عناصر الجملة من خلال تحويلات إجبارية بمراعاة السياق عن نحو يتخلى عن هذه الخاصية للجمل لقواعد غير محددة . وهذه بدقة هى النقطة التى يظهر فيها لأسباب نحوية داخلية السؤال : هل من الممكن أن يقتصر علم اللغة بوصفه علماً متكاملاً على إطار الجملة . ويبدو أن من الضرورى أن تمتد قواعد التحويل إلى مركبات أكبر على الأقل ، أى على تتابعات الجمل .

(٦) من أجل محيط السياق انظر س.أولمان : الكلمات واستعمالها Man and Society Series (لندن ١٩٦٣) ص ٢٧ وفى الحقيقة لا يبعد أولمان كثيراً ، إذ إنه لا يقف على أرض النحو التوليدى .

(٧) انظر للمؤلف : السياق اللغوى ومعنى الكلمة فى الإنجليزية GRH ، ٤٦ (١٩٦٥) ص ٨٤–٩٦ . وانظر أيضا ضمن غيره كاريل هاوزنبلاس : حول معنى وحدات ونصوص لغوية . الأعمال اللغوية لحلقة براغ TLP ٢ (١٩٦٦) ص ٥٩ – ٦٩ .

مترابطة واختيار الضمائر والأدوات والزمن ... الخ . ولما كان الأمر يدور بوجه خاص حول أوجه الانتظام التى تصلح لبنية خاصة بداخل الجمل مثلما تصلح لبنية خاصة بخارج الجملة تماماً ، فلم تعد هناك حاجة للوصف على مستوى منفصل . ولذا أدخل ف. دانش مثلاً مستوى ثالثاً للنحو ، هو ما أطلق عليه " مستوى تنظيم المنطوق " . (٨) ومن ثم لم يعد يصلح لتعريف النحو : ترتيب المفردات (فى أشكال مناسبة) التى يُوضح بها ربطها وعلاقتها فى جملة ما " ، بل فى استعمال دال وفق التحديد المفهومى القديم الأعم القريب من الجذر " ... ترتيب منظم أو نظامى للأجزاء أو العناصر .. ترتيب أو نظام مترابط للأشياء (كلاهما فى SOED) .

بيد أن الربط يمكن أن ينشأ أيضاً من خلال علاقات دلالية (المجال الدلالى)، على نحو ما ينبغى أن توضح أيضاً فيما يلى اتصالاً بأداة التعريف . م.بيرفش أتى بالمثال الآتى من ب.برشت :

" ربما وَجَدَ غريب العاصمة أكثر فخامة . خليط متعدد الألوان من الشعوب ملأ المساكن المتصدعة . ومبان حكومية قوية قائمة دون الإتمام ، فارت المدينة من المشروعات ، وأظهرت المعاملات التجارية ملامح عادية ، كان العبيد بثمن بخس " . (٩)

فإذا وجب أن تجعل أسباب اصطلاحية (قائمة دون الإتمام) وسياقية (المعاملات التجارية) مسؤولةً أيضاً عن جزء من الأبنية المولدة من خلال وضع أداة التعريف ، فإنه يمكن فى حالة " المساكن المتصدعة " (خلافاً لـ مبان حكومية قوية) أن تكون علاقات دلالية أوجدها المجال الواسع ، بل المحدد "للعاصمة " المعرفة ، قد أدت دوراً . ويقود تعقد الإمكانات العلائقية م. بيرفيش إلى الشك أيضاً فى إمكانية إنشاء نظرية لبنية النص :

---

(٨) ف.دانش : " منهج المستوى الثالث فى النحو " . الأعمال اللغوية لحلقة براغ TLP ١ (١٩٦٦) ، ص ٢٢٥ – ٢٤٠ .

(٩) م.بيرفيش : نقد لعمل زلج س . هاريس : تحليل الخطاب ، إعادة طبع Den Haag ١٩٦٣، فى : مجلة Lingustics ١٣ (١٩٦٥ ، ص٦٢ عند تطبيق المنهج الذى اقترحه هاريس قد لا يقوم هذا المثال لبرشت فضلاً عن ذلك خطاباً مترابطاً .

ما قدر الخواص التى تحدد تعقد الجمل داخل نص ما ، التـــى يمكـــن أن تستوعبها نظرية شكلية يمكن حصرها ، مشكلة مفتوحة بشكل مطلـــق ... وتعـــد دراسة بنية هذه الاطرادات (أوجه الانتظام) شرطاً لصياغة نظرية لبنية الـــنص .. إذ يجب أن توضح علاقتها بالبنية النحوية والدلالية للغـــة ... ووضـــع المهـــام المرسومة نظراً لعدم معرفتنا الكاملة تقريباً بالحقائق المتعلقة بالموضوع يوطوبى (خيالى) . فليس من الممكن معرفة هل هو قابل فى هذا الشكل للحل أساساً بشكل مؤكد . (١٠)

ولظن أيضاً للأسباب الواردة بدايةً أن تنظيماً متكاملاً لن يكـــون ممكنـــاً ، وأننا يجب أن نقتصر لذلك ابتداءً على بحث بعض أوجه الانتظام القائمة .

ومن البديهى أن ثمة علاقات بين الجمل يمكن أن تنشأ من خلال ظـــواهر غير لغوية أيضاً مثل التلويح (الإيماء) ، وتعبير الوجه ، على سبيل المثال ابتسام متواصل عند قص نكتة غير مترابطة .

ويرجع اقتصار التحليل النحوى علـــى جملـــة مســـتقلة داخـــل البنيويـــة التصنيفية فيما يرجع إلى ل.بلومفيلد ويشكل ت.ك.فريز خاصة اســـتثناء ، ذلـــك الذى يؤكد أن :

" كل وحدات الجملة التى تتبع الأولى التى تبدأ محادثة تحتوى دائماً مـــن الناحية العملية على شكل ما من إشارة التوالى . ولا تحتوى كل جمـــل التـــوالى داخل كلام متواصل لشخص ما على إشارات التوالى هذه فقط ، بل تضمها أيضـــاً "منطوقات الإجابة " لمتكلم ثان مواصلاً المحادثة . (١١)

وأتبع فريز بعد ذلك بقائمة من الأمثلة التى تُظهـــر تغيـــرات مســـتلزمة سياقياً. ولكن هذا أيضاً – كما هى الحال لديه فى الغالب – يتعلق الأمـــر بإشـــارة عابرة لم تعقبها أية اقتراحات حول معالجة نحوية منظمة لها .

---

(١٠) م.بيرفيش المقال السابق ص ٧٣ .

(١١) ت.ك.فريز : بنية الإنجليزية (لندن ، إعادة طبع ١٩٦٤) ، ص ٢٥١ يتضح هنا فضلاً عن ذلك أيضاً مدى عدم مناسبة المصطلح " الكلام غير المترابط " (=الكلام المباشر) فى مقابل " الكلام المترابط (=الكلام غير المباشر) . ومن البديهى أنه يحافظ على الترابط مع الكلام المباشر أيضاً ، وإن كان من خلال وسائل أخرى أيضاً .

ولا يعد كتاب زليج س.هاريس : تحليل الخطاب فى الأصل توسيعاً لمجال النحو ، بل أريد أن يبحث العلاقات بين اللغة والثقافة .

وظل مطلب البنيوى الدنماركى ، هيلمسليف بجعل النص نواة بحوث لغوية، بلا نتائج تقريباً بالنسبة للواقع اللغوى .

وينظر إلى جزء من الأعمال الحديثة فى هذا المجال على أنها إسهام فى التفسير الأسلوبى لنصوص أدبية بوجه خاص . وهى ذات قيمة متباينة وتسلك فى الغالب طريقاً دلالية . وينجز ف.أ.كوخ مثلاً جهازاً مفومهياً شديد التعقيد لفهم العلاقات بين ترابطات معنوية (وحدات المعنى) . ويطالب بأن يؤسس النص إلى جانب الكلمة Logem (مستوى يقترب مما نفهمه تحت " كلمة ") ، والجملة Syntaktem (مستوى يقترب مما نفهمه تحت " جملة ") مستوى مستقلاً فى حد ذاته (Textem) . [١٢] ويشتغل كوخ بمجالات نصية مختلفة (الشعر ، اللغة اليومية ...الخ) .

وقد قدم ممثل مدرسة براغ ف.ماتسيوس اقتراحات محددة لحل مشكلة العلاقات الجملية فى إطار جانب المنظور الوظيفى للجملة (FSP) ويقدم ج.فيرباس موجزا واضحاً لذلك :

إن نقطة إنطلاق النظرية هى افتراض أنه وفقاً لكل من طبيعة الفكر الإنسانى والطبيعة الأفقية للجملة تتبع عناصر الجملة بعضها بعضاً وفقاً لكم (درجة) الدينامية الاتصالية (=دت) التى تبلغها ، بادئة بالأدنى ، ومارةً تدريجياً إلى الأعلى .

ومع درجة دت التى يحملها عنصر جملة نفهم المدى الذى يسهم به عنصر الجملة فى تطوير الاتصال ، وبنفس الدرجة كذلك فإنها تُزكّى الاتصال ، وتدفع به إلى الأمام . ويُكوِّن العنصر الحامل للدرجات الأدنى من دت الموضوع ، وهذه حاملة للدرجات الأعلى ، الحديث ، ويقوم العنصر الحامل للدرجة الدنيا للغاية من دت بوظيفة الموضوع بالمعنى الضيق للكلمة ، والعنصر الحامل للدرجة العليا للغاية من دت يقوم بوظيفة ، الحديث ، بالمعنى الضيق للكلمة . وبالإضافة

---

(١٢) ف.أ.كوخ " بعض مشكلات تحليل النص " فى جملة : Lingua ١٦ (١٩٦٦) ، ص ٣٨٣- ٣٩٨ ، وبخاصة ص ٣٨٥ .

إلى الموضوع والحديث ، هناك الانتقال الذى حمل بالنظر إلى دت درجــات فــوق السابق من جهة ، وتحت الأخير من جهة أخرى . ويعد التوزيع الأساس لــ دت مكون المتوالية موضوع- انتقال - حديث (السيد براون [موضوع] طردَ [انتقال] مدرساً ممتازاً [حديث]) .

ومع ذلك فعند إنتاج جملها ربما تنحرف لغات عن هذا التوزيع الأساسـى لــ دت . فربما تفعل ذلك على حساب البنية النحوية لأسباب وجدانية ، من أجــل القافية ... الخ . وهذه الانحرافات معلمة بطرق خاصة ، ولذلك فى الحقيقة فقــط هى مؤيدة للتوزيع الأساسى لــ دت . إحدى الانحرافات المعلمة مزودة بالسياق ، وأخرى بالبنية الدلالية للجملة . وتتشكل عملية السياق أساساً فــى " موضــعة " عناصر الجمل (وذلك باستخلاصها موضوعياً) : فكل عنصر قد ذكر فى الســياق عادة ما ينقل الكم الأدنى من الــ دت داخل جملة دون اعتبار للموقع الذى يشغله (ولذا فى : أراد أن يُسِر مارى ، ستكون مارى حديثاً أو موضوعاً تبعاً لكونها إما لم تذكر أو أنها ذكرت حقاً ، فى السياق السابق) . وفيما يتعلق بالبنيــة الدلاليــة فإنها تعمل داخل ذلك الجزء من الجملة الذى بقى غير متأثر بــ ، مستقلاً عـن ، السياق السابق . ووسائل التعليم مزودة هنا بالمحتوى الدلالى للعنصر المَعْنــي ، وربما بعلاقات دلالية يمكن أن يدخل هذا المحتوى فيها (ولذا ، ففى كل جملة من الجملتين الآتيتين بشرط فقط أن يكون الفاعل معروفاً ، سوف يحمل المفعــول ، المعبر عن هدف الفعل ، كماً أعلى من دت من الفعل المعبر عن الحدث . ويبقــى هذا بشكل جيد بصرف النظر عن موقع الجملة : كتب كتاباً ممتعاً (He wrote an interesting book , Er hat ein interssantes Buch geschrieben)

وثمة شرط يجب أن يضاف لما قيل آنفا حول عمل البنية الدلالية علــى مستوى المنظور الوظيفى للجملة . توجد مجموعة خاصة مــن الكلمــات مائلــة بمحتواها الدلالى لتقوم بوظيفة فى الموضوع . هذه المجموعة شُكّلت بوجه خاص بالضمائر الشخصية والملكية والإشارية والمنعكسة وأداة التعريف . وفى ظروف مرضية تشير بشكل مؤثر إلى تبعية سياقية (انظر he/er (هــو) فــى المثــالين

السابقين) . وبهذه الطريقة تصلح فى الحقيقة وسائط خلالها ربما تعمل البنية الدلالية حتى داخل ذلك الجزء من الجملة الذى صار تابعاً سياقياً . [١٣]

وقد أوردنا الاستشهاد فى هذا الطول لأنه قد كتب ممثلو مدرسة براغ أعمال كثيرة جداً حول هذه المشكلة ، ولأنه يوجد هنا ربط واضح بالواقع العملى.

وفضلاً عن ذلك أبرزت مدرسة براغ والمدرسة التوزيعية التى أسسها . بلومفيلد فى ييل – يُنظر إلى كليهما فى السياق الكلى " للبنيوية " – إمكانية تعاون بين البحث اللغوى والواقع العملى (التطبيق) بشكل واضح .

ويتبين لذلك فى الثنائية التى نادى بها ف. ماتسيوس :

التحليل الشكلى للجملة والتحليل الوصفى للجملة قبول حسن فى الثنائية التى طالب بها ن. تشومسكى : البنية التحتية وبنية السطح .

ووفق درس ف. ماتسيوس الذى وضح فى وقت لاحق على يد ج. فيرباس . فاشيك ، وممثلين آخرين لمدرسة براغ بوجه خاص بأمثلة لخواص بنية الإنجليزية تَطلب وصفُ البنية النحوية للجملة التفرقَ النظرى الصارم لبنية المكونات الأساسية التى تميز من خلالها كل العلاقات النحوية ذات الصلة بين أجزاء الجملة وبنية إخبار مضافة فى فعل الاتصال (FSP) ، تحدد من خلالها معطيات معينة للشكل السطحى للجملة ، وتتأثر بمقصد المتكلم من الإخبار والسياق أيضاً .

ويتجلى هذا مثلاً عن اختيار الأداة الذى يجب أن يؤدى بداهةً فى كل نحو دوراً كبيراً . ولا يفهم انطلاقاً من الجملة المستقلة . وقد أكد أو . يسبرسن فى ذلك أن :

أداة التعريف زائد اسم فى المفرد تشير إلى مفرد (فقرض أنه) مألوف بدرجة أكثر أو أقل للمتكلم أو الكاتب : فصورة ما أو فكرة الشئ أو شخص مشار إليها بالاسم (مفترض أن تكون) موجودة فى وعى المتكلم أو الكاتب قبل أن ينشئ جملة إخبارية .

---

(١٣) ج.فيرباس : موضوعات غير ثيمية فى الإنجليزية المعاصرة ، الأعمال اللغوية لحلقة براغ TLP ٢ (١٩٦٦) ٢ ٢٤٠ . وانظر له نفسه " بعض أفكار حول وظيفة نظام المفردات فى الإنجليزية القديمة ، والإنجليزية الحديثة " ، Sbornik Prací Filologické Fakulty Brněnské Univusity ٦ (اه) ١٩٥٧ ص ٧٢-١٠٠ .

وتكون هذه المعلومة المسبقة معطاة فى السياق أحياناً ... فالشئ أو الشخص مقدم للسامع أو القارئ بطريقة ما ، فى الغالب بوسائل الأداة النكرة...[١٤]

وترجع المعرفة المسبقة المذكورة هنا إلى السياق (أساس سياقى صريح) أو موقف واضح (أساس موقفى) . [١٥] وأورد أ.أ .هل الذى يعمل بمفهوم "الألفة"، ور .ب.ليز ، الذى يرى تحديد اختيار الأداة تحديداً سياقياً أيضاً ، أوجه تهذيب لنظرية اختيار الأداة حديثاً . [١٦]

لننظر فى مشكلة اختيار الأداة بشكل أدق من منظور السياق الأكبر . [١٧] بين جملتين ، مثل : توجد تفاحة على المنضدة There is an ápple on the table **و** Jóhn àte the ápple **(أكل جون التفاحة) توجد علاقة سياقية . [١٨] الأساس حقيقة أنه فى نص ما يظهر مركب اسمى فى الذكر الأول مع أداة تنكير ، وفى الذكر الثانى على العكس من ذلك مع أداة تعريف . وهكذا فأداة التعريف يمكن بدايةً أن تعد شكل إعادة إحالى لأداة التنكير .**

---

(١٤) أوتو يسبرسن MEG 14.11 (ص ٤٧٩) ، وانظر له نفسه : أصول نحو الإنجليزية (لندن [إعادة طبع] ١٩٦٢) ، ص ١٦٢ : الاستعمال الرئيسى لأداة (المعرفة) الإشارة إلى الشخص أو الشئ الذى هو فى هذه اللحظة الأعلى فى عقل المتكلم ، ومن المفترض فى عقل السامع أيضاً .

(١٥) استقى يسبرسن هذه المصطلحات من دراسة ممتازة لـ ب . كريستفرسن ، الأدوات ، دراسة لنظريتها واستعمالها فى الإنجليزية (كوبنهاجن ١٩٣٩) .

(١٦) أ.أ هِل : إعادة اختبار للأدوات الإنجليزية ، سلسلة دراسات فى اللغة وعلم اللغة ١٩ (١٩٦٦) ، ص ٢١٧-٢٣١ .

(١٧) فيما يأتى أدين بالفضل فى إشارات كثيرة وأمثلة إلى دراسة الماجستير لتلميذى ب . دروبج: علاقات سياقية بين الجمل فى الإنجليزية (كيل ١٩٦٧) .

(١٨) وضع البنير / ´ / (=نبر أساسى) و / ` / (= نبر ثانوى) سيصير فيما يأتى ذا صلة .

بيد أنه يلاحظ كذلك بضع جمل مترابطة آتية : كانت هناك فتاة جميلة ترقد فى السرير . كانت تشاهد القمر . و : بعد نزهة متعبة عاد إلى المنزل ، فتح الباب ودخل . (*)

تكمن العلاقة بين الجملتين الأوليين فى إضمار (فتاةٌ جميلةٌ) إلى (هى) الذى يطابق الفتاة ، بعد أن تقدمت (فتاة جميلة) . وعلى العكس من ذلك يظهر (القمر) من البداية مع أداة التعريف . فى هذه الحال يتعلق الأمر بمجموعة فرائد Unika ، لعناصرها من البداية السمة " معرفة " .

ويوجد فى الجملتين الأخريين ربط دلالى ، كما وُضّح فيما سبق أيضاً فى حال شاهد برشت . وهكذا يورد إلى جانب السمة + م (ذكور) السمة + م (عروف) أيضاً للتعريف فى السياق . (١٩)

وتتضح تغيرات تركيبية أخرى اتصالاً بالعلاقات الإحالية حين توضع فى الاعتبار العوامل فوق القطعية المهملة إلى الآن . ويبين تحليل لهذه الأمثلة قيوداً معينة فى وضع النبر على أجزاء جملية من تلك الجملة ، لها صلة بعلاقة سياقية. فالذكر الأول لـ (تفاح) يتضمن أيضاً وضع نبر الجملة الرئيسى . ويمثل هذا نقطة التحول الرئيسية (= Tonika) نغم الجملة . ويسرى ما يشبه ذلك على وضع النبر مع جمل أمثلة أخرى .

وتوجد فيما يبدو بين اختيار الأداة وتوزيع النبر صلات . ويمكن أن يصفها المرء على النحو الآتى :

١- مكون ، يذكر فى النص للمرة الأولى يمكن أن يحمل النبر الأساسى للجملة .

٢- يتضمن الذكر للمرة الأولى السمة (-م) .

٣- كل مكون يظهر للمرة الثانية فى جملة النص ذاته يغير سمته السياقية [-م] إلى [+م] .

(*) الجمل فى الأصل : There was a sweet girl lying in her bed . After a tiring walk he reached a house . She was watching the móon . He opened the door and went ín .

(١٩) انظر ك.إ.هايدولف ، السابق .

٤- مكون ، يحمل السمة [+م] ، لا يمكن أن يصير حاملاً للنبر الأساسى للجملة المستلزم سياقياً .
٥- مكون يحمل السمة [+م] ، يمكن أن يصير حاملاً للنبر الثانوى للجملة ، ويتبين علاوة على ذلك بالنظر إلى الموقع بالنسبة للفعل المتصرف :
٦- مكون تظهر فيه السمة [+م] ، وحامل النبر الثانوى ، يبدو دائماً فى موقع قبل الفعل .
٧- يرتكز النبر الأساسى إما على مكون مع العلامة [-م] ، يقع فى موقع بعد الفعل أو يحمله الفعل ذاته . (٢٠)

ويمكن أن يُنظر إلى بناء الحديث وبناء الموضوع (٢١) على أنهما عمليتان مستلزمتان سياقياً . وفى ذلك لا يقتصر بناء الحديث على مكونات اسمية . وحين تحمل كل المركبات الاسمية فى الجملة السمة [+م] يقع نبر الحديث على الفعل ، برغم ميل مكونات يمكن أن تصير حديثاً عادة إلى موقع الجملة النهائى :

1-There was a gírl

2-There was an ápple

3-The bòy áte the apple

ويتجلى بناء الموضوع لمكون ذُكِر من قبل فى موقع قبل الفعل ، فى بداية الجملة غالباً . وفى تتابع المبنى للمعلوم – المبنى للمجهول تتبين العلاقة السياقية بوضوح : There was an apple on the table (كانت هناك تفاحة على المنضدة) – This apple was eaten by John (هذه التفاحة أكلت من قبل جون)، (وليس : John ate this apple) . (٢٢)

ويمكن انطلاقاً من طرح الموضوع – الحديث أن توضح علاقة المبنى للمعلوم- بالمبنى للمجهول من جديد من جهة علاقات سياقية ، التى لم يُعزَ لها

---

(٢٠) انظر للمؤلف : بعض علاقات سياقية بين الجمل فى الإنجليزية فى : Proceedings of the Tenth International Congress of Linguists (Bucharest ,1968)

(٢١) تطابقات الموضوع و الحديث فى الاستعمال اللغوى الأمريكى غالباً المحور – التعليق .

(٢٢) سوف يتحدث فيما بعد أيضاً عن الحالة لنبر المقابلة Jóhn .

إلى الآن فى حقيقة الأمر إلا قيمة أسلوبية ودلالية . [٢٣] وعند بناء الاسم يكـون من غير الممكن النبر الأساسى والموقع بعد الفعل المتصرف ويتبين فضـلاً عـن ذلك أن الأداة الإحالية المحددة عند ذكر سابق مباشر للجملة تقدم فى الغالب مـن خلال ما يسمى ضـمير الإشـارة [٢٤]. Bíll received an apple – this (the) apple had red cheeks. تلقى بِل تفاحة – هذه (الـ) تفاحـة لهـا جوانـب (وجنات) حمر .

ويتبين فضلاً عن ذلك أن مركب الأسماء يطابق المركب الاسمى المعرفة ، ويُلحق علاوة على ذلك بمجموعة الفرائد . ويتضح ذلك أيضاً فى السـلوك ذاتـه تجاه جمل الموصول : لا يمكن أن تستكمل كل الفرائد إلا بجمل موصولية وصفية (= غير اختيارية) .

وحين يتلقى برغم ذلك اسم علم مثل : Jóhn ate the apple نبراً أساسياً خاصاً ، فإنه توجد حالة خاصة . وتتجه هذه الجمل بشكل استدراكى ضـد جمـل متقدمة ، تصححها فيما يبدو براديجماتياً . [٢٥] ويُنظر إليها على أنها أمثلة لنبـر تقابلى . وترد بشكل شائع خاصة فى الحوار . [٢٦] وربمـا يتبـع أيضـاً سـؤال الإكمال، الذى يكون حتى المركب الاسمى الذى يسأل عنه ، متطابقاً مع الإجابـة (الكاملة) :

<u>من</u> مسح حذاءه ؟ – ؟ Who polished his shoes

<u>جون</u> مسح حذاءه Jóhn polished his shoes

<u>ماذا</u> مسح جون ؟ – ؟ What did john polish

جون مسح <u>حذاءه</u> John polished his shóes

---

(٢٣) انظر . ى .جلهارد : علم الأسلوب الإنجليزى (فيسبادن ١٩٦١ ، ص ٢٥ ، حيـث يـدلى بأقوال لا معنى لها إلى حد ما ، انظر مثلاً " الفاعل الصحيح " .

(٢٤) يلاحظ فى الواقع أنه فى الألمانية يقع وضع ضمير الإشارة أكثر مما فى الإنجليزية انظـر : هـذه الفكرة (ليست مؤكدة) .... the thougt is not a reassuring one – Dieser Gedanke

(٢٥) ك.إ . هايدولف ، السابق .

(٢٦) انظر – جونتر : حول موضع النبر فى الحوار ، Journal of Linguistics ٢ (١٩٦٦)، ص ١٥٩ – ١٧٩ .

من الأفضل فضلاً عن ذلك أن يُعزى النبر التقابلى لعناصر معجمية تامة فقط ، وأن يتحدث فى حالة مثل : John did not see the girl – John díd see the girl. عن نبر مؤكد . (٢٧) ويتضمن هذا التتابع أيضاً فى العادة تبادلاً للمتكلمين . ومن هذه الناحية يصح هنا أيضاً ما قيل عن التقابل :

ورود شائع فى الحوار وطبيعة تصويبية . (٢٨) ويُركب وجها النبر الخاص، التقابل والتأكيد اطرادات بناء الموضوع وبناء الحديث التى يحتمها السياق . ويُفسر كل نبر أساسى على مركب اسمى ذُكِر من قبل المتكلم بشكل تقابلى آلياً . (٢٩) ومن البديهى أن يعد التقابل والتأكيد مهمين لتعلم اللغة ، وبخاصة حيث يدور الأمر حول تعلم اللغة المنطوقة :

يؤدى التغاضى عن أوجه الاطراد المعالجة هنا إلى مخالفات ضد الإلف الكلامى . وهكذا تنشأ خطورة من الجمل التى لا تقع فى علاقة سياقية (خطابية) أن يُنتج فى تدريبات المعمل اللغوى من خلال علاقة متبادلة بين منطوق المعلم ومنطوق الطالب سياق ظاهرى ، يستدعى لدى المعلم المتكلم أولاً والطالب المتكلم لاحقاً بدلاً من نبر سياقى عادى صور نبر تقابل غير طبيعية ، " وتأكيدات واهية " باستمرار . على هذا الأساس لا يمكن أن يعلم التنغيم العادى . وتتَبع ذلك بوجه خاص تلك البرامج التى ترتكز على بناء مُجَزًّا للجمل من أجزاء الجمل وفق ما يسمى " مبدأ كرة الثلج " .

L : The
S : John has the ball
L : This
S : John has this ball
Etc .

---

(٢٧) انظر ضمن غير د . جونز : مختصر لعلم الأصوات الإنجليزى ١٠٤٦ .

(٢٨) ك.إ . هايدولف ، السابق .

(٢٩) من أجل استثناءات مثل : John painted the shéd yesterday التى يمكن أن تفهم أيضاً على نحو غير تقابلى ، انظر م .أ.ك. هاليداى : ملحوظات حول التعدى والموضوع فى الإنجليزية ، جزء ٢ Journal of Linguistics ٣ (١٩٦٧) ص ٢٠٨ .

بغض النظر عن أنه من خلال هذه التدريبات مثلاً نـادراً مـا يمكـن أن يُوضح استعمال صور الإحالة للطالب ، تحدث مثل هذه التكرارات البراديجماتيـة ... آلياً بدرجة أكثر أو أقل نبراً تقابلاً غير طبيعى . هنا تكمن خطورة تدريب مثال (محتذى) أحادى . (٣٠)

وتوجد فى ذلك خطورة مشابهة عند تعلم كلمات مستقلة ، فتنطق الصـيغ فى الغالب كاملة النغمة على نحو غير طبيعى سياقياً ، كما هى الحـال مـع الأداة المعرفة (والنكرة) .

كان الحديث إلى الآن مع اختيار الأداة عن حالة طبيعية (غير مُعَلَّمـة) . وغالباً ما تُتَخطى درجة الصفر للأداة الإحالية وتُوضع فى الحال أداة المعرفة .

ويحدث هذا على سبيل المثال فى بداية الروايات والقصـص والفصـول غالباً :

In the afternoon the chairs came , a whole big cart full of little gold ones with their legs in the air " .

" بعد الظهر وصلت المقاعد ، كانت هناك عربة ضخمة ممتلئة بالكراسـى المذَهَّبة، أرجلها فى الهواء الطلق (مقلوبة) . (٣١)

يتعلق الأمر هنا بتأثير أسلوبى مقصود . تُفترض معه ثقة محددة بالمعنى الأساسى لدى القارئ (السامع) ، يستهدف فى الحال انحيازاً . ويوحى إلى حد ما بالعلامة [م+] . ويمكن قياساً على مصطلح ڤُايتريش " مجـاز الـزمن " (٣٢) أن يتحدث عن " مجاز الأداة " . وتُستخدم لغة الإعلانات فيما تسـتخدم للاسـتعمال المجازى ذاته للسبب ذاته . انظر : أصدقاؤه لم يدركوا أنه مصـاب بالسـرطان (Sunday Times , 26.11.1967) أو : أول قطار لعبة هو قطـار هورنبـاى ،

---

(٣٠) ب.دروبج ، السابق ص ١٦٧ .

(٣١) ك.مانسفليد ، الشمس والقمر sun and moon .

(٣٢) هـ.ڤاينريش ، الزمن : عالم السرد والقص (شتوتجارت ١٩٦٤) .

كبير ، ذو محرك قوى . [٣٣] أو آن الأوان لطلب مكالمة عبر البحار Observer, 26.11.1967 .

إن أساس فهم الاستعمال " المجازى " لعناصر تركيبية يجب أن يكون فى كل حال معرفة استخدام صيغة مطردة غير مُعلَّمة . وكما يفهم " مجاز الزمن " لما يسمى الزمن الحاضر على أساس الاستخدام العادى للصيغة فقط ، يسرى الأمر ذاته هنا أيضاً . وفى كلتا الحالتين تُمثل صيغ نحوية من المجال المركزى للنظام اللغوى فى مجال هامشى (أسلوبى) لإدراك وظائف ثانوية . والأمر على نحو مشابه مثلاً مع ما تسمى صيغة متوالية ، تقوم فى الماضى بالوظيفة الأسلوبية الثانوية لإطار زمنى . [٣٤] هنا تتضح إمكانات جلية لتعاون بين الأدب وعلم اللغة .

وإذا ما اتضحت بشكل جيد خاصةً بمساعدة اختيار الأداة أيضاً وثاقة صلة عوامل سياقية اتصالا بالحديث والموضوع ، فإنه توجد أيضاً مجالات أخرى للنحو، تؤدى فيها العوامل السياقية دوراً . ويتعلق الأمر فى ذلك باستمرار بما تسمى " علامات غير مشبعة " . [٣٥]

كان الحديث فيما سبق اتصالا بفريز عما تسمى " إشارات توالٍ " sequence signals ، تضم الأدوات والضمائر والظروف أيضاً . وعند اختيار الأداة والضمائر تكون كما وُضِّح صياغات بدرجة محددة ممكنة . ولم يكشف عنها البنيوى التصنيفى فريز ، ويدرك بوضوح تام مع الظروف أن التعريف التقليدى الحالى الذى تقيد الظروف ومقالة أفعالاً . أو صفات ، أو جمل أو هى ذاتها ، يضم وظائف غير متجانسة كثيرة جداً .

---

(٣٣) انظر ج.ن.ليتش : الإنجليزية فى الإعلان ، دراسة لغوية للإعلان فى بريطانيا العظمى (لندن ١٩٦٦ ، ص ١٨٠ يتحدث ليتش عن " تضمين السياق " (السابق) .

(٣٤) انظر للمؤلف نفسه " الصيغة الممتدة فى الإنجليزية القديمة (نيومونستر ١٩٦٦) ، ص٢٠٨ وما بعدها .

(٣٥) يدخل ضمن ذلك كل العلامات الإشارية ، مثل الضمائر ، وأداة التعريف ، وظروف زمانية ومكانية معينة ... الخ ، فهى جميعها تحتاج لفظاً أو موقفاً إلى إكمال أدق .

وداخل مجموعاته الخمسة عشر لكلمات الوظيفة أدرج فى خمس مجموعات (C,D , H , I , J) جزءاً من الصيغ التى تفهم من الناحية التقليدية على أنها ظروف وبذلك اختزل كمها الكلى حتى يصل إلى تعريف أوضح . وفى ذلك تجمع المجموعة (J) ما تسمى الموصلات connectors . [٣٦] ويتبع ذلك مثلاً nevertheless (ومع ذلك ، ورغم ذلك) و therefore (من ثم ، لذلك) . وهكذا تحدد انطلاقاً من وظيفتها بوصفها عناصر ربط بين الجمل . ويمكن أن يُستخدم بعضها مقيداً نحوياً modifier وإشارة توال أيضاً :

The men went away later (modifier)

The men went away later (sequence signal)

- ذهب الرجال لحالِهم (مقيد نحوى)
- سلك الرجال درباً فى وقت آخر (إشارة توالٍ)

ويبين الفرق فى الوظيفة بوضوح من خلال أن كلاً منهما يمكن أن يتتابع. ذهب الرجال لحالهم ، حيث later الأول " مقيد نحوى " [٣٧] ويتضح هنا فضلاً عن ذلك مرة أخرى أن نحو السياق لا ينبغى أن يُفصل عن نحو الجملة ، كما وُضِّح فى البداية . وتعد الوسائل هنا أيضاً الموصلات ذاتها كما هى مع الاستعمال داخل الجملة .

ويتجلى باستمرار تشابه مع اختيار الأداة مع الظروف المختلفة ويسرى هذا على مفردات مثل : yes (نعم) و no (لا) . وهكذا تبدأ رواية إلى الفنار (لـف . وولف) بالعبارة الآتية :

---

(٣٦) انظر أيضاً هـ .أ .جليسون : علم اللغة ونحو الإنجليزية (نيويورك ١٩٦٥) ، ص١٣١.هذه المجموعة كبيرة جداً : moreover , furthermore , in addition , in reality, however , even so , but . ويسرى عليها جميعاً بداهة استعمال داخل الجملة أيضاً ، حيث يمكن أن يقال حقيقة من جهة النحو التحويلى التوليدى إن جملاً أشد تعقيداً (مثل الجمل المركبة الموصولة) تُرد إلى جمل بسيطة مرتبة بشكل إتباعى ، ولذا يتخلى عن الفرق بين بنية تبعية وبنية موازية فى البنية العميقة .

(٣٧) انظر ت .ك.فريز : بنية الإنجليزية (لندن [إعادة طبع] ١٩٦٤) ص ٢٤٨ .

Yes , of course , if its fine tomorrow , said Mrs. Ramsey But you all have to be up with the lark , she added

قالت السيدة رامزى : أجل ، بالتأكيد إذا كانت الحال بخير غداً: وأضافت : ولكن سيكون عليك التيقظ مبكراً .

وأداة التعريف with the lark ، كما هى الحال دائما ، ذات ارتباط اصطلاحى ، ومن ثم لا تؤدى وظيفة خاصة أسلوبية .

ويدخل بداهة ضمن العلامات غير المشبعة التى تُشبَّع غالباً متجاوزة حدود الجملة الكلمة الدعامة أيضاً one . فهى ترتبط فى المثال الآتى بعملية مقابلة : I should like to have a black one (not ared one) أحب امتلاك الأسود (السوداء) ، وليس الأحمر (الحمراء) . وتخدم عملية المقابلة كلمة Other أيضاً . ففى الإعلان الآتى يستهدف من خلال سبق كلمة Other الأثر المنبه ذاته مثلما من خلال وضع أداة التعريف دون أداة تنكير سابقة : Other people have found AMINO SÈVE stops hair loss , Isn't it time you tired it ? (Observer , 26.11.1967) أناس أخرون قد وجدوا أن امينو سيف يمنع سقوط الشعر. أما آن الأوان لكى تجربه ؟

ويندرج ضمن ذلك أعداد محددة أيضاً : There are two things that parents should not do . one is to panic , the other is to punish ثمة شيئان يجب ألا يفعلهما الوالدان ، أحدهما الإرعاب والآخر العقاب . ويستخدم باستمرار عدم الإشباع والافتقار إلى السياق لأغراض الإعلانات . وتميل اللغة السائرة أحيانا لجعل علامات غير مشبعة إلى علامات مشبعة . ويبدو أن هذه هى الحال مع التعبير an sich الألمانى (فى حد ذاته ، مجرداً) الذى يستهلك بشكل مستمر ، ويستخدم أحيانا فى علاقات (سياقات) غير تقابلية .

ويتبع الاستخدام التابع للسياق لـ so (كذلك) فى : If so , go and talk to his headmaster (إذا كان كذلك اذهب وتحدث إلى مدير المدرسة) ، وظيفة وفق ما فى فصل " الضمائر " .

ويعد مجال الزمن ومجال الوجهة أيضاً مهمين من جهة (التشبع) . وتتضح هنا فى الغالب أيضاً فروق بين الألمانية والإنجليزية . فبينما تطور مثلاً

فى الألمانية الماضى البعيد على الأقل فى اللغة السائرة فى جنوب ألمانيا باستمرار إلى شكل زمنى بديل بدلاً من الماضى البسيط مرتبط بالسياق فإنه ما يزال الربط مع الزمن الأخير إجبارياً فى الإنجليزية :

He had been a British citizen for 20 years when he emigrated to Canada .

لقد كان مواطنا إنجليزيا لمدة ٢٠ سنة حين هاجر إلى كندا .

وفى جنوب ألمانيا ، حيث ينقرض الماضى البسيط ببطء ، ربما كان الاستخدام الثنائى للماضى البعيد موجوداً بوجه عام . (٣٨)

ويُفترض الماضى البسيط مع أشكال شرطية أيضاً ، مثل :

I would have liked to go und I could have hit him

كنت أحب أن أذهب و أنا كنت أستطيع أن أضربه

غير مشبعة ، ومن ثم مفتقرة إلى السياق فى الغالب أيضاً عبر حد الجملة الصيغة الممتدة (ص م) فى الماضى مثلاً . ويتضح مرة أخرى الاختلاف الضخم لهذه الصيغة فى تبعيتها لعوامل عدة ، وبخاصة لعامل الزمن . فإن جملة مثل she was dreaming (كانت تحلم) تمثل الإطار الذى يفتقر – بشكل تبعى أو مواز – إلى إكمال بالحدث الجارى فيها . (٣٩) وفى الدرس يجب أن يراعى هنا أن هذه الصيغ لا يجوز أن تعلم براديجماتيا فى نهج غير نحوى نصياً ، مثل : I was dreaming , you were dreaming , atc. (كنت أحلم ، كنت تحلم) ، بل فى سياق مثل : I was dreaming when she arrived (كنت أحلم حين وصلت) oder : I was dreaming . she entered the room (" بينما " كنت أحلم ، دخلت الحجرة)

وغير مشبعة الأفعال المساعدة الصيغية أيضاً ، التى تؤدى وظيفة مطابقة للكلمة الداعمة one . ويقارن الحوار الموضح الآتى الذى يمكن أن يطلق عليه لعباً

---

(٣٨) كون الأمر يتعلق هنا بجملة مركبة ، وليس بجملتين بسيطتين مرتبتين بشكل مواز لا يؤدى دوراً للأسباب التى قيلت من قبل .

(٣٩) بخصوص الخلفية انظر م . جوس : الفعل فى الإنجليزية (ميرسون ١٩٦٤) ، ص ١٠١ وما بعدها .

بعلامات مفتقرة إلى السياق : – " will you play ? " No I won't " – well " , you should , shouldn't you ? " " may be I should , but I can't , and I'm not going to " – why don't you " ? – I think you said you might , so why ? " etc.

ويبدو الاستعمال القوى جداً لعلامات غير مشبعة بالنسبة لـى علامة أسلوبية لدراما غير منطقية . وبذلك يُقدم بشكل طيب التمزق الداخلى والتشتت الفكرى لإنسان العصر الحديث . قارن مثلاً :

ديفز : حسناً لم أتولَّ ، تعرف ... أعنى القول ... لن ... ما أعنى القول ... لم أكن وكيلاً من قبل .

وقفة قصيرة

أستون : كيف تشعر بكونك ذلك ، إذن ؟

د : حسناً ... أظن ... حسناً ، علىَّ أن أعرف ... تعرف

أ : ما نوع ...

د : أجل ، ما نوع ... تعرف ...

وقفة قصيرة

أ : حسناً ، أعنى ...

د : أعنى ، علىَّ أن ... علىَّ أن ...

أ : حسناً ، يمكننى أن أخبرك ...

د : أن ... أنه ... ترى ... تدرك ما أعنى ؟

أ : حين يحين الوقت ...

د : أعنى أنه ما أدرك ، ترى ...

أ : بدقة تقريبا ما أنت

د : ترى ما أعنى القول ... ما أدرك ... أعنى أى نوع من الوظائف ...

وقفة قصيرة

أ : حسناً ، هناك أشياء مثل الكراسى ... والـ ... الأجراس ...

د : لكن إنها مسألة ... أليست ... الأمر لا يتعدى مكنسته أليست كذلك ؟

أ : أجل ، بالتأكيد سنحتاج بعض فُرَش .

د : سنحتاج إلى أدوات ... ترى ... ستحتاج إلى بعض أدوات جيدة ... [٤٠] فى ذلك يتضح بداهة أيضاً تدرج محدد فى درجة عدم التشبع .

وهكذا يتبين أن مشكلة عدم تشبع العلامات تمس المجالات البسيطة للغة ، مثل الجوانب الهامشية الأسلوبية المعقدة . وداخل النحو تمس الفروع الأشد اختلافاً . والصياغة – كما بينت مناقشة الحديث – الموضوع – ممكنة إلى حد ما. بيد أنه من المؤكد تماماً أنه وضعت حدود لنحو النص .

وبرغم ذلك ينبغى أن يكون من الممكن تتبع أوجه أطراد أخرى . ويجب أن يعنى علم اللغة التطبيقى أيضاً بهذه المشكلة . ولا يجوز عبر تدريب النماذج ، حيث ينتهى غالباً إلى زيادة عناصر الجملة ، الوصول إلى تخفيض خطير للسياق (وضمن ذلك سياق الموقف) . يجب أن يضاد تشكيلاً براديجماتيا يسيراً ، يؤدى إلى أخطاء مثل التأكيد الخاطئ والاستعمال غير الصحيح لصيغ الجهة .

ويجب أن يظل نحو تربوى مستوعباً لأهمية السياق عبر وحدة الجملة . فإما أن يُضمن الجملَ المثال داخل فقرات مفردات فى سياقات ضرورية أو ينقل من مادة الدرس استناداً إلى ذلك النحو . ولكن على الأقل ينبغى حين لا يمكن أن يسلك هذين الطريقين ، الإتيان بالتفسيرات المناسبة للنماذج التى توضح وثاقةَ صلة السياق .

لقد اقتُرِف هنا الكثير (من الأخطاء) ، فأغلب النحاة لم يتناولوا مشكلة السياق على الإطلاق . وحتى علم اللغة التقابلى الذى يزداد أهمية بشكل مستمر ، يجب ، كما بين درس الزمن فى الألمانية والإنجليزية مثلاً ، أن يتخذ موقفاً من هذه المشكلة .

---

(٤٠) هـ . بنتر ، الوكيل (لندن [إعادة طبع] ١٩٦٦) ص ٤٢ (الإبراز منى ، أى وضع خط تحت بعض الكلمات) .

ترجمات أخرى للمترجم

١- «جموع التكسير فى اللغات السامية» لـ ا ٠ مورتونن

مترجم عن الإنجليزية ، نشر المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة ١٩٨٣م.

٢- «تاريخ الأدب العربى» لـ كارل بروكلمان

القسم الرابع ٧-٨ بالاشتراك ، مترجم عن الألمانية ، نشر الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٣م.

٣- «علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات» لـ فان دايك

مترجم عن الألمانية ، نشر مكتبة زهراء الشرق ٢٠٠١م.

٤- «الأساس فى فقه اللغة العربية» لمجموعة من المستشرقين

بإشراف أ.د/ ڤولفديتريش فيشر ، مترجم عن الألمانية، نشر مؤسسة المختار ٢٠٠٢م.

٥- «القضايا الأساسية فى علم اللغة» لـ كلاوس هيشن

مترجم عن الألمانية ، نشر مؤسسة المختار ٢٠٠٣م.

٦- «مدخل إلى علم اللغة» لـ كارل ديتر بوننتنج

مترجم عن الألمانية ، نشر مؤسسة المختار ٢٠٠٣م.

٧- «تاريخ علم اللغة الحديث» لـ جرهارد هلبش

مترجم عن الألمانية ، نشر مكتبة زهراء الشرق ٢٠٠٣م.

٨- «المدخل إلى علم لغة النص» لـ ڤولفجانج هاينه مان، وديتر ڤيهفجر

مترجم عن الألمانية ، نشر مكتبة زهراء الشرق ٢٠٠٣م.

٩- «مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص» لـ زتسيسلاف واورزنياك

مترجم عن الألمانية ، نشر مؤسسة المختار ٢٠٠٣م.

١٠- «مناهج علم اللغة» من هيرمان باول حتى ناعوم تشومسكى

لـ بريجيته بارتشت، مترجم عن الألمانية ، نشر مؤسسة المختار ٢٠٠٤م.

١١- «التحليل اللغوى للنص» لـ كلاوس برينكر

مترجم عن الألمانية ، نشر مؤسسة المختار ٢٠٠٥م.

١٢- «دراسات فى العربية» لمجموعة من المستشرقين

مترجم عن الألمانية ، مكتبة الآداب ٢٠٠٦م.

١٣- «الدراسات العربية فى أوربا حتى مطلع القرن العشرين» لـ يوهان فوك

بالاشتراك ، مترجم عن الألمانية ، نشر مكتبة زهراء الشرق ٢٠٠٦م.

١٤- «تاريخ الأدب العربى» لـ كارل بروكلمان

القسم الحادى عشر بالاشتراك ، مترجم عن الألمانية، نشر مكتبة الآداب ٢٠٠٧م.

١٥- «تطور علم اللغة منذ سنة ١٩٧٠م» لـ جرهارد هلبش

مترجم عن الألمانية ، نشر زهراء الشرق ٢٠٠٧م.

١٦- «أسس الشعر العربى الكلاسيكى» لايفالد فاجنر

مترجم عن الألمانية ، نشر مؤسسة المختار ٢٠٠٧م.

تحت الطبع :

١٧- «أساسيات علم لغة النص»(مداخل إلى فروضه ونماذجه وعلاقاته وطرائقه ومباحثه) لـ كلماير وآخرين

مترجم عن الألمانية ، نشر زهراء الشرق ٢٠٠٨م.

١٨- «علم لغة النص» ، نحو آفاق جديدة ، مقالات مختارة

مترجم عن الألمانية ، نشر زهراء الشرق ٢٠٠٨م.

١٩- «إسهامات أساسية فى علم النص» ، ، مقالات مختارة

مترجم عن الألمانية ، نشر مؤسسة المختار ٢٠٠٨م.

٢٠- «دراسات فى علم النص» ، ، مقالات مختارة

مترجم عن الألمانية .

٢١- «النماذج اللغوية للنص ، الأسس والإمكانات» لإليزابت جوليش وفولفجانج رايبله

مترجم عن الألمانية.

٢٢- «مدخل إلى علم اللغة الجرمانى» ليورج مايباور وآخرين

مترجم عن الألمانية.

٢٣- «علم اللغة ، مدخل» لهايدرون پلتس

مترجم عن الألمانية.

٢٤- «دروس فى علم اللغة» ليوهانس فولمرت

مترجم عن الألمانية.

٢٥- «المعرفة اللغوية الأساسية» لدنيللًا كليمون

مترجم عن الألمانية.

٢٦- «مدخل إلى علم اللغة» لهاينتس فاتر

مترجم عن الألمانية.

٢٧- «مدخل إلى علم اللغة» لهاينتس فيوكوفسكى وآخرين

مترجم عن الألمانية.

٢٨- « الأسلوبية اللغوية» لنلس اريك انكفيست

مترجم عن الإنجليزية.

٢٩- «مشكلات النحو والدلالة البنيويين» لرودلف روجيتشكا

مترجم عن الألمانية.



مطبعة العمرانية للأوفست
الجيزة : المنيب ٣٣٧٥٦٢٩٩